THE AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
3 8534 00601 8430

99-B257
Put Jan 28 1/2
1B15

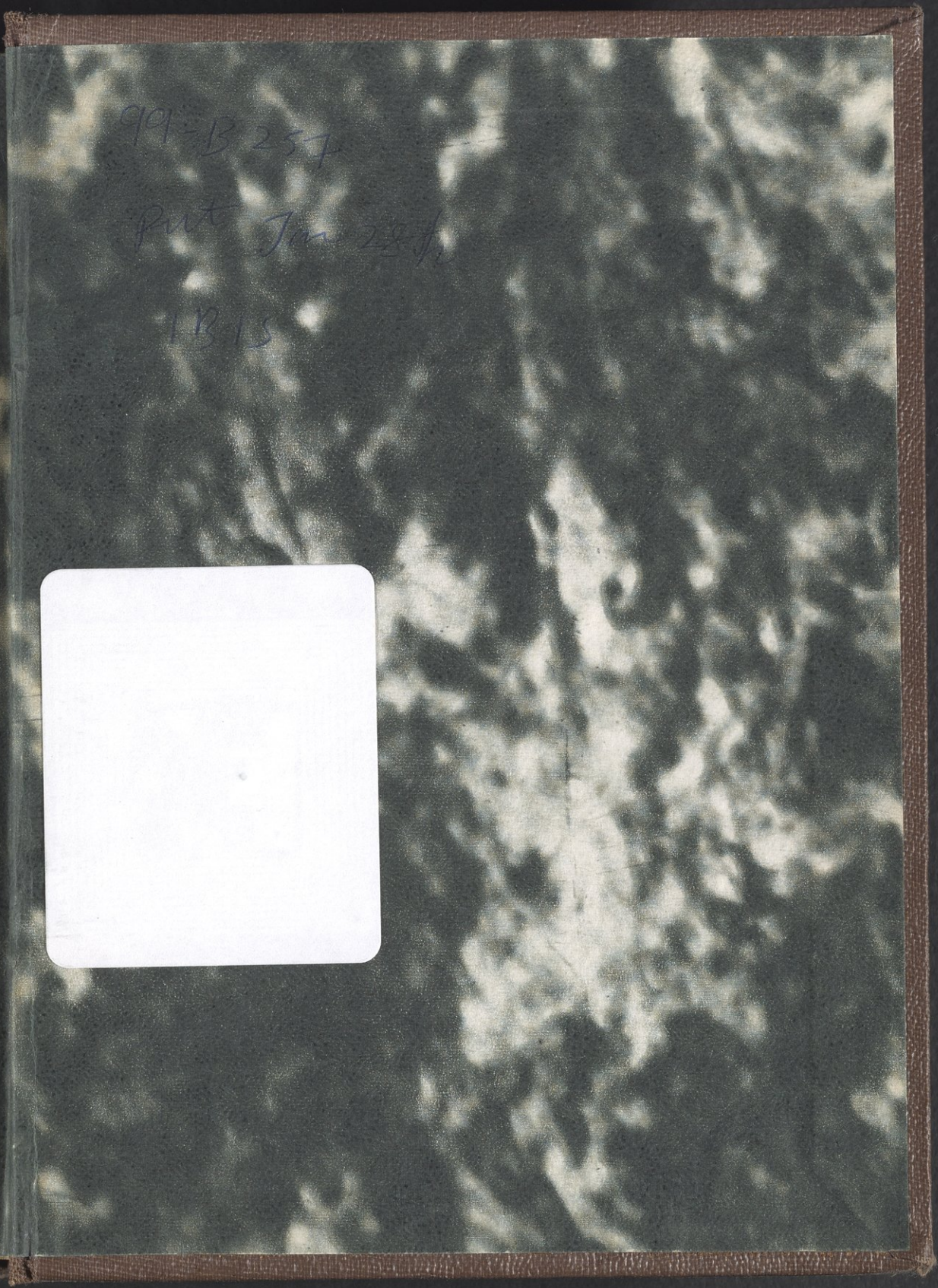

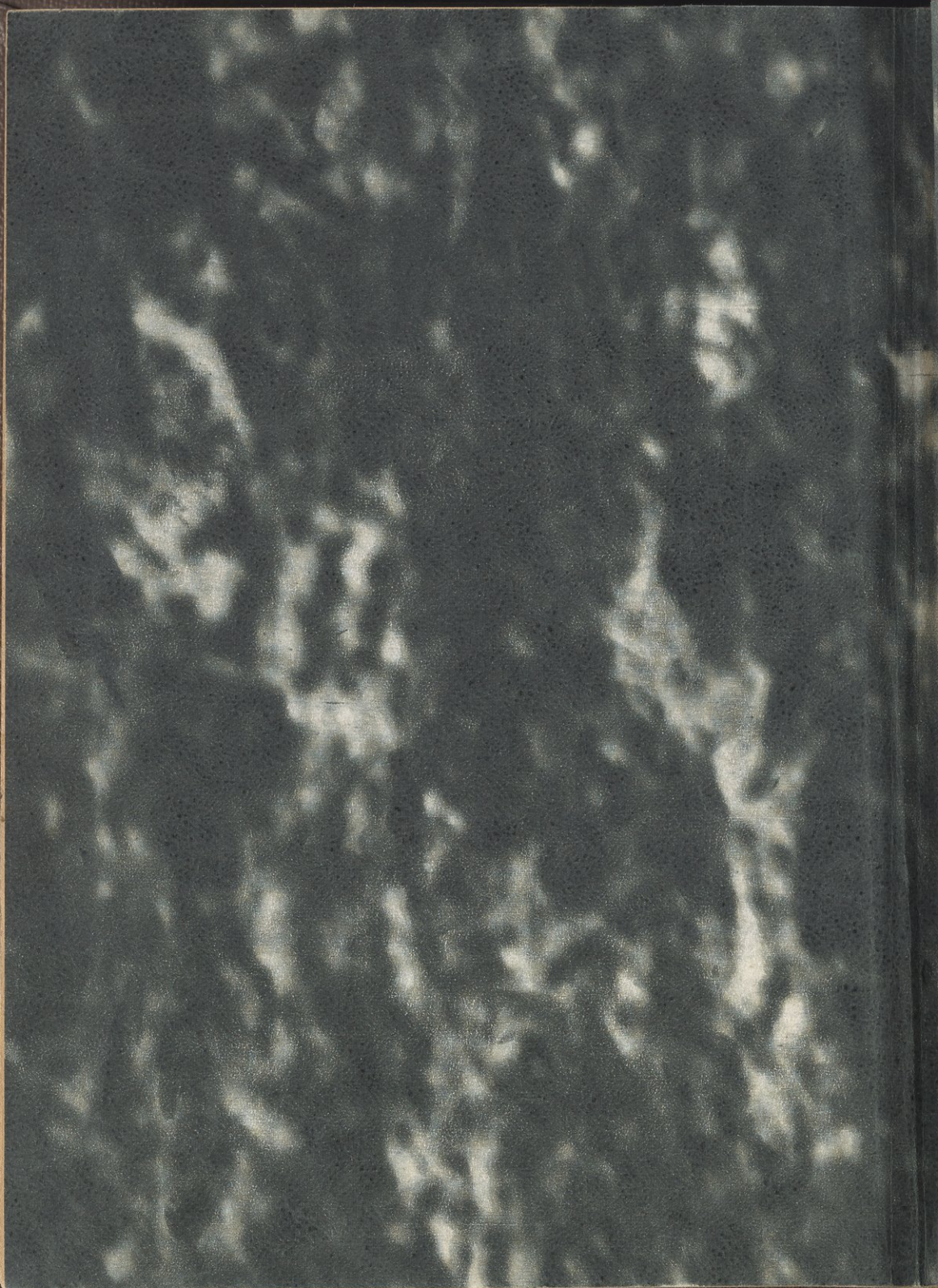

PJ
6101
S2X
1932

al-Qazwīnī

al-Talkhīṣ fī-ʿUlūm al-balāghah

PJ
6161
Q38
1932

التلخيص

في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

القزويني الخطيب

ضبطه وشرحه

الأديب الكبير الأستاذ

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ البيان والموظف بمجلس النواب

الطبعة الثانية

سنة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها — مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر

٨٠٨
ق ج بن

مقدمة الشارح للطبعة الأولى

التى طبعت سنة ١٩٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

حياطة الدين مِلاك الخير ، والتفقه فيه قِوام السعادة ؛ وانما السبيل الى هذا معرفة اللغة التى جاء بها ذلك الدين ، ومِسَاك اللغة علم البيان ، الذى لولاه لم تر براعة كاتب ، وخلابة شاعر ، وذرابة خطيب ؛ وما كنت تسمع نظما أنيق الظاهر ، عميق الباطن ، بل المعانى السوقية ، والألفاظ المبتذلة التى تعافها الطباع ، وتمجها الأسماع ؛ والذى لولاه لاستسر اعجاز القرآن (١) ، ولاستمر به يدَ الدهر (٢) السِّرار ، فينجذم اذ ذاك حبل الدين ، وتنهار — معاذ الله — دعائم اليقين .

وهذا ماحدا امام اللغة فى عصره : الشيخ عبد القاهر الجرجانى الى وضع كتابين فى هذا العلم ، دار لهما فلك الفصاحة ، و برقت أسارير البيان ، سمى أحدهما اسرار البلاغة ، والآخر دلائل الاعجاز .

---

(١) استسر : من قولهم : استسر القمر ، أى خفى ليلة السرار ، والسرار : آخر ليلة من الشهر

(٢) يد الدهر : أبد الدهر

كتب فى هذا الفن قبل الامام عبد القاهر : جماعة من البلغاء ، مثل : الجاحظ وقدامة الكاتب وابن دريد ، بَيدَ أن ذلك الامام هو الذى أخذ بِضَبْعَيْهِ (١) ، وأناف به على اليفاع (٢) فهو الذى عين له رسوماً يُعرَجُ عليها ، وسن له قوانين يُعمَدُ اليها ، وأبرز ذلك فى كلام لايقوم بفصاحته لسان ، ولا يَطَّلِعُ فَجَّه انسان (٣) .

قام بعد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكى : أُمامٌ فَتَّ فى عضده حب الفلسفة (٤) ، فعمَد الى هذا العلم ، وقَبَعَ فى كِسْر بيته (٥) ، لايرى الا نفسه ، ولا يسمع الا حسه ، ووضع ماوضع مما نهج فيه منهج أهل النظر من الحكماء ، لامنهج المطبوعين من البلغاء ، وهو وان فاق عبد القاهر فى التقسيم والتبويب وتقريب الأحكام ؛ فلم يدرك شأوه فى لطف الحس ، وصفاء الذيباجة ، وبراعة الكلام ؛ فكان وسطاً بين عبد القاهر واضرابه من المتقدمين ، وبين عبد الحكيم واترابه من المتأخرين .

---

(١) الضبع : العضد

(٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وأناف به على اليفاع ، وأخذ بضبعيه يريد أنعشه ونوه به وسما

(٣) اطلع الأرض : بلغها ، والفج : الطريق الواسع بين جبلين فى قيل من أحدهما

(٤) يقال : فت هذا الشئ فى عضده : إذا كسر قوته ، والمراد بلغت منه واستولت عليه

(٥) قبع القنفذ : أدخل رأسه فى جلده ، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه فى قميصه ؛ وكسر البيت : جانب الخباء

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الخطيب، فهذب ماوضعه السكاكي، وضم اليه نتفاً مما وضعه عبدالقاهر، وأخرج للناس كتاباً هشت له النفوس، وأصاب منها مواقع الماء من ذى الغُلَّة الصادى.

ظهر حوالىْ ذلك قوم درجوا من عُش الفلسفة، فوضعوا على هـذا الكتاب الشروح والحواشى، وسلكوا بهذا العلم مسلكا تنكره اللغة، ويستهجنه البلغاء، فأغمضوا عن أسرار البلاغة، وتشبثوا بالفلسفة، وحمى بينهم وطيس المناظرة، حتى أتوا على الذَّماء الباقى من هـذا العلم، وحتى أضحى وقد انهالت دعائمه، وتنكرت معالمه:

كأن لم يكن بين الحَجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نَسِيسُه (١)، حتى أتيح له فى هذا العصر امام (٢) تولى الله تأديبه، وأرضعه أفاويق حكمته، وأوحى اليه صالح العلم، وأيده بآيات الحق: امامٌ أرسله الله رحمة للغة والدين، رحمة للغة بما يدبجه يراعه، ومايحييه من آثار المتقدمين، ورحمة للدين بما يبين من صحيحه، ويكشف عن صريحه.

فبينا تراه فى جَحْفل من البلاغة والبيان، ينافح كتائب العىّ بعَضْب يمان، ويفْرى أحشاء الفهاهة بيراع أحد من السنان (٣)، اذا هو فوق منبر

---

(١) النسيس: بقية الروح، ويقال: بلغ منه نسيسه: إذا أشرف على التلف

(٢) هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده

(٣) الجحفل: الجيش، وينافح: يضارب أشد المضاربة، والكتائب جمع كتيبة: وهى الجيش أيضاً، والعضب: السيف القاطع، استعير هنا للسان، ويفرى: يقطع، والمراد ظاهر

التذكير، يسوق للناس الرشد فى نوابغ الكلم ،وروائع الحكم ، فلا يلبث أن يقوّم من أوَدِ المائل ، ويجتث من النفوس جذور الباطل [١]، وبينا تراه ينقب فى مناجم العلم، ليلتقط من آثار الآباء ، ماتكون فيه عبرة الأبناء ، اذا هو يخرج للناس من منجم علمه: جواهر تزرى بتلك الجواهر ، ويبز بها شأو الأوائل والأواخر .

كان من بين ماقرأناه عليه، حفظه الله: كتابا أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لذلك الامام ، فما هو الا أن سطع فينا نور هذين الكوكبين، حتى استبان لنا سوء ما كنا نعتسف فيه [٢]، ورحمنا أنفسا انصبناها فى غير طائل ، ومطايا من العمر أنضيناها فى سبيل الباطل ، وحتى علمنا أن مالدينا من هذا العلم لم يكن الا صُبَابَة لاتنقع غلة [٣]، ولا تغنى عن رواد البلاغة .

وهذا ماحرك النفس الى شرح ذلك الكتاب، الذى هو عمدة طلاب البلاغة فى هذا العصر، وقبلتهم التى يحجون اليها، لولا مايعترض سبيلهم من اختصار ألجأ المؤلِّفَ اليه رغبةُ أن تكون قواعد هذا العلم على طرف الثمام [٤]، والذى عقد عليه أولئك القوم سحباً من الألفاظ حجبت معانيه دون الطالب لتلك الأسرار ، كما تحجب الغيوم صفحة البدر دون الأنظار ، ولم نزل رَدَحاً من

---

(١) الأود : الاعوجاج ، ويجتث : يقتلع

(٢) الركاب يعتسفن الطريق : يخبطنه على غير هداية

(٣) نقع الماء العطش : سكنه ، وهذا الشىء لا يغنى عنك : لا ينفعك

(٤) الثمام : نبت ضعيف لا يطول ، ويقال : هو لك على طرف الثمام : أى هين المتناول

الزمن نستخير الله فى أن نلج هذا المأزِق المتلاحم ، حتى خار لنا سبحانه ، ولدينا من الصبر درع مسردة لاتنفذ فيها السهام[١] ، ومن الثقة بالله قَبَس[٢] يضيء لنا دُجُنَّات الظلام .

أسلفنا أن ثمرة هذا النوع من العلم هى إدراك اعجاز القرآن ، والوقوف على الأسرار التى بها يرتفع شأن الكلام ، ويفضل بعضه بعضاً ، لكن لابد للمرء قبل ذلك أن يحظى بِرَسٍّ من اللغة[٣] ، ويصيب ذروا من النحو ، ويرشف الضرَب من لسان العرب[٤] ، ويكون له مع ذلك خاطر كدم فى مكدم ، وذهن اذا لاقى الضريبة صمم[٥]

أما النحو ، فهو معيار لايتبين نقصان كلام ورجحانه ، حتى يعرض عليه ، ومقياس لايعرف صحيح من سقيم ، حتى يرجع اليه ، ومن شذ فيه فقد خمش وجه الكلام ، وجعل نفسه غرضا لسهام الملام ؛ انظر كيف نعى على أبى نواس حين غلط فى قوله يصف الخمر[٦] :

---

(١) الردح : المدة ، والمأزق : المضيق ، ويقال : سرد الدرع : نسجها ، وهو تداخل الحلق بعضها فى بعض

(٢) القبس : جذوة من نار ، والدجنة : الظلمة

(٣) يقال : بلغنى رس من خبر وذرو من قول : أى شىء منه

(٤) الرشف : المص ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ ، والمعنى ظاهر

(٥) كدم فى مكدم : طمع فى مطمع ، وقوله وذهن إذا لاقى الضريبة صمم ، فالضريبة : المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء — وإن كان بمعنى مفعول — لأنه صار فى عداد الأسماء كالنطيحة ، يشبه الذهن بالسيف فى المضاء

(٦) لأن فعلى أفعل لا يجوز حذف الالف واللام فيها ، وإنما يجوز حذفهما

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درعلى أرض من الذهب

وكيف سلقه الناس بألسنتهم، حين قال فى الأمين محمد: (١)

ياخير من كان ومن يكون الا النبى الطاهر المأمون

وقل لى بعيشك: هل يمكن الجاهل به أن يذود عن القرآن فيما عساه أن يخفى من وجوه الاعراب، فيدرك ما قاله العلماء مثلا فى قول الله جل شأنه: «ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون (٢)» وما استشهدوا به من قول الشاعر:

والاّ فاعلموا أنّا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

وأما اللغة والادب فهما مسرح الفصاحة، ومغنى البلاغة، نعم، وهل يتسنى للقائل أن يعمد الى ما كان من الكلمات عذب النطق، سهل اللفظ، غير حوشى مهجور، ولا سوقى مردود، وما كان من التراكيب جيد السبك، محكم الرصف، غير مستكره فج، ولا متكلف وخم، وما كان من التشبيه والمجاز والكناية قد أصاب المحز، ووضع فيه الهِنَاء مواضع النُّقَب،

من فعلى التى لا أفعل لها نحو: حبلى، إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة، وهنا عريت عن الاضافة

(١) فانه رفع الاستثناء من الموجب

(٢) سيمر بك فى الشرح أن «الصابئون» مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك، وإن فائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين مع كونهم أبين المذكورين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم

الاَّ إذا ضرب فى اللغة بسهم ، وجرى فى أساليبها على عِرْق[1] ، وهل يتأتى للرجل أن يدرك اعجاز القرآن ، وتبريزه على سائر الكلام ، حتى يلم بجميع ضروبه ، ويسبر سائر أساليبه .

ولقد أفضى الجمود بقوم إلى أن بخسوا الأدب حقه ، ولم يوفوه من الاعظام قسطه ، حتى صوَّحت لديهم زَهرته ، وذَوَتْ بينهم نَضرته[2] ، وصار من يحاول العلم منهم ، فانما يرتوى من آجن ، ويكتنز من غير طائل ، ألم يعلموا أن العلوم عيال عليه ، وأن الشريعة مفتقرة اليه ، وأن مثلها ومثله قول أبى الاسود الدؤلى :

فإلاَّ يَكُنْهَا أوْتَكُنْهُ فإنَّهُ أخوها غَذَتْهُ أمه بِلِبَانِها

وهل بلغ أئمة الدين هذه المنزلةَ : فَهْمَ أغراض القرآن ، ومعرفة أسرار الشريعة ، إلاَّ بعد أن قبضوا على خزائم الأدب ، وألقيت اليهم مقاليد اللغة ، ألم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم أن كان أحدهم يروى من كلام العرب ما يروي الآخر غيره ؟ هذا لفظ القرء مثلا ، ذهب مالك رحمه الله الى انه الطهر ، وحجته فى ذلك قول الأعشى :

أَفِى كلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

---

(١) يقال: فلان يصيب بكلامه المحز ، ويضع الهناء مواضع النقب: اذا كان ماهرا مصيبا. والهناء: القطران ، والنقب جمع نقبة: وهى أول مايبدو من الجرب قطعا متفرقة ، والعرق: الاصل ، والمعنى ظاهر

(٢) صوحت الزهرة: يبست ، وذوى البقل: ذبل

مُوَرِّثَةً مَالاً وَفِي الحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وذهب أبو حنيفة رحمه الله الى انه الحيض ، ومستنده قول الراجز :

يَارُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ قَارِضِ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الحَائِضِ

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : قصوا الشارب وأعفوا اللحى ، قال قوم : معناه : وفروا وكثروا ، وقال آخرون : قصروا ونقصوا ؛ حجة من ذهب الى التكثير : قول جرير :

ولكنا نُعِضُّ السيف منها بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ (١)

وحجة من ذهب الى التقصير : قول زهير :

تَحَمَّلَ أَهلُها منها فبانوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ

ومثل هذا كثير ، لا يكاد يحصيه الاستقصاء ، حتى لقد اختصه العلماء بالتأليف ، وأفردوه بالكتاب ؛ اللهمَّ إنَّ الصادَّ عن معرفة اللغة وأسرار العربية صاد عن تعرف كتابك ، وأسرار شريعتك ، فسواء من أعدم الناس الدواء الذى يشفى من الداء ، وتستبقى به حُشَاشة الأنفس ، ومن أعدمهم العلم بأن فيه شفاء ، وأن لهم فيه استبقاء

أين أنت أيها الفاروق الذى قلت حين تلوت قول الله جل شأنه : « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم على تخوف » ثم قلت لاخوتك المؤمنين :

---

(١) منها : أى من النوق ، والاسؤق : جمع ساق ، والكوم : جمع كوماء : وهى الناقة العظيمة السنام . يقول إنه يعقر النوق العظيمة بالسيوف

ما تقولون فيها ، فنهض ذلك الهذلى وقال: هذه لغتنا : التخوف : التنقص : وأنشد قول أبي كبير يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرحلُ منها تامِكاً قَرِداً كما تخوف عودَ النَّبعة السَّفَنُ (١)

فقلت عليكم بديوان العرب ، فان فيه تفسير كتابكم .

مَن لى بك لتنظر حال القائمين بأمر الدين الآن ،وازدراءهم للغة القرآن حتى بلغ بهم الأمر انهم يرمون البلغاء بالسخف ، ويتهمونهم بالزيغ عن الجادة ، اللهم ان هذا خذلان فأدركنا برحمتك ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا .

الى هنا علمت أن البلاغة لا يسلس قيادها الا لمن شدا فى الأدب وعلوم النحو والصرف واللغة، وهذا النوع من العلم علم أسرار البلاغة ولطائف الفصاحة ، المسمى بعضه : علم المعانى، و بعضه الآخر: علم البيان ، ومن ثم قال البيانيون: ان البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، اذ لا يكون ذلك الا بوساطة هذه العلوم ، كما ستعرف

وحيث انتهى بنا الحديث الى هذا الموضع، وجب علينا أن نوفى القول فى الفصاحة والبلاغة حقه من البيان .

ولع الناس قديماً بأمر الألفاظ ولوعا صرفهم عن جادة الاعتدال، وجار بهم عن قصد السبيل ، فعكفوا على العبارات المزخرفة، والألفاظ المفوفة ، والتراكيب الضخمة ، والجمل الفخمة ، وكادوا يقصرون الفصاحة على هذا

---

(١) تامكا : سناما عظيما، والقرد : الذى أكله القراد، والسفن: الحديد الذى ينحت به وهو المبرد، يقول: ان الرحل أثر فى سنام الناقة وتنقص منها كما ينقص السفن من العود

النوع من الحسن، ويذهبون إلى أن ذلك هو الذى يرتفع به شأن الكلام، ويفضل بعضه بعضاً، ويبعد الشأن فى ذلك حتى ينتهى الأمر الى الاعجاز، والى ان يخرج من طوق البشر جميعاً، فانبرى لهم الشيخ عبد القاهر رحمه الله، وأرهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق [١]، واعدم نطق الناطق، وأسال الوادى عليهم عجزا، وأخذ منافذ القول عليهم أخذا، فنادى بفساد مذهبهم هذا، وانه قد يفضى الى انكار اعجاز القرآن، وان ذلك وحده لاتثبت به فضيلة، ولا يشف عن براعة خاطر، وانما الذى يدل على بعد الغور، ودقة الفكر، ويرتقى به الكلام حتى ينتهى الى حيث تنقطع الاطماع، وتحسر الظنون، وتستوى الأقدام فى العجز: هو تلك الأسرار والدقائق التى وضع لها كتابيه: أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز.

ذهب هذا الامام الى ان معترك البلاغة الذى تُظْهِر فيه الخواطر براعتها، والبلغاء مُنَّتها [٢]، هو عند توخى تلك الأسرار والمعانى فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام؛ فالبليغ: هو الذى يضع كلامه الوضع الذى تقتضيه تلك المعانى، ولا يخل بشىء منها، فينظر مثلا الى الوجوه التى تراها فى قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وفى الشرط والجزاء الى

---

(١) الشقاشق: جمع شقشقة وهى شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج، ويقال للفصيح: هدرت شقاشقه، يريدون قوة البيان، ويقال: فى خلاف ذلك: خرست الشقاشق

(٢) المنة: القوة

الوجوه التى تراها فى قولك : ان تخرج اخرج ، وان خرجتَ خرجتُ ، وان تخرج فانا خارج ، وانا خارج ان خرجتَ ، وانا ان خرجتَ خارج ؛ وفى الحال الى الوجوه التى تراها فى قولك : جاءنى زيد مسرعا ، وجاءنى يسرع ، وجاءنى وهو مسرع ، أوهو يسرع ، وجاءنى قد أسرع ، وجاءنى وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجئ به حيث ينبغى له ، وينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك فى حاقّ معناه ، نحو أن يجئ بما فى نفى الحال و بلا اذا أراد الاستقبال ، و بان فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون ، و باذا فيما علم انه كائن ، و ينظر فى الجمل التى تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ؛ وينظر فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير فى الكلام كله ، وفى الحذف ، والتكرار والاضمار والاظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على وجهه ؛ ثم انه ليست المزية بواجبة لهذه المعانى فى أنفسها ، ومن حيث هى على الاطلاق ، ولكن تعرض بحسب الاغراض التى يصاغ لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، فليس اذا راقك التنكير مثلا فى سؤدد من قول البحترى :

تَنقلَ فى خُلُقَىْ سؤدَد سماحا مرجًّى و بأساً مهيبا

وجب ان يروقك أبداً ، و فى كل شىء ؛ بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، و بحسب المعنى الذى تريد ؛ وانما سبيل هذه المعانى : سبيل الاصباغ

التى تعمل منها الصور والنقوش، فكما انك ترى الرجل قد تهدّى فى الأصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج الى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الاصباغ وفى مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه اياها: الى عالم يتهد اليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب؛ كذلك حال الشاعر والشاعر فى توخيهما معانى النحو ووجوهه.

وزبدة القول: ان الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وكل ماشاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض، من حيث راموا أن يعلموا السامعين مافى نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم: انما هى الفاظ مترادفة لامعنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها فى صورة هى أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولى على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد، ولاجهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذى هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسوه فضلا، ويكسبه نبلا، واذن فمرجعها النظم والكلام، دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة.

وقد استظهر عبدالقاهر لهذا بعدة أمور، منها: انك ترى الكلمة تؤنسك فى موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك فى موضع آخر، كلفظ الاخدع فى بيت الحماسة:

تلفتُّ نحو الحى حتى وجدتنى ... وجعت من الاصغاء ليتاً وأخدعا

و بيت البحترى :

وانى وان بلغتنى شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعى

فان لها فى هذين المكانين مالا يخفى من الحسن ؛ ثم انك تتأملها فى بيت أبى تمام :

يا دهر قوّم من أخدعيك فقد أضججت هذا الانام من خُرُقِك (١)

فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير : أضعاف ماوجدت هناك من الرَّوح والخفة ، والايناس والبهجة ؛ وهذا باب واسع ، فانك تجد الرجلين قد استعملا كلما باعيانها ، ثم ترى هـذا قد فرع السماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة اذا حسنت ، حسنت من حيث هى لفظ ، واذا استحقت المزية والشرف ، استحقت فى ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السببَ فى ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها فى النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت اما ان تحسن أبدا ، أولا تحسن أبدا .

ومنها انك لاتشك اذا فكرت فى قوله تعالى : « وقيل ياأرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الاعجاز ، وبهرك الذى ترى وتسمع ، انك لم تجد ماوجدت من المزية الظاهرة الا لأمر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها

---

(١) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحمق والجهل ، وضم الراء للشعر ، ويريدون بتقويم الاخدعين ـ وهما عرقان فى صفحتى العنق كالليتين : ازالة الكبر والعنف

ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة، وهكذا الى ان تستقر بها الى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها؛ وكذلك اذا نظرت الى قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها، انما تم لها الحسن، وانتهى الى حيث انتهى بما توخى فى وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها، وان شككت فانظر الى الجار ين والظرف، فأزل كلا منهما عن مكانه الذى وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحى بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره. ثم انظر: كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة، وكيف تعدم أريحيتك التى كانت، والنشوة التى كنت تجدها ؟

ومنها غير ذلك مما أثبتناه فى غير هذا الموضع من الكتاب

أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الأثير فهم - اذا الطفت النظر وأنعمت الفكر - ممن سلكوا طريقة عبدالقاهر وَقَفُوا إثره، ذاك لأنهم لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن: تلاؤم الحروف وسلاسة الألفاظ، بل جعلوا ذلك وجهاً من وجوه الفضيلة، وداخلا فى عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام، و بينوا أن قوام الشرف والنُّبل هو تطبيق الكلام على مقتضى الحال، الذى عبر عنه الشيخ: بتوخى معانى النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام. بَيْدَ أنهم عمدوا الى الفصاحة وأخرجوها

من حيز البلاغة ، وجعلوها : اسما لما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الالفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد فى النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوى ؛ وجعلوا البلاغة: اسما لما كان مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته ؛ وهذا غير قادح فيما ذهب اليه الشيخ .

هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم، والتنويه بتلك الاسرار، حتى طال بكلامه الأمد ، وحتى كاد يتجاوز غاية الافصاح الى نهاية الاملال، الا لما عنى به ووضع لأجله كتابه دلائل الاعجاز من ازالة ما كان يعلق بالأذهان كافة فى عصره من الخطأ فى وجه اعجاز القرآن .

(و بعد) فمن المعروف أن القرآن تحدى العرب الى معارضته، وأخذهم بالاتيان بمثل أقصر سورة منه، فما كان الا أن استولى عليهم العجز ، و بلغ منهم العى ، وخرست ألسنهم فما تحير مقالا، وخلدت قرومهم فما تستطيع صيالا ؛ وآية ذلك فرارهم الى شبا الاسنة ، واقتحامهم غمرات الموت ، ولو كان لهم عنها محيص لابتغوا اليه سبيلا؛ بيد أن للعلماء فى وجه الاعجاز مذاهب لا تتعدى أربعا: فذهب بعض الى أن الله سبحانه ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الاحكام، والعرب انما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به ؛ وذهب فريق الى أن اعجازه فى أن له أسلوبا يختص به، و يتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التى يتقيد بها الكلام المنظوم تنقسم الى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، والى الكلام الموزون المسجع ، والى مايرسل ارسالا ، وأسلوب القرآن

مباين لهذه الطرق، خارج عن هذه الوجوه؛ لاسيما فى مقاطع الآيات، مثل: يعلمون و يؤمنون. وذهب ثالث إلى أن اعجازه فى ان اشتمل على الغيوب ومالم تلم به علوم الناس: من أخبار من مضى وأحوال مستقبل الأيام.

وذهب آخرون إلى أنه معجز بفصاحته، ووافقهم على ذلك الشيخ عبد القاهر إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه من تفسير الفصاحة بالمزايا اللفظية التى تتعاور الكلام، كالتشبيهات، والاستعارات، والكنايات، وارسال المثل، والجناس، والتورية، وكل أنواع الصناعة اللفظية؛ وفسرها هو بتوخى معانى النحو، وأسرار التركيب، وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض.

وقال: ان هذا هو وجه الاعجاز فى القرآن، وهذه هى المزية التى امتاز بها عن سائر الكلام؛ فأما التشبيهات والاستعارات وأخواتها، فمزايا يشاركه فيها كل كلام العرب. وما سمع عن أحد من العرب ممن أُعجب بفصاحة القرآن انه طرب لتشبيه، أو دهش لتمثيل، أو عجب لجناس أو تورية، أوصعق لسماع مثل غريب ونكتة بديعة؛ وما كان يروعهم و يملك عليهم مشاعرهم: غير تلك الأسرار والمعانى التى سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر، فما عارضه معارض، ولا حدث نفسه محدث، بل ظلوا حيارى هائمين، يقولون: سحر! نعم انه السحر الذى يأخذ بمجامع القلوب، و يملك الحواس، و يختلب الألباب؛ ولعل الافاضة فى هذا البحث، وايفاءه حقه من البيان: يخرج بنا عن موضوع هذه المقدمة؛ فلنمسك بعنان القلم، ونكله الى كتبه الخاصة به، فهناك البيان الواسع، والإفاضة الوافية، والله ولى التوفيق ؟

عبد الرحمن البرقوقى

تقريظ

أستاذنا الامام المغفور له الشيخ محمد عبده

ليست البلاغة فى الحقيقة إلا ملكةَ البيان، وقوةَ النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى لتبلغ من مخاطبها ماتريد من أثر فى وجدانه يميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه ، أو النفرة مما كان يميل إليه ، أو تمكين ميل إلى مرغوب ، أو تقرير نفرة من مكروه ، أو تحويل فى اعتقاد ، أو تغيير لعادة ، أو مايشبه ذلك مما يقصد بالخطاب، وذوقَ النفس كذلك لمحاسن ما تسمعه ، أو وجوه النقدفيما يلقى إليها ؛ هذه هى البلاغة فى حقيقة الأمر.

وضعوا علوما ليصل محصلها إلى امتلاك تلك الملكة، أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجانى ، وتبعه من جاء بعده على نوع من التحرير والتنقيح، وجاء صاحب التلخيص بمجمل ماينبغى تنبيه النفس إليه من أسرار تأليف الألفاظ، ليكون المحصل لذلك المجمل على بصيرة من وجوه التعبير .

شرحه كثيرمن الناظرين فى الفن، وتعلق الأغلب بلفظه، ولم ينظروا الغاية من وضعه، فصرفوا الوقت فيه،وفاتتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون إذا كتبوا ، ولا هم يقنعون إذا خطبوا، ولا هم يحسنون الاستماع إذا خوطبوا ، كما هو معروف لأنفسهم ، ولكل من يعرفهم.

شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقى ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافيا فى تبيين معنى ما فى الكتاب، موجها نظر الناظر فيه الى ماقصد منه ؛ ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ماهو أكثر مما جاء فيه ،

وانما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب أساليب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه مايريد ، ويشهد له كلامه قبل أن يشهد هو لنفسه ؛ وليس لكلامه أن يشهد حتى يروق العلم وأهله ، وعدوه وخله ؛ وأسأل الله أن ينتفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه ؛

محمد عبده

مقدمة الشارح

للطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وسلام على عباده الذين اصطفى »

« وأما بعد » فإنى أحمدُ الله سبحانه أنْ حاطَ هذا الشرح بالقبول ، وكتب له البقاء والخلود ، حتى رأيته يطبع للمرة الثانية ، بعد أن مضى على طبعته الأولى نحو من ثمان وعشرين حِجة ، و بعد أن رأيتُ « نَعَام القلوب اليه زَفَّافة ، ورياح الآمال حَوْلَه هفَّافة ، وعُيون الأفاضل نحوهُ رواِمق ، وألسنتهم بتمنّيه نواطق »

والكتاب فيما أظن و يظن معى أفاضلنا ، أكان المتن أم الشرح : يستحق هذا القبول ، وطول الأفادة منه ، فان المتن رضى الله عن صاحبه أجْمَعُ كُنَّاشَةٍ لعلوم البلاغة ، على صغر حَجْمه ، ووَجازَة كلمه ؛ والشرح من أوسط الشروح وأجملها ، جَلَوْت فيه هذا العلم كما تُجْلَى العروس .

على أن هذه الطبعة الثانية تمتاز عن الأولى بالكثير الكثير ، من الضبط والزيادة والتحوير .

و إلى الله أضرع أن يديم الانتفاع به ، ويجعله بسبب من مرضاته . إنه سميع الدعاء .

عبد الرحمن البرقوقى

٢١ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٣٢م

فاتحة التلخيص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ على ما أنعم ، وعلَّم مِنَ البيان ما لم نَعلم . والصلاة والسلامُ على سيدنا محمدٍ ، خيرِ من نطقَ بالصواب ، وأفضلِ مَنْ أُوتىَ الحكمة[1] وفصلَ الخِطَاب . وعلى آلهِ الاطهار ، وصحابتهِ الأخيار .

« أما بعدُ » فلمَّا كان علمُ البلاغةِ وتوابعها من أجلِّ العلومِ قدرا ، وأدقِّها سرّا ، إذْ به تُعْرف دقائق العربيةِ وأسرارُها ، وتُكشف عن وجوهِ الإعجاز فى نظم القرآن أستارها ؛ وكان القسم الثالث من مفتاحِ العلوم الذى صنَّفه الفاضلُ العلاَّمةُ أبو يعقوبَ يوسفُ السكَّاكىُّ : أعظمَ ما صُنِّفَ فيه من الكتبِ المشهورة نفعا ، لكونهِ أحسنَها ترتيباً ، وأتمَّها تحريراً ، وأكثرَها للأصول جمعا ؛ ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلا للاختصار ، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد[2] : ألَّفْتُ مُخْتَصَراً

---

(١) الحكمة : كمال العلم واتقان العمل . وفصل الخطاب : الكلام البين الذى ينبه المخاطب الى المقصود من غير التباس ، أو الخطاب الذى يفصل بين الحق والباطل

(٢) أى تجريده عما فيه من الحشو

يتضمن ما فيه من القواعد ، وَيَشْتَمِلُ على ما يُحتاج إليه مِنَ الْأَمْثِلَةِ والشواهد، ولم آل جَهْداً[1] فى تحقيقِهِ وتهذيبه ؛ ورَتَّبْتُهُ ترتيباً أقربَ تناوُلا من ترتيبه ، ولم أبالغ فى اختصارِ لفظه تقريباً لتعاطيهِ ، وطلباً لتسهيل فَهْمِهِ على طالبيه ؛ وأضفْتُ إلى ذلك فوائدَ عَثَرْتُ فى بعض كتبِ القوم عليها ، وزوائدَ لم أَظْفَرْ فى كلام أحدٍ بالتصريح بها ولا الاشارةِ إليها « وسميتُه تلخيص المفتاح »

وأنا أسألُ اللهَ تعالى من فضله : أن ينفع به ، كما نَفَعَ بأصله ؛ إنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ ، وهُوَ حَسْبِي ونِعْمَ الوكيل .

---

(١) الألو: التقصير، وأصله: أن يعدى بالحرف، بيد أنه ضمن معنى المنع، فصار المعنى : لم أمنعك اجتهاداً

مقدمة

﴿الفصاحةُ﴾ يُوصَفُ بها المفردُ وَالْكَلاَمُ وَالْمُتَكَلِّمُ.

« وَالْبَلاَغَةُ » يُوصَفُ بها الأَخِيرَانِ فقَطْ .

فالْفَصَاحَةُ فِي الْمُفْرَدِ : خُلوصُه مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ ، وَالْغَرَابَةِ ، وَمُخَالفَةِ الْقِيَاسِ ؛ فالتَّنَافُرُ نحوُ :

* غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلَى *

(الفصاحة) إن للبيانيين فى الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة ، وآراء متباينة ، وهذا حديث فيهما يثلج الصدر إن شاء الله .

الفصاحة وضعها العرب لمعان تشف عن الظهور والابانة ، يقولون : فصح اللبن وأفصح: إذا أخذت رغوته ، وأفصح الصبح: إذا بدا ضوؤه . ومنه المثل: أفصح الصبح لذى عينين ، وأفصح الأعجمى بالعربية ، وفصح لسانه بها : خلصت لغته من اللكنة ، وهذا يوم مفصح وفصح : لا غيم فيه ولا قر.

ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ ، واضح المعنى ، جيد السبك ، متلائم الحروف ، غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، ولا مما نبذته العرب ، وعدلت عن ألفاظه البلغاء ؛ أو ما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد فى النظم والمعنى . ومخالفة القانون النحوى .

أما تنافر الحروف: فهو وصف فى الكلمة ينجم عنه ثقل محملها على اللسان ، والحكم فى ذلك هو الاحساس الروحانى ، والذوق السليم الذى يثمره

وَالغرابةُ نحوُ: * وفاحِماً وَمَرْسِناً مُسَرَّجَا * أَىْ كالسَّيْفِ السُّرَيْجِىِّ فى الدِّقَّةِ وَالِاسْتِوَاءِ، أو كالسِّراج فى البريقِ وَاللَّمعَانِ ؛ وَالمخالفةُ نحوُ: * الحمدُ للهِ العَلِىِّ الأجْلَلِ * قيل: وَمِنَ الكراهةِ فى السمع نحو:

التحفظ لكلام العرب، ومزاولة أساليب البلغاء. ومما جاء متنافراً كلمة: مستشزرات، فى قول امرئ القيس:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلى العُلَا تَضِلُّ العِقَاصُ فِى مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

الغدائر: الذوائب، والضمير يرتبط بفرع فى قوله:

وَفَرْعٍ يَزِينُ المتنَ أَسْوَدَ فاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المتعَثْكِلِ

والاستشزار: الارتفاع والرفع جميعاً، فيكون الفعل منه تارة لازما إن كسرت زايه، ومتعديا إن فتحتها، والعلا: جمع علياء: تأنيث الأعلى، وأراد الجهات العلا، والعقاص جمع عقيصة: الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم تجعلها وسط رأسها كالرمانة وهى الغديرة؛ يقول: إن غدائره مشدودة على الرأس وأن مجموع الشعر منه عقاص أو غدائر ومنه مثنى ـ مفتول ـ ومنه مرسل، وأن العقاص تغيب فى الأخيرين والمراد وفور شعرها وجمال وضعه.

والغرابة أن يكون اللفظ حوشياً غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى، وذلك نوعان حسن لا يعاب استعماله على العربى القح، وهو فى النظم أحسن منه فى النثر، وذلك مثل مشمخر: فانها فى قول البحترى يصف إيوان كسرى

مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ فى رُؤُسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

لا بأس بهـا، وقبيح جاس يعاب استعماله على سائر الفصحاء وهو أن

* كريمُ الجِرِشَّى شريفُ النسبْ * وفيهِ نظر .

وفى الكلامِ : خُلُوصُهُ مِنْ ضَعفِ التَّأليفِ ، وَتَنافُرِ الكلِماتِ ، والتعقيدِ ، معَ فصاحَتِهَا ؛ فالضَّعفُ نحوُ : ضَرَبَ غلامُهُ زَيداً ، والتنافرُ كقوله : * وَليسَ قُرْبَ قبرِ حَرْبٍ قَبرُ *

يكون مع ذلك كزا غليظا ، مثل جحيش فى قول تأبط شرا :

يَطَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِى بِغَيْرِهَا جُحَيْشاً وَيَعْرَوْرِى ظُهورَ المَهالِكِ (١)

ومثل اطلخم فى قول أبى تمام :

قَدْقُلْتُ لَمَّا اطْلَخَمَّ الأَمْرُ وَانْبَعَثَتْ عَشْوَاءُ تَالِيَةً غُبْسًا دَهَارِيسَا (٢)

ومثل جفخ فى قول المتنبى :

جَفَخَتْ وَهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيَمٌ عَلَى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلاَئِلُ (٣)

ومن هنا كان قول بعضهم : إن الكلام الفصيح ما كان فى ألفاظه عنجهية الغرابة ، وبعد عن الأفئدة الاحاطة بمعناه ، وعز على الافهام إدراكه : جهلا بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة ، قال الجاحظ — وهو من هو — : رأيت الناس يديرون فى كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن

---

(١) المومأة : المفازة الواسعة ؛ ويقال للرجل إذا كان يستبد برأيه : جحيش وحده ، وعير وحده ؛ وهوذم ، ويقال : اعرورى الفرس : ركبها عريانا ، وهو افعوعل ؛ مستعار هنا للمهلكة

(٢) اطلخم الأمر : اشتد ، والدهاريس : الدواهى

(٣) جفخ : فخر وتكبر ، وشيم : فاعل ، والأغر : الشريف ؛ يقول : جفخت وفخرت بهم شيم ، وهم لا يفخرون بها ، وهذه الشيم دلائل على حسبهم الأغر

وقوله

كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدَحْهُ والوَرَى معِي وإذَا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

والتعقيدُ : أن لا يكونَ الكلامُ ظاهِرَ الدِّلالةِ عَلَى المُرَادِ لخلَلٍ :

يعمر ، فانتهرها مرارا ، فقال له يحيى : آإن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها (١) ؛ ثم قال : فان كانوا قد رووا هـذا الـكلام لكى يدل على فصاحة، فقد باعده الله من صفة الفصاحة .

هذا ، ومن الغريب الحوشى ما يحتاج الى أن يخرج له وجه بعيد ، مثل : مسرجا ، فى قول رؤبة بن العجاج :

أيَّامَ أبْدَتْ وَاضِحًا مُفَلَّجَا أغَرَّ بَرَّاقًا وَطرْفًا أبْلَجَا

وَمُقْـلَةً وحَاجِباً مُزَجَّجَا وَفَاحِماً ومَرْسِناً مُسَرَّجَا

المرسن: الأنف ... فلا يعلم ما أراد بقوله: مسرجا، حتى اختلف فى تخريجه، فقيل: من قولهم للسيوف سريجية أى منسوبة الى قين يقال له سريج، يريد: أنه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى؛ وقيل: من السراج، يريد: أنه فى البريق كالسراج، وهذا يقرب من قولهم: سرج وجهه بكسر الراء : أى حسن ، وسرج الله وجهه : أى بهجه وحسنه

« هذا » ، وكما أن تهذيب الكلام من الغرابة شرط فى الفصاحة، كذلك تهذيبه من الابتذال ، فينبغى للفصيح أن يجتنب السوقى المبتذل الذى أبلاه التكرار ، وتدلى باستعمال العامة الى الحضيض .

ومخالفة ما ثبت عن الواضع، مثل: الأجلل، فى قول أبى النجم :

---

* الحمد لله العلى الأجلل *

---

(١) الشكر بالفتح ويكسر : الفرج ؛ وضهل فلانا حقه ، كمنع : نقصه إياه وأبطله عليه ، وتطلها كتمدها : تمطلها؛ والشبر: حق النكاح أو النكاح نفسه

إمَّا فى النَّظْمِ، كقولِ الفرَزْدَقِ فِى خَالِ هِشَامٍ:

وَمَامِثْلُهُ فى النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً ... أَبو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

القياس: الأجل بالادغام، ومثله قول المتنبى:

فلا يُبْرَمُ الأَمْرُ الَّذِى هُوَ حَالِلٌ ... ولاَ يُحْلَلُ الأَمْرُ الذى هُوَ يُبْرِمُ

ومخالفة القانون النحوى، مثل: ضرب غلامه زيدا، فان رجوع الضمير الى المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور، لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظاً ورتبة؛ ومثل ذلك قوله:

كَسَاحِلْمُهُ ذَا الحِلْمِ أَثْوَابَ سُؤْدَدٍ ... ورَقَّى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فى ذُرَى المَجْدِ

وتنافر الكلمات ما كان مثل قول القائل (١):

وقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ ... وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وقول ابن بشير يرثى أحمد بن يوسف:

لاَ أُذِيلُ الآمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي ... بَعْدَهَا بِالآمَالِ جِدُّ بَخِيلِ

كَمْ لَهَا مَوْقِفٌ بِبَابِ صَدِيقٍ ... رَجَعَتْ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ

لَمْ يَضِرْهَا وَالحَمْدُ للهِ شَىْءٌ ... وَانْثَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ

فتفقد النصف الأخير من البيت الثالث فانك ستجد بعض ألفاظه تتبرأ من بعض. ومن ذلك - بيد أنه أخف مما قبله - قول أبى تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معى واذا ما لمته لمته وحدى

وقد أنشد خلف الأحمر فى هذا المعنى:

---

(١) زعموا أن قائل هذا البيت جنى صاح على حرب بن أمية فمات فى فلاة، ويسمى هذا النوع من الجن هاتفا

اى: لَيسَ مِثْلُهُ فى النَّاسِ حَىٌّ يُقارِبُهُ، إلاَّ مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ؛ وَإِمَّا فى الِانْتِقَالِ، كَقَوْلِ الآخر:

وَبَعْضُ قَرِيضِ القومِ أَولادُ عَلَّةٍ يَكِدُّ لِسَانَ الناطق المتحفظ

وأجود الكلام ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فكأنه أفرغ إفراغاً واحداً. فهو يجرى على اللسان، كما يجرى الدهان؛ ومثله قول أبى حية النميرى:

رَمَتْنِى وَسِتْرُ اللهِ بَينِى وبينَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ

رَمِيمُ الَّتى قالت لجارات بيتها ضَمِنتُ لكم أَنْ لاَ يَزَالَ يَهِيمُ

أَلاَرُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتنى رَمَيْتُهَا ولكنَّ عَهْدِى بالنضَالِ قَدِيمُ

يقول: رمتنى بطرفها وأصابتنى بمحاسنها، ولوكنت شابا لرميت كما رميت، وفتنت كما فتنت، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب. فانت اذا عمدت الى مثل هذا: وجدت له اهتزازاً فى نفسك وأريحية فى فؤادك.

والتعقيد أن يشيك المتكلم طريقك الى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، حتى يقسم فكرك ويشعب قلبك، فلا تدرى من أين تتوصل، وأى طريق تسلك الى معناه؛ مثال ذلك قول الفرزدق:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلاَ كانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهْ

يريد: الى ملك أبوه ما أمه من محارب. وقوله أيضا يمدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

يريد: وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه، يعنى: وما مثله

سأطلب بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لِتَقْرُبوا وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

فإنَّ الِانْتِقَالَ مِنْ جُمُودِ الْعينِ إِلَى بُخْلِهَا بالدُّمُوعِ ، لا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنَ

فى الناس أحد يشبهه فى الفضائل إلا هشاما ؛ فهو كما تراه فى غاية التعقيد ، حتى كأنه لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَالشَّيْبُ ينهَضُ فى السَّوَادِ كأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ (١)

ومثله قول المتنبى :

وَفاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ بأَنْ تُسْعِدَا والدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

يريد : وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه . يخاطب صاحبيه بأن عدم وفائهما له بالمساعدة على البكاء مما يزيد فى حزنه ، كالربع كلما درست معالمه كان ذلك أدعى لحزنه ، ثم اعتذر بأن الدمع يشفى الباكى ، لأن من حزن قلبه استراح بالبكاء . وهذا الضرب من التعقيد يرجع الى اللفظ ، لأن منشأه فساد النظم بما صنعه الشاعر من التقديم والتأخير وغيرهما مما ليس له أن يصنعه ، ولا يسوغ أن يقدم عليه . وثمت ضرب آخر يرجع الى المعنى ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة الى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهراً ، كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتكسب عيناى الدموع لتجمدا

بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد فأحسن وأصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمارة للحزن ، وأن يجعل كناية عنه ، كقولهم : أبكانى وأضحكنى ، على معنى : ساءنى وسرنى .

---

(١) يصيح : يظهر

السُّرُورِ . قِيلَ : وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتتَابُعِ الإضَافاتِ، كقولِهِ :

ثم ساق هذا القياس الى نقيضه ، فالتمس أن يدل على ما يوجبه دوام التلاقى من السرور بقوله : لتجمدا، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء من غير اعتبار شيء آخر ، وغلط فيما ظن، لأن الجمود خلو العين من البكاء، مع أن الحال حال بكاء ، ومع أنه يراد منها أن تبكى ، فلا يكون كناية عن السرور ، وانما يكون كناية عن البخل، كما قال الشاعر :

أَلَا إِنَّ عَيناً لم تَجُدْ يَوْمَ واسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِى دَمْعِهَا لَجَمُودُ

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء فى حال السرور ، لجاز أن يدعى به للرجل ، فيقال: لا زالت عينك جامدة ، كما يقال: لا أبكى الله عينك، وذلك مما لا يشك فى بطلانه، وعلى ذلك قول أهل اللغة: سنة جماد: لا مطر فيها، وناقة جماد: لا لبن فيها، فكما لا تجعل السنة والناقة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدر، لا تجعل العين جموداً إلا وهناك مايقتضى ارادة البكاء منها، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت واذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت

هذا ، وبيت ابن الأحنف المذكور : نظير كلام ابن الربيع بن خيثم ، فان رجلا قال له - وقد صلى ليلة حتى أصبح -: اتعبت نفسك، فقال: راحتها أطلب ، ومثله قوله :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّى لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

وهو معنى كثير حسن جميل ؛ وقد زاد بعضهم على هذه الأمور المخلة بالفصاحة أمراً اخر وهو الكراهة فى السمع بأن يمج اللفظ ويتبرأ من سماعه، كالجرشى ، فى قول أبى الطيب المتنبى يمدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ

(الجرشى: النفس) وفيما ذكر هذا القائل نظر، لأن الكراهة فى السمع

* سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ * وَقوله :

* حَمامَةَ جَرْعَى حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجَعِى * وَفيهِ نَظَرٌ .

وَفى المُتكلِّم : مَلَكَةٌ يُقتَدَرُ بِهَا عَلى التَّعْبيرِ عَنِ المَقصُودِ بِلفْظٍ فَصيحٍ .

تشملها الغرابة ، وقد احترز عنها ؛ وزاد بعضهم أمراً آخر أيضاً وهو كثرة التكرار وتتابع الاضافات ، وأنشد على الأول قول أبى الطيب :

وَتُسْعِدُنى فى غَمْرَةٍ بعد غمْرَةٍ سَبوحٌ لَهامِنْهاعَلَيْهاشواهِد

الغمرة : الشدة ، والسبوح : الفرس الحسن العدو الذى لايتعب راكبه ، فكأنه يسبح فى الماء . وعلى الثانى قول ابن بابك :

حَمامة جرعى حومة الجندل اسجعى فأنت بمرأًى من سُعادَ ومَسْمَع

(الجرعاء : تأنيث الأجرع ، وهى رملة لاتنبت شيئا ، والحومة : معظم الشىء ، والجندل : الحجارة ، والسجع : هدير الحمام) وفيه نظر ، لأن ذلك ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان ، فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، وإلا فلا يخل بالفصاحة.

قال الشيخ عبد القاهر : قال الصاحب : إياك والاضافات المتداخلة ، فان ذلك لا يحسن ؛ وذكر أنه يستعمل فى الهجاء كقول القائل :

يا على بن حمزة بن عماره أنت والله ثلجة فى خياره

ثم قال الشيخ : ولا شبهة فى ثقل ذلك فى الأكثر ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ؛ ومما حسن فيه قول ابن المعتز :

وَظَلَّتْ تُدِيرُ الرَّاحَ أَيْدِى جَآذِرٍ عِتَاقِ دَنَانِيرِ الوُجُوهِ مِلَاحِ

(وَالْبَلَاغَةُ) فِي الكَلَامِ مُطَابَقَتُهُ لِمُقْتَضَى الحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ؛ وَهُوَ

ومنه قول أبى تمام :

خُذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ

(وأما البلاغة) فهى فى اللغة تنبئ عن الوصول والانتهاء ، قال فى القاموس: بلغ الرجل بلاغة : إذا كان يبلغ بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال، أو إطالة بلا إملال ؛ ومن ثم قال البيانيون: إنها تطبيق الكلام على مقتضى الحال مع فصاحته ، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال : هو الذى يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم ، حيث يقول: النظم توخى معانى النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام . فالشاعر البازل، أو الكاتب المجيد ، هو الذى يضع كلامه الموضع الذى تقتضيه تلك المعانى ، وهناك معترك البلاغة الذى تظهر فيه الخواطر براعتها ، والبلغاء منتها؛ فأنت إذا عمدت إلى ما تواصفوه بالحسن، وشهدوا له بالفضل: مثل قول الأول:

تَمَنَّانَا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَخَالُ بَيَاضَ لأْمِهِمِ السَّرَابَا

فقدْ لاقيتنا فرأيتَ حَرْباً عَوَاناً تمنعُ الشَّيخَ الشَرابا

ومثل قول ابن الدمينة :

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِي فأفْرَحَ أَمْ صيَّرْتِنِي فى شِمَالِكِ

أَبِيتُ كأَنِّى بينَ شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً حِذَارَ الرَدَى أَوْ خِيفةً مِنْ زِيالِكِ

تَعَالَلْتِ كَيْ أَشْجَى وَمابِكِ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قتلى قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكِ

فانك لا تجد سببا لهذا الحسن الذى يهجم عليك ، ويملأ عينيك : إلا توخى تلك المعانى . وتوفية حقوقها؛ ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذه المعانى فى أنفسها،

مُختَلِفٌ ، فَإِنَّ مَقامَاتِ الْكَلامِ مُتفَاوِتَةٌ ، فمَقَامُ كُلٍّ مِنَ التَّنْكِيرِ ، وَالْإِطْلَاقِ ، وَالتَّقْدِيمِ ، وَالذِّكْرِ ، يُبَايِنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ ومَقامُ الفصْلِ يُبَايِنُ مَقَامَ الْوَصْلِ ، ومَقامُ الإِيجَازِ يُبَايِنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَكَذَا خِطَابُ الذَّكِيِّ مَعَ خِطَابِ الغَبِيِّ . ولِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ ، وَارْتِفَاعُ شَأْنِ

ولكن تعرض بحسب الأغراض التى يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، فرب تنكير مثلا له مزية فى لفظ ، وهوفى لفظ آخر فى غاية القبح (فظهر) لك أن البلاغة صفة فى الكلام بها يقع التفاضل ويثبت الاعجاز، وإذا كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها الألفاظ من حيث هى ألفاظ مفردة، بل الألفاظ باعتبار إفادتها المعانى :أى الأغراض والمزايا التى يصاغ لها الكلام (وكثيرا ما) تسمى تلك الصفة فصاحة أيضا وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره فى دلائل الاعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ (قال) ومما يشهد لذلك أنك لا تشك إذا فكرت فى قوله تعالى : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعد للقوم الظالمين) فتجلى لك منها الاعجاز،وبهرك الذى ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى تركيبها ، وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها، فان ارتبت فى ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو أفردت من بين أخواتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهى فى مكانها من الآية ؟ ومما يؤيد ذلك أنك ترى الكلمة تؤنسك فى موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك فى موضع آخر، وهاك مثالا يشهد بصحة ذلك ، وهو أنه قد جاءت لفظة الشئ مقبولة حسنة فى قول أبى حية :

إذا ما تَقاضَى المَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

الكلام فى الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدمها؛ فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب؛ فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب؛ وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا ولها طرفان: أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات؛ وبينهما مراتب كثيرة؛ وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا.

وجاءت ضعيفة مستكرهة فى قول المتنبى:

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شئ عن الدوران

فلو كانت الكلمة إذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك فى ذاتها وعلى انفرادها لما اختلفت بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا، أو لا تحسن أبدا.. وهناك دليل ثالث، وهو أنا نعلم أن النبى عليه السلام تحدى العرب بفصاحة القرآن، ولو كانت عائدة إلى الالفاظ لكان قد تحداهم بالموجود عندهم فى الماضى والحاضر.. ودليل رابع وهو أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج فى التلفظ بمفرداتها إلى الروية والفكرة ويحتاج فى التكلم بالكلام الفصيح بتلك اللغة الى الروية. هذا هو لباب كلام عبدالقاهر رحمه الله (تكملة) هذه نتف فى البلاغة لثلة من البلغاء. قال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة تقرير المعنى فى الأفهام من أقرب وجوه الكلام. وقال الرمانى: البلاغة ايصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ. وقال ابن المعتز: البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام. وقال اعرابى: البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة والدلالة بقليل على كثير. هذا، والبليغ عمرك من تراه يعبث بالكلام ويقوده بالين زمام. ومن إذا أنشدته مثل قول البحترى:

وَفِي المتكلِّم مَلَكَةٌ يُقتدَرُ بها على تأليفِ كلامٍ بليغٍ. فعُلِمَ أَنَّ كُلَّ بليغٍ فصيحٌ، ولا عكسَ، وأَنَّ البلاغةَ مَرْجِعُها إلى الاحترازِ عنِ الخطإِ في تأْديةِ المعنى المُرادِ، وإلى تمييزِ الفصيحِ مِنْ غيرِهِ، والثَّاني منهُ ما يُبيَّنُ في

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى ... فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا

هُوَ المَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الْحَادِثَا ... تُ عَزْمًا وَشِيكًا وَرَأْيًا صَلِيبَا

تَنَقَّلَ فِي خُلُقَيْ سُودَدٍ ... سَمَاحًا مُرَجًّى وَبَأْسًا مَهِيبَا

فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا ... وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيبَا

أنقله، وأخذته الأريحية عنده؛ إذ يرى شعراً دنا حتى أطمع، ونأى حتى امتنع، ولا غرو فالبحترى هو الذى ضرب فى قداح الشعر بأعلى السهام، وأخذ فى عيون الفضل بأوفى الأقسام، وشعره هو الذى يترفرق فيه ماء الطبع ويرتفع له حجاب القلب والسمع (ملكة) الملكات هى الصفات الراسخة التى تحصل بتكرار الشىء (وهو) أى مقتضى الحال (مقامات الكلام) أى أحواله (فمقام كل من التنكير الخ) أى فالحال الذى يناسبه التنكير يباين الحال الذى يناسبه التعريف وهكذا (ولكل كلمة مع صاحبتها مقام) وإذا فلا ينبغى للبليغ أن يصنع ما يخالف ذلك؛ الا ترى أن الأعشى لو استبدل بقوله :

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ

قوله إلى ضوء نار متحرقة، لنبا عنه الطبع، وانكرته النفس كل الانكار؛ وما ذلك إلا لأنه لا يشبه الغرض، ولا يليق بالحال؛ حيث أن المعنى على أن هناك موقدا يتجدد منه الالهاب والاشعال حالا فحالا، وإذا قيل متحرقة كان المعنى

عِلمِ مَتْنِ اللُّغَةِ، أَوِ التَّصْرِيفِ، أو النَّحْوِ، أَوْ يُدْرَكُ بالحِسِّ، وَهُوَ مَا عَدَا التَّعْقِيدَ المَعنَوِيَّ. وَمَا يُحترَزُ بِهِ عَنِ الأَوَّلِ عِلْمُ المَعَانِي، وَمَا يُحترَزُ بِهِ عَنِ التَّعْقِيدِ المَعْنَوِيِّ عِلمُ البَيَانِ، وما يُعْرَفُ به وُجوهُ التَّحْسِينِ عِلْمُ البَدِيعِ. وكَثِيرٌ يُسَمِّي الجميعَ عِلمَ البيانِ، وَبَعْضُهم يُسَمِّي الأَوَّلَ عِلمَ المَعانِي، والأَخِيرَيْنِ عِلمَ البيانِ، والثلاثةَ عِلمَ البَدِيعِ.

الفنُّ الأولُ علمُ المعانى

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ العَرَبِيِّ التى بِهَا يُطَابِقُ مُقتضَى الحال * وَيَنْحَصِرُ فى ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ * أَحْوَالُ الإِسْنَادِ الخَبَرِيِّ، أَحْوَالُ المُسْنَدِ إِلَيْهِ، أَحْوَالُ المُسْنَدِ، أَحوالُ متعلَّقاتِ الفِعْلِ، القَصْرُ، الإِنْشَاءُ

على أن هناك ناراً قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة فحسب. وقس على هذا مثله (للاعتبار المناسب) أى الذى اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة، أو بحسب تتبع تراكيب البلغاء، وهو الخصوصيات (ومايقرب منه) ظاهر عبارة المفتاح انه معطوف على هو والضمير فى منه عائد إلى الأعلى ويكون حد الأعجاز خبراً عنهما. وهو صحيح، فأن التنزيل فيه ما هو متناء فى البلاغة، وما هو دون ذلك، وكلاهما وقع به الاعجاز (وأسفل) قال الرازى: وليس من البلاغة فى شىء (التحق الخ) وان كان صحيح الأعراب (ان كل بليغ فصيح ولا عكس) أما عبد القاهر فانه يرى أن الفصاحة والبلاغة والجزالة والبراعة ألفاظ مترادفة (والثانى) أى تمييز الفصيح من غيره (بالحس) هو الذوق (الأول) يعنى الخطأ فى تأدية المعنى المراد (أحوال اللفظ) أى الأمور

الفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ وَالمساواةُ . لأَنَّ الْكَلَامَ إِمَّا خَبَرٌ أَوْ إِنْشَاءٌ ؛ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ لِنِسْبَتِهِ خَارِجٌ تُطَابِقُهُ أَوْ لَا تُطَابِقُهُ فَخَبَرٌ ، وَإِلَّا فَإِنْشَاءٌ ؛ وَالْخَبَرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَمُسْنَدٍ وَإِسْنَادٍ ، وَالْمُسْنَدُ قَدْ يَكُونُ لَهُ متعلَّقَاتٌ إِذَا كَانَ فِعْلًا أَوْ فِي مَعْنَاهُ ؛ وَكُلٌّ مِنَ الْإِسْنَادِ وَالتَّعَلُّقِ إِمَّا بِقَصْرٍ أَوْ بِغَيْرِ قَصْرٍ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ قُرِنَتْ بِأُخْرَى إِمَّا مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا أَوْ غَيْرُ مَعْطُوفَةٍ ، وَالْكَلَامُ البليغ إِمَّا زَائِدٌ عَلَى أَصْلِ الْمُرَادِ لِفَائِدَةٍ ، أَوْ غيرُ زَائِدٍ .

« تنبيهٌ » صِدْقُ الْخَبَرِ مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ ، وَكَذِبُهُ عَدَمُهَا ؛ وقيلَ مُطَابَقَتُهُ لِاعْتِقَادِ الْمُخْبِرِ وَلَوْ خَطَأً ، وَعَدَمُهَا ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ المنافقينَ لَكَاذِبُونَ .

العارضة له من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والفصل والوصل وغير ذلك مما سيأتى تفصيله (لأنه ان كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخبر) يعجبنى قول بعضهم: الخبر هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى أو بالاثبات (أو فى معناه) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك (تنبيه) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم اشارة ما إلى ذلك فى قوله تطابقه أو لا تطابقه (مطابقته للواقع الخ) وهذا هو المشهور وعليه التعويل (وقيل) القائل النظام (ولو خطأ) أى غير مطابق للواقع (بدليل إن المنافقين لكاذبون) فكذبهم جل شأنه فى قولهم إنك لرسول الله وان كان مطابقا للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وللنظام دليل

وردَّ بأنَّ المعنى لكاذبونَ فى الشَّهادةِ ، أوْ فى تسْميتِها ، أوْ فى المشْهُودِ به ، فى زعْمِهِمْ *

« الجاحِظُ » مُطابَقتُهُ مَعَ الاعْتِقادِ ، وعَدمُها معَهُ ، وغيْرُهُما لَيْسَ بِصِدْقٍ ولا كَذِبٍ ، بدَليلِ أفْتَرَى علَى اللهِ كَذِباً أمْ بِهِ جِنَّةٌ ، لأنَّ المُرادَ

آخر وهو أن من اعتقد أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روى عن عائشة أنها قالت فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفى تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر كاليهودى إذا قال الاسلام باطل وتصديقه إذا قال الاسلام حق كذا فى الايضاح (فى الشهادة) لأن المعنى نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا ، كما يترجم عنه إن واللام وكون الجملة اسمية ، فالتكذيب فى قولهم نشهد وادعائهم المواطأة لا فى قولهم انك لرسول الله (أو فى تسميتها) أى فى تسميتهم إخبارهم شهادة . لأن الاخبار إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة (أو فى المشهود به) يعنى قولهم انك لرسول الله (فى زعمهم) لأنهم يعتقدون أنه خبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه فكأنه قيل انهم يزعمون انهم كاذبون فى هذا الخبر الصادق (الجاحظ) حاصل ماذهب اليه أن الخبر ثلاثة أقسام صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لأن الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، واما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه ، فالأول أى المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أى غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب والثانى والرابع أى المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولا كاذب ، فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده ، وغيرهما

بالثَّانى غَيْرُ الكَذِبِ ، لِأَنَّهُ قَسِيمُهُ ، وَغَيْرُ الصِّدْقِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَقِدُوهُ وَرُدَّ بِأَنَّ المَعْنى أَمْ لَمْ يَفْتَرِ ، فَعُبِّرَ عَنْهُ بِالجِنَّةِ ، لِأَنَّ المَجْنونَ لَا افْتِرَاءَ لَهُ .

﴿أحوالُ الإسنادِ الخبرىِّ﴾

لَا شَكَّ أَنَّ قَصْدَ المُخْبِرِ بِخَبَرِهِ : افادةُ المخاطَبِ . إِمَّا الحُكْمَ ، أوكونَه

ضربان مطابقته مع عدم اعتقاده وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده (بالثانى) أى الاخبار حال الجنة (بأن المعنى أم لم يفتر) فيكون التقسيم للخبر الكاذب فى نوعيه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (المخبر) أى من يريد الاخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فانه قد يقصد التحسر والتحزن . فى القرآن حكاية عن امرأة عمران: رب انى وضعتها أنثى. وفيه حكاية عن زكريا عليه السلام : رب انى وهن العظم منى . ومثل هذا كثير ومنه قوله :

قَوْمِى هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ[1] اخِى فإِذَا رَمَيْتُ أَصَابَنِى سَهْمِى
فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِى

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصوداً للمخبر بخبره لايستلزم تحققه فى الواقع وهذا مغزى قول من قال ان الخبر لايدل على ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مغزاه انه لايفهم الثبوت منه ولا الانتفاء فان ذلك هو مفهوم الكلام بلا ريب ولا يصح انكاره فانا اذا قلنا زيد قائم ففهومه ثبوت القيام لزيد وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوما للفظ أصلا بل احتمال عقلى من جهة صحة تخلف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أى

---

(١) اميم منادى مرخم

عالماً به؛ ويُسمَّى الأوَّلُ فائدةَ الخبرِ، والثانى لازِمَها، وقد يُنزَّلُ العالِمُ بهما منزلةَ الجاهلِ، لعدمِ جريِهِ على مُوجَبِ العِلْمِ؛ فينبغى أنْ يُقتصَرَ من التَّرْكيبِ على قدرِ الحاجةِ، فإنْ كانَ خالِيَ الذِّهْنِ من الحُكْمِ والتَّرَدُّدِ فيهِ استُغْنِيَ عنْ مؤكِّداتِ الحُكْمِ، وإنْ كانَ مُتَرَدِّدًا فيه، طَالِباً لهُ، حَسُنَ تقويتُهُ بمؤكِّدٍ، وإنْ كانَ مُنكِرًا وجبَ توكيدُهُ بحَسَبِ الإنكارِ،

المخبر (ويسمى الأول فائدة الخبر والثانى لازمها) قال السكاكى والأولى بدون هذه تمتنع وهذه بدون الأولى لاتمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة؛ أى يمتنع ان لايحصل العلم الثانى من الخبر نفسه عند حصول الأول منه لامتناع حصول الثانى قبل حصول الاول مع أن سماع الخبر من المخبر كاف فى حصول الثانى منه ولا يمتنع ان لايحصل الأول من الخبر نفسه عند حصول الثانى منه لجواز حصول الأول قبل حصول الثانى وامتناع حصول الحاصل (وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل) فيلقى اليه الكلام كما يلقى الى الجاهل . وقد ورد كثيراً تنزيل العالم بالشىء منزلة الجاهل به لأغراض ترجع الى التسوية بينه وبين الجاهل، تعييرا له وتقبيحا لحاله؛ وان شئت فعليك بكلام رب العزة . ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . وانظر كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمى وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم (فينبغى) أى اذا كان الغرض الأصلى من الكلام ماتقدم فينبغى الخ (فان كان الخ) أصل هذا الكلام ماأجاب به أبو العباس عن قول الكندى المتفلسف: انى لأجد فى كلام العرب حشوا، يقولون عبدالله قائم وان عبدالله قائم وأن عبدالله لقائم والمعنى واحد؛ بأن قال بل المعانى مختلفة فعبدالله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وان عبد الله لقائم جواب عن

كما قالَ تعالَى حِكايةً عَنْ رُسُلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذْ كُذِّبُوا فى المَرَّةِ الأُولَى: إنَّا إليْكُمْ مُرْسَلُونَ، وفى الثَّانيةِ إنَّا إليكُمْ لَمُرْسَلُونَ، وَيُسَمَّى الضَّرْبُ الأَوَّلُ ابْتِدَائِيًّا ، وَالثَّانى طَلَبِيًّا، وَالثَّالِثُ إنْكارِيًّا؛ وَإخْرَاجُ الكلامِ عَلَيْهَا إخراجًا عَلَى مُقْتَضَى الظاهر، وكثيراً مَّا يُخَرَّجُ الكلامُ عَلَى خِلَافِه، فَيُجْعَلُ غيرُ السَّائلِ كالسائل، إذا قُدِّمَ إليْهِ مَا يُلَوِّحُ لهُ بالخبرِ فَيَسْتَشْرِفُ له اسْتِشْرَافَ المُتَرَدِّدِ، الطَّالِبِ، نحوُ: وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقُون . وَغيرُ المُنْكِرِ كالمُنكِرِ، إذا لاحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمَارَاتِ الْإِنكارِ، نحوُ:

انكار منكر (اخراج الكلام عليها) على الوجوه المذكورة وهى الخلو من التأكيد فى الأول والتقوية بمؤكد استحساناً فى الثانى ووجوب التأكيد بحسب الانكار فى الثالث (يلوح) يشير (له) أى لغير السائل (فيستشرف له) أى فيتطلع غير السائل للخبر ؛وأصل الاستشراف أن ينظر الانسان الى الشىء رافعاً رأسه باسطا كفه على عينه كالمتقى لشعاع الشمس (نحو ولا تخاطبنى) الخطاب لنوح أى لا تكلمنى يا نوح فى شأن قومك ولا تشفع فى دفع العذاب عنهم، فهذا يلوح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب فى انهم صار محكوما عليهم بالاغراق أم لا . فقيل انهم مغرقون مؤكدا؛ونحوه وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء.وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم، ومثل هذا قول بعض العرب

فَغَنِّهَا وَهْىَ لَكَ الْفِدَاءُ إنَّ غِنَاءَ الْإِبلِ الْحُدَاءُ

جاءشقيقٌ عَارِضاً رُمْحَهُ إنَّ بَنِى عَمِّكَ فيهم رِمَاحْ

وَالمُنكِرُ كَغيرِ المُنكِرِ إذا كانَ مَعهُ مَا إنْ تأَمَّلَهُ ارْتَدَعَ ،نحوُ: لاَ رَيْبَ فِيهِ .

ومنه قول بشار بن برد

بَكِّرَا صَاحِبَىَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِى التَّبْكِيرِ

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغه فيها دقة وغموض (نحو جاء شقيق) فان مجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل على اعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بنى عمه أحدكأنهم كلهم عزل ليس مع أحدمنهم رمح . والبيت لحجل بن نضلة أحد بنى عمرو بن عبد القيس بن معن وهو أحد أولاد عم شقيق الذى جاء لمحاربتهم،ومثل البيت قوله تعالى : ثم انكم بعد ذلك لميتون،مؤكدابان واللام وان كان مما لا ينكر لأن تماديهم فى الغفلة والاعراض عن العمل لما بعده من أمارات الانكار (نحو لا ريب فيه)أى ليس مظنة للريب لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه . ومقتضى صنيعه فى الايضاح ان ذلك تنظير لتنزيل الشىء منزلة عدمه فينفى كما نزل الانكار منزلة عدمه فنفى مقتضاه وهو التأكيد (تكملة) قال الشيخ عبد القاهر: قدتدخل كلمة ان للدلالة على الظن قد كان منك أيها المتكلم فى الذى كان انه لايكون كقولك للشىء هو بمرأى من المخاطب ومسمع: انه كان من الامر ما ترى وكان منى إلى فلان احسان ثم انه جعل جزائى ما رأيت،فتجعلك كانك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت وتبين الخطأ الذى توهمت . ومن خصائصها ان لضمير الشأن معها حسنا ولطفا ليس بدونها بل لا يصلح إلا بها وذلك فى

وَهكذَا اعتِبارَاتُ النَّفى « ثُمَّ الإسنادُ » مِنهُ حَقِيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ ، وهِىَ

مثل قول رب العزة: انه من يتق ويصبر . فانها لا تعمى الابصار، ومن لطيف ذلك ما تجده فى آخر هذه الابيات التى أنشدها الجاحظ لبعض الحجازيين

إِذَا طَمَعٌ يَوْمًا عَرَانِى قَرَيْتُهُ كَتَائِبَ يَأْسٍ كَرَّهَا وَاطِّرَادُهَا
أَكُدُّ ثِمَادِى وَالْمِيَاهُ كَثِيرَةٌ أُعَالِجُ مِنْهَا حَفْرَهَا وَاكْتِدَادُهَا (١)
وَارْضَى بِهَا مِنْ بَحْرِ آخَرَ إِنَّهُ هُوَ الرِّىُّ أَنْ تَرْضَى النُّفُوسُ ثِمَادَهَا

ومما تصنعه إن فى الكلام انك تراها تهيء النكرة لأن تكون مبتدأ كقوله

إِنَّ شِوَاءً وَنِشْوَةً وَخَبَبَ الْبَازِلِ الْأَمُونِ (٢)

وان كانت النكرة موصوفة تراها مع ان أحسن كقوله

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِى بِسُعْدَى لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

ومن تأثير إن فى الجملة انها تغنى عن الخبر نحو

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا وَإِنَّ فِى النَّفْسِ إِنْ مَضَوْا مَهَلَا

فلو أسقط ان لم يحسن الحذف أو لم يسغ (وهكذا اعتبارات النفى) فيستغنى عن التأكيد فى الابتدائى ويحسن تأكيده فى الطلبى ويجب تأكيده بحسب الانكار فى الانكارى ويخرج الكلام فيه على خلاف مقتضى الظاهر والمثل ظاهرة (ثم الاسناد منه الخ) اعلم أن سبب تسمية الاسناد فى هذين القسمين من الكلام عقليا هو استناده إلى العقل دون الوضع لأن اسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة فلا يصير ضرب خبرا عن زيد بواضع اللغة بل بمن قصد اثبات الضرب فعلا له وانما

---

(١) الثماد جمع ثمد وهو الماء القليل (٢) المطية الموثقة الخلق المأمونة العثار

اسْنَادُ الفعلِ أوْ مَعناهُ إلَى مَا هُوَ لهُ عندَ المُتكلِّمِ فى الظَّاهِرِ، كقَوْلِ المُؤْمِنِ أَنْبَتَ اللهُ البقْلَ ، وَقَوْلِ الْجَاهِلِ أَنْبَتَ الرَّبيعُ البقْلَ ، وَكقوْلِكَ جَاءَ زَيْدٌ وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنه لَمْ يَجِئْ * وَمِنهُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ وَهُوَ إسنَادُهُ إلَى

الذى يعود الى واضع اللغة ان ضرب لاثبات الضرب لا لاثبات الخروج وانه لاثباته فى زمان ماض وليس لاثباته فى زمان مستقبل فأما تعيين من ثبت له فانما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ولو كان لغويا لكان حكمنا بأنه مجاز فى مثل قولنا خط أحسن مما وشى الربيع من جهة ان الفعل لا يصح إلا من الحى القادر حكما بأن اللغة هى التى أوجبت أن يختص الفعل بالحى القادر دون الجماد وذلك مما لا شك فى بطلانه (أو معناه) المراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف (فى الظاهر) متعلق بقوله له وانما قال فى الظاهر ليشمل مالا يطابق اعتقاد المتكلم مما يطابق الواقع ومالا يطابقه فأقسام الحقيقة العقلية أربعة مثل لثلاثة منها وهى مايطابق الواقع والاعتقاد جميعا وما يطابق الاعتقاد فقط ومالا يطابق الواقع والاعتقاد أما مثال مايطابق الواقع فقط فقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه: خلق الله الافعال كلها (أنبت الربيع البقل) مثله قول الكفار : وما يهلكنا الا الدهر ، فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على انه متأول بل أطلقه بجهله وعماه اطلاق من يضع الصفة فى موضعها لا يوصف بالمجاز ولكن يقال عند قائله انه حقيقة وهو كذب وباطل (مجاز عقلى) ويسمى مجازا حكميا ومجازا فى الاثبات واسنادا مجازيا (اسناده) أى الفعل

مُلابَسٍ له غيرِ مَا هُوَ له، بتأوُّلٍ؛ وَلهُ مُلابَسَاتٌ شَتَّى، يُلابِسُ الْفَاعِلَ والمَفْعولَ بِهِ، وَالمَصْدَرَ، وَالزَمَانَ، والمكانَ، وَالسَّبَبَ؛ فإسنَادُه إلى الْفَاعِلِ أوِ المفعُولِ بِهِ، إذَا كَانَ مَبْنِيًّا له، حقيقةٌ، كما مَرَّ، وَإلى غَيرِهِمَا لِلْمُلابَسَة

أو معناه (بتأول) متصل باسناده، والتأول من آل إلى كذا رجع إليه ومعناه تطلب المآل من الحقيقة أو الموضع الذى يؤول اليه من العقل، وحاصل ذلك أن تنصب قرينة صارفة للاسناد عن أن يكون الى ما هو (وله) أى للفعل. «واعلم» أن هذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة وذخر يعمد اليه الكاتب البليغ، والشاعر المفلق والخطيب المصقع، وربما يدور بخلدك أن الابداع فيه أمر يستطيعه كل الناس وينجم هذا الظن من انك ترى الرجل يقول أتى بى الشوق الى لقائك وسار بى الحنين الى رؤيتك واشباه ذلك مما تجده لشهرته يجرى مجرى الحقيقة التى لا يشكل أمرها وهو عمرك الله على خلاف ما تظن فانك لتراه يدق ويلطف حتى يمتنع مثله على الفحول البزل وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنق لها. «هذا» وليس كل شىء يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العقلى بسهولة بل تجدك فى كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أن تهيىء الشىء وتصلحه له بشىء تتوخاه فى النظم كقول من يصف جملا

تَنَاسَ طِلابَ الْعَامِرِيَّةِ إِذْ نَأَتْ ... بِأَسْجَحَ مِرْقَالِ الضُّحَى قَلِقِ الضَّفْرِ (١)

---

(١) الاسجح الرقيق المشفر. ومرقال الضحى أى يسرع السير فى الضحى وهو وقت الحر. والضفر حزام الرحل

مَجَازٌ ، كقَوْلِهِم عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ ، وَسَيْلٌ مُفْعَمٌ ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ ، وَنَهَارُهُ صَائِمٌ وَنَهْرٌ جَارٍ ، وَبَنَى الأَمِيرُ المَدِينَةَ ؛ وَقَوْلُنَا بِتَأَوُّلٍ يُخْرِجُ مَا مَرَّ مِنْ قَوْلِ الجَاهِلِ ، ولهذا لَمْ يُحْمَلْ نحوُ قولِهِ

إِذَا مَا أَحَسَّتْهُ الأَفَاعِي تَحَيَّزَتْ شَوَاةُ الأَفَاعِي مِنْ مُثَلَّمَةٍ سُمُرْ (١)

تَجُوبُ لَهُ الظَّلْمَاءَ عَيْنٌ كَأَنَّهَا زُجَاجَةُ شَرْبٍ غَيْرُ مُلْأَى وَلَا صِفْرِ

يريد انه يهتدى بنور عينه فى الظلمات ويمكنه بها أن يخرقها ويمضى فيها ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذى لا يجد السائر شيئا يفرجه به ويجعل لنفسه فيها سبيلا، فلولا أنه قال تجوب له فعاق له بتجوب لما صلحت العين لأن يسند « تجوب » إليها ولكان لا تتبين جهة التجوز فى جعل تجوب فعلا للعين كما ينبغى، وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولا ضطرب عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ ان يصف العين بما وصفها به الآن (مفعم) أى مملوء « سانحة » قال الشيخ عبد القاهر : ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

وذاك انها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما فتكون قد تجوزت فى نفس الكلمة وانما المجاز فى ان جعلتها لكثرة ما تدبر وتقبل كأنها تجسمت من الاقبال والادبار، وليس أيضا على حذف مضاف وإقامة المضاف اليه مقامه وان كانوا يذكرونه منه اذ لو قلنا أريد انما هى ذات إقبال وادبار

---

(١) يقول اذا سار ليلا وأحست به الافاعى وهى بعيدة عن جحورها تحيزت أى تلوت شواتها أى أطرافها او انقبضت جلدتها وتنحت، والمثلمة السمر يريد أخفافها التى ثلمها السير على الحجارة

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرَ كَرُّ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَشِيْ

عَلَى المَجَازِ، مَالَمْ يُعْلَمْ أَوْ يُظَنَّ أَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَهُ، كَمَا اسْتُدِلَّ عَلَى أَنَّ إِسْنَادَ مَيَّزَ فِى قَوْلِ أَبِى النَّجْمِ

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَنْ قُنْزُعِ جَذْبُ اللَّيَالِى أَبْطِىءٍ أَوْ أَسْرِعِى

مجازٌ بقولِهِ عَقِيبَهُ * أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِى * (وأَقْسَامُه

أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى شىء مغسول وإلى كلام عامى مرذول لا مساغ له عند من هو صحيح الذوق، صحيح المعرفة، نسابة للمعانى (نحو قوله أشاب) وقول أبى الاصبع

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ مَعاً وَالدَّهْرُ يَغْدُو مُصَمِّماً جَذَعَا

(أشاب) هو للصلتان العبدى الشاعر الحماسى وبعده

إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِىْ

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِىْ

تَمُوتُ مَعَ المَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِىْ

(ميز) قبله

قَدَ اصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِى عَلَىَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِى كَرَأْسِ الأَصْلَعِ

ميز اى فصل عنه أى عن رأسه والقنزع الشعر المجتمع فى نواحى الرأس وجذب الليالى مضيها وتعاقبها وقوله أبطىء أو أسرعى حال من الليالى على تقدير القول أى مقولا فيها ويجوز أن يكون الامر بمعنى الخبر (أفناه) تمامه

أَرْبعةٌ) لأَنَّ طرَفَيْهِ إمَّا حَقيقتان ،نحوُ أنبتَ الرَّبيعُ البقْلَ ، أوْ مجازَان نحوُ أَحْيَا الأَرْضَ شَبَابُ الزَّمَانِ ، أوْ مُخْتَلِفَان ،نحوُ أَنْبَتَ البقْلَ شبَابُ الزَّمَانِ ،وأحْيَا الأَرْضَ الرَّبيعُ ،وهُوَ فى القُرْآنِ كثيرٌ :وإذَا تُلِيَتْ عَلَيهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إيماناً ، يُذَبِّحُ أبنَاءَهُمْ ، يَنزِعُ عنهما لِبَاسَهُمَا ، يومًا يَجْعَلُ

---

* حَتَّى إذَا وَارَاكَ أُفْقٌ فَارْجِعِى *

(لان طرفيه) وهما المسند والمسند اليه (حقيقتان) لغويتان (نحو أنبت الربيع البقل) مثله قوله

وشَيَّبَ أيَّامُ الفِرَاقِ مَفارِقِى

وقول جرير

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيلانَ فِى السُّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ

(مجازان) لغويان (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) فان المراد باحياء الأرض احداث النضرة والخضرة الناشئة عن تهييج القوى المنمية فيها ، والاحياء فى اللغة اعطاء الحياة ، وهى صفة تقتضى الحس والحركة الارادية والمراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها المنمية ، والشباب فى اللغة كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (وأحيا الارض الربيع) مثله قول أبى الطيب

وَتُحْيِي لَهُ المَالَ الصَّوَارِمُ وَالقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُحيِي التبسمُ وَالْجَدَا

جعل الزيادة والوفور حياة للمال ، وتفريقه فى العطاء قتلا له ، ثم أثبت الاحياء فعلا للصوارم ، والقتل فعلا للتبسم ، مع ان الفعل لا يصح منهما ، ونحوه قولهم أهلك الناس الدينار والدرهم ، جعلت الفتنة اهلاكا ثم أثبت الاهلاك فعلا للدينار والدرهم (واذا تليت الخ) فأثبت الفعل فى جميع ذلك لما

الوِلْدَانَ شِيبًا ، وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وغَيرُ مُخْتَصٍّ بالخبرِ بلْ يَجْرِى فى الإِنْشَاءِ نحوُ : ياهَامَانُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا . ولابُدَّ لهُ منْ قَرِينَةٍ لَفْظِيَّةٍ ، كما مرَّ ، أو مَعنَوِيَّةٍ ، كاسْتِحَالَةِ قِيَامِ المُسْنَدِ بالمَذْكُورِ عَقْلاً كقوْلِكَ مَحَبَّتُكَ جَاءَتْ بى إِلَيْكَ ، أوْ عَادَةً نحوُ هَزَمَ الأَمِيرُ الْجُنْدَ وَصُدُورِهِ عَنِ المُوَحِّدِ فى مِثْلِ : أَشَابَ الصغيرَ . وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ إِمَّا

لايثبت له فعل ، إذا رجعنا إلى المعقول ، على معنى السبب (أثقالها) ما كنز فيها وأودع جوفها (نحو ياهامان ابن لى صرحا) فأثبت البناء لهامان وانما هو للعملة وهامان آمر (كما مر) يريد قول أبى النجم : أفناه قيل الله (بالمذكور) أى بالمسند اليه المذكور مع المسند (ومعرفة حقيقته) قال الامام عبد القاهر : اعلم انه ليس بواجب فى هذا المجاز أن يكون للفعل فاعل فى التقدير اذا أنت أسندت الفعل اليه عدت به إلى الحقيقة ، مثل انك تقول فى ربحت تجارتهم ربحوا فى تجارتهم ، فان ذلك لا يتأتى فى كل شىء ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل فى قولك أقدمنى بلدك حق لى فاعلا سوى الحق ، وكذا لاتستطيع فى قوله

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِى لِحَيْنِى يُضْرَبُ المَثَلُ

وقوله يزيدك وجهه ، ألبيت ، أن تزعم أن له فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى ولوجهه ؛ فالاعتبار اذن بأن يكون المعنى الذى يرجع اليه الفعل موجودا فى الكلام على حقيقته . معنى ذلك أن القدوم موجود على الحقيقة ، و كذلك الصيرورة والزيادة موجودتان على الحقيقة ، واذا كان معنى اللفظ موجودا

ظَاهِرةٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم، أَيْ فَمَا رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِم، وَإِمَّا خَفِيَّةٌ، كَمَا فِي قَوْلِكَ: سَرَّتْنِي رُؤْيَتُكَ، أَيْ سَرَّنِي اللهُ عِنْدَ رُؤْيَتِكَ، وقوله

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون فى الحكم . قال الرازى : فيه نظر لأن الفعل لابد من أن يكون له فاعل حقيقة لامتناع صدور الفعل لا عن فاعل فهو ان كان ما أسند اليه الفعل فلا مجاز والا فيمكن تقديره ؛ فزعم السكاكى أن الحق فى جانب الرازى ، وان فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى وتبعه المصنف فى ذلك ؛ قال التفتازانى : وفى ظنى ان هذا تكلف والحق ماذكره الامام : وهذا صحيح لأن تقدير الفاعل الموجد ، وهو الله تعالى ، فى مثل هذه الأفعال تقدير لما لا يقصد فى الاستعمال . ولا يتعلق به الغرض فى التراكيب (يزيدك) هو لأبى نواس من قصيدة يهجو فيها الاعراب لتعشقهم النساء دون الغلمان ، ومثله قول حاجز بن عوف

أَبِي عَبَرَ الفَوَارِسَ يَوْمَ دَاجٍ وَعَمِّي مَالِكٌ وَضَعَ السِّهَامَا (١)

فَلَوْ صَاحَبْتَنَا لَرَضِيتَ عَنَّا اذا لَمْ تَغْبُقِ المِائَةُ الغُلَامَا (٢)

يريد إذا كان العام عام جدب ، وجفت ضروع الابل ، حتى إن حلب منها مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد . فالفعل الذى هو غبق

---

(١) عبر الفوارس وزنها وعرف عددها وقوتها واحتال بعد ذلك بالهزيمة عند ما عرفه العدو حتى رجع إلى قومه وكانوا كامنين فثاروا على أعدائهم وقتلوهم . ويوم داج أى يوما داجيا أى مظلما بالسحاب

(٢) أى إذا لم يكف لبن مائة ناقة لغبوق غلام واحد ، أى عند الجدب

أى يزيدُكَ اللهُ حُسْناً فى وَجْهِهِ ؛ وَأَنْكَرَهُ السَّكاكِىُّ ذاهباً إِلَى أَنَّ مَامَرَّ وَنحوَهُ اسْتِعَارَةٌ بِالكِنَايَةِ، عَلَى أَنَّ المُرَادَ بالرَّبيعِ الفاعِلُ الحَقِيقِىُّ بِقَرِينَةِ نِسْبَةِ الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ، وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ غيرُهُ . وَفيهِ نَظَرٌ : لِأَنَّه يَسْتَلْزِمُ أَنْ يكُونَ المُرَادُ بِعِيشَةٍ فِى قَوْلِهِ تَعَالى فى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ صَاحِبَهَا كَماسَيَأْتِى، وَأَنْ لَاتَصِحَّ الإِضَافَةُ فى نحوِ نَهارُهُ صَائِمٌ ، لِبُطْلَانِ إِضَافَةِ الشَّىْءِ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَنْ لا يكُونَ الأَمْرُ بِالْبِنَاءِ لِهامَانَ، وَأَنْ يَتَوَقَّفَ نحوُ أَنْبتَ

مستعمل فى نفسه على حقيقته ، والمجاز فى إسناده إلى الابل وجعله فعلا لها (وأنكره السكاكى) وهاك ما قاله : الذى عندى هو نظم هذا النوع فى سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى بوساطة المبالغة فى التشبيه وجعل نسبة الانبات إليه قرينة للاستعارة ؛ وبجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة (وفيه نظر) إن ما أورده المصنف على مذهب السكاكى لا يتم إلا إذا كان المراد بالمشبه نفس المشبه به حقيقة والسكاكى صرح بان المراد المشبه به ادعاء،فاعرف هذاحتى تكون على بصيرة من الأمر ، نعم قد ردوا مذهبه فى الاستعارة بالكناية بما يصعب دفعه وسيمر بك فى محله (أن يكون المراد بعيشة صاحبها) وهو باطل إذلامعنى لقولنا فهو فى صاحب عيشة (كما سيأتى) يريد تفسير الاستعارة بالكناية على مذهب السكاكى (وأن لاتصح الاضافة) لأن المراد بالنهار حينئذ فلان نفسه . يعنى وقد وقعت هذه الاضافة فى البلغ من الكلام : فما ربحت تجارتهم (وأن لايكون الأمر بالبناء لهامان) لأن المراد به حينئذ هو العملة أنفسهم واللازم باطل لأن النداء له والخطاب معه (وأن يتوقف) لأن أسماء الله

الرَّبيعُ الْبقلَ عَلَى السَّمْعِ ؛ وَاللَّوَازِمُ كُلُّهَا مُنْتفيَةٌ ؛ وَلِانَّهُ يَنْتَقِضُ بنحو نهارُهُ صائِمٌ ، لاشْتِمَالِهِ عَلَى ذِكْرِ طَرَفِي التَّشْبِيهِ .

﴿ أحوالُ المسنَدِ إليه ﴾

أَمَّا حَذْفُهُ فَلِلِاحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ بِناءً عَلى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ العُدُولِ إِلَى أَقْوَى الدَّلِيلَيْنِ مِنَ الْعَقْلِ وَاللَّفْظِ كقَوْلِهِ :

توقيفية ، يعنى وليس كذلك ، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع سمع من الشارع أو لم يسمع (لاشتماله الخ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستعارة كما صرح به السكاكى ، لكن أجابوا عن هذا بأن ذلك إنما يكون مانعاً إذا كان ذكرهما على وجه ينبىء عن التشبيه مثل زيد أسد «وبعد» فقد اعتاد السكاكى أن يخالف أئمة البلاغة فيما لاغناء فى مخالفتهم فيه ! وما كان أغنانا عن معرفة مذهبه هذا . وحبذا عمل المصنف لو أنه جعله دبر إذنه (أما حذفه) قال عبد القاهر يصف الحذف : إنه لعجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن (فللاحتراز الخ) يقول : إن المسند إليه - بعد أن تدل عليه القرينة - تختلف مقاصد البلغاء من حذفه ، فتارة يكون الغرض التحرز عن العبث لأن ذكره يعد عبثاً لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به ، وأخرى يكون لتخييل أن فى تركه تعويلا على شهادة العقل وفى ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكم بين الشهادتين ؛ إلى آخر ما ذكره ، هذا ، وإنما قال تخييل لأن الدال حقيقة

* قَالَ لِي كَيْفَ أَنتَ قُلْتُ عَلِيلُ * أَوِ اخْتِبَارٍ تَنَبُّهِ السَّامِعِ عِنْدَ القَرِينَةِ، أَوْ مِقْدَارِ تَنَبُّهِهِ، أَوْ إِيهَامِ صَوْنِهِ عَنْ لِسَانِكَ، أَوْ عَكْسِهِ، أَوْ تَأَتِّي الإِنْكَارِ لَدَى الحَاجَةِ، أَوْ تَعَيُّنِهِ، أَوِ ادِّعَاءِ التَّعَيُّنِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ،

عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرائن (قال لى) تمامه :
* سهر دائم وحزن طويل * فلم يقل أنا عليل للاحتراز أو التخييل . وربما يكون الحذف لغير ذلك لأن لكل امرئ فى باب البلاغة ما نوى (أو ايهام صونه عن لسانك) تعظيما له (أو عكسه) أى إيهام صون لسانك عنه تحقيراً له (أو تأتى) أى تيسر الانكار عند الحاجة إلى الانكار ، نحو نذل لئيم ، عند قيام القرينة على ان المراد زيد ، ليتأتى لك أن تقول ما أردت زيداً بل غيره (أو نحو ذلك) كاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل رمية من غير رام . وشنشنة(١) أعرفها من أخزم ، أو على ترك نظائره كما فى الرفع على المدح أو الذم او الترحم ، فانهم لا يكادون يذكرون فيه المبتدأ ؛ قال :

هُمُ حَلَوٌّ مِنَ الشَّرَفِ المُعَلَّى وَمِنْ كَرَمِ العَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُا
بُنَاةُ مَكَارِمٍ وَأُسَاةُ كَلْمٍ دِمَاؤُهُمُ مِنَ الكَلَبِ الشِّفَاءُ

وقال الحماسى :

رَآنِي عَلَى مَابِي عُمَيْلَةُ فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالَى أَسَرَّ كَمَا جَهَرْ

---

(١) هو لأبى أخزم الطائى وكان له ابن عاق يقال له أخزم فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم أبى أخزم فأدموه فقال

إن بنى ضرجونى بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

يعنى ان هؤلاء أشبهوا أباهم فى العقوق ، والشنشنة : الطبيعة والعادة

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلِكَوْنِهِ الأَصْلَ وَلاَ مُقْتَضِيَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، أَوْ لِلاِحْتِيَاطِ

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالخَيْرِ يافِعًا له سيميا لا تَشُقُّ على البَصَرْ

وقال الأقيشر فى ابن عم له موسرسأ له فمنعه فشكاه إلى القوم وذمه فوثب إليه ابن عمه ولطمه :

سَرِيعٌ اِلَى ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ اِلَى دَاعِى النَدَى بسريع

حَرِيصٌ على الدُنيا مُضيعٌ لدِينِهِ وَلَيْسَ لِمَا فِى بَيْتِهِ بِمُضِيع

ومنه قولهم ـ بعد أن يذكروا الرجل ـ فتى من شأنه كذا وكذا ، وأغرمن صفته كيت وكيت كقوله :

سأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى أَيَادِىَ لَم تُمنَنْ وَإِنْ هِىَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عَن صَدِيقِه ولا مُظْهِرُ الشَكْوَى اذَا النعلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِى مِنْ حَيثُ يَخْفَى مَكَانُها فَكَانَتْ قَذَى عَينَيْهِ حَتَّى تجلَّتِ

وقوله :

فَتًى كَانَ يُدْنِيهِ الغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ اذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الفَقْرُ

فَتًى لَا يَعُدُّ المَالَ رَبًّا وَلَا تُرَى بِهِ جَفْوَةٌ اِنْ نَالَ مَالًا وَلَا كِبْرُ

فَتًى كَانَ يُعْطِى السَيْفَ فِى الرَوْعِ حَقَّهُ اذَا ثَوَّبَ الدَاعِى وَتَشْقَى بِهِ الجُزُرُ

وقول جميل :

وَهَلْ بُثَيْنَةُ يَا لَلنَّاسِ قَاضِيَتِى دَيْنِى وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا

تَرَنُو بِعَيْنَىْ مَهَاةٍ أَقْصَدَتْ بِهِمَا قَلْبِى عَشِيَّةَ تَرْمِينِى وَأَرْمِيهَا

لِضَعْفِ التعْوِيلِ عَلَى القَرِينَةِ ، أَوْ لِلتَنْبِيهِ عَلَى غَبَاوَةِ السَامِعِ ، أَوْ زِيادَةِ الإِيضَاحِ وَالتقْرِيرِ ، أَوْ إِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ ، أو إهانته ، أو التَّبَرُّكِ بذكره ، أو اسْتِلْذَاذِهِ ، أو بَسْطِ الكلامِ حَيثُ الإِصغَاءُ مَطْلوبٌ ، نحوُ هِيَ عَصَايَ *

هَيفاءُ مُقْبِلَةً عجزاءُ مُدْبِرَةً رَيَّا العِظامِ بِلينِ العَيْشِ غَاذِيها

وبعد أن يذكروا الديار والمنازل : ربع كذا وكذا ، قال

اعْتَادَ قلبكَ مِنْ لَيلَى عَوائِدُهُ وَهَاجَ أهواءكَ المَكْنُونَةَ الطَلَلُ

رَبْعٌ قَوَاءٌ أَذَاعَ المُعْصِراتُ بِهِ وكلُّ حَيرانَ سارٍ مَاؤُهُ خَضِلُ (١)

وهذه طريقة مستمرة عندهم . « هذا » ومن لطيف الحذف قول بكر ابن النطاح

العَيْنُ تُبْدِي الحُبَّ والبُغْضَا وَتُظْهِرُ الإِبْرَامَ والنَقضَا

دُرَّةُ مَا انْصَفَتْنِي فِي الهَوى وَلاَ رَحِمَتْ الجِسمَ المُنضَى

غَضْبَى وَلا وَاللهِ يا أَهْلَهَا لا أَطْعَمُ البَارِدَ أَوْ تَرْضَى

التقدير هي غضبى . وهذا شعر يمتزج أجزاء النفوس ، ويصل إلى القلوب بلا آذان (أو إظهار تعظيمه أو إهانته) كما فى بعض الاسامى المحمودة أو المذمومة (حيث الاصغاء مطلوب) أى فى مقام يكون إصغاء السامع

---

(١) أذاع المعصرات: أنزلت ماءها بكثرة. والحيران السارى هو المزن يجرى ليلا .

وَأَمَّا تعريفُه: فبالإضمارِ لأنَّ المقامَ للتَّكلُّمِ أو الخطابِ أو الغيبةِ. وأصلُ الخطابِ أنْ يكونَ لمعيَّنٍ، وقد يُتْرَكُ إلى غيرِهِ ليعمَّ كلَّ مخاطَبٍ نحوُ وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُسِهِمْ عندَ رَبِّهِمْ، أى تناهتْ حالُهُمْ فى الظُّهورِ، فلا يختصُّ بها مخاطَبٌ. وبالعلميَّةِ لإحضارِهِ بعينِهِ فى ذهنِ السامعِ

مطلوبا للمتكلم لشرفه ولذلك يطال الكلام مع الأحباء (للتكلم) كقول بشار

أَنَا المُرَعَّثُ لاَ أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ لِلْقَاصِى وَلِلدَّانِى (١)

(أو الخطاب) كقول الحماسى

وَأَنْتَ الَّذِى أَخْلَفْتَنِى ماوَعَدْتَنِى ... وَأَشْمَتَّ بِى مَنْ كانَ فِيكَ يَلُومُ

(أو الغيبة) لكون المسند إليه مذكورا أو فى حكم المذكور لقرينة كقول أبى تمام

بِيُمْنِ أَبِى إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ العُلَى ... وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ واشْتَدَّ كاهُلُهْ

هُوَ البَحْرُ مِنْ أَىِّ النَّوَاحِى أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المَعْرُوفُ والجودُ سَاحِلُهْ

وقوله تعالى ولأبويه لكل واحد منهما السدس أى ولابوى الميت (لمعين) واحداً أو كثيرا (ليعم كل مخاطب) على سبيل البدل لا على سبيل التناول دفعة واحدة (نحو ولو ترى) وكما تقول: فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد مخاطباً بعينه بل تريد إن أكرم أو أحسن إليه قصدا إلى أن سوء معاملته لايختص بواحد دون واحد (ناكسو رؤسهم) من الحياء والخزى (بها) أى برؤية حالهم (وبالعلمية)

(١) كان بشار يلقب بالمرعث لرعثة كانت له فى صغره، والرعثة القرط الذى يعلق فى شحمة الأذن؛ وذرت الشمس طلعت.

ابتداءً باسمٍ مُختَصٍّ به، نحوُ: قل هو الله أحدٌ؛ أو تعظيمٍ، أو إهانةٍ أو كنايةٍ، أو إيهامِ استِلذاذِه، أو التبرُّكِ به، أو نحوِ ذلك. وبالموصوليَّةِ لعدَمِ علمِ المخاطَبِ بالأحوالِ المختصَّةِ به سوى الصِّلةِ، كقولِك: الذي كان معنا أمسِ رجلٌ عالِمٌ، أو استِهجانِ التصريحِ بالاسمِ، أو زيادةِ التقريرِ؛ نحوُ

أى تعريف المسند إليه بايراده علما (نحو قل هو الله أحد) هو ضمير الشان مبتدأ أول والله مبتدأ ثان والجملة خبره، فقد ورد المسند إليه علما لأجل إحضاره فى الذهن ابتداء بجميع مشخصاته التى قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها، باسم خاص به تعالى؛ ونحوه قول الشاعر

أَبُو مَالِكٍ قاصِرٌ فَقْرُهُ ... عَلَى نفسِهِ وَمُشِيعٌ غِناه

وقول الآخر

أَللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُم ... حَتَّى عَلَوْا فَرَسِى بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ

(أو تعظيم أو إهانة) كما فى الكنى والالقاب المحمودة والمذمومة (أو كناية) حيث الاسم صالح لها، ومما وود صالحا للكناية من غير باب المسند اليه قوله تعالى: تبت يدا أبى لهب، كناية عن كونه جهنميا (أو ايهام استلذاذه) نحو قوله

بِاللهِ يَاظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا ... لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

(أو نحو ذلك) مما يناسب اعتباره فى الاعلام كالتفاؤل والتطير (أو استهجان التصريح بالاسم) قال السكاكى: والعدول عن التصريح باب من البلاغة يصار اليه كثيرا، وان أورث تطويلا؛ يحكى عن شريح أن عدى بن أرطاة أتاه ومعه امرأة له من أهل الكوفة

وَرَاوَدَتْهُ التى هُوَ فى بَيْتها عَنْ نَفْسِهِ، أو التفخيم نَحْوُ: فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَاغَشِيَهُمْ ، أوْ تَنْبيهِ المخاطَبِ عَلَى خَطَأٍ نَحْوُ :

يخاصمها فلما جلس بين يدى شريح قال عدى : اين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط . قال : إنى امرؤ من أهل الشام، قال : بعيد سحيق ، قال : وإنى قدمت العراق، قال: خير مقدم ، قال: وتزوجت هذه قال : بالرفاء والبنين قال: وإنها ولدت غلاماً قال: ليهنك الفارس قال: وأردت أن أنقلها إلى دارى ، قال: المرء أحق بأهله قال : قد كنت شرطت لها وكرها قال: الشرط أملك قال: اقض بينا قال فعلت قال : فعلى من قضيت قال: على ابن أمك . عدل شريح عن لفظ عليك لئلا يواجهه بالتصريح على مايشق على المخاصم من القضاء عليه (نحو وراودته) فالكلام مسوق لنزاهة يوسف وطهارة ذيله والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا ، ومما هو نص فى زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام فى غير المسند إليه بيت السقط

أعُبَّادَ المَسِيحِ يَخافُ صَحْبى وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ المَسِيحَا

فانه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله (نحو فغشيهم) وقوله تعالى : والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى : ومثله قوله

مَضى بِهَا مَامَضى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفى الزُّجَاجَةِ باقٍ يَطْلُبُ الباقى

ومنه فى غير هذا الباب بيت الحماسة

صَبامَاصَبَا حَتَّى عَلاَالشَّيْبُ رَأْسَه فَلَمَّا عَلاَه قالَ لِلْباطِلِ ابْعَدِ

فان مامفعول ، وقول أبى نواس

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغُوَاةِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْوِ حَيثُ أَسَامُوا

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

أو الايماء الى وجه بناء الخبر نحو: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ؛ ثم إنه ربما جُعِلَ ذريعةً الى التعريض بالتعظيم لشأنه نحوُ

وَبلغتُ مَا بلغَ امْرُؤٌ بِشَبابِهِ فإذا عُصارَةُ كلِّ ذاكَ أثامُ (١)

(نحو ان الذين) ففيه من التنبيه على خطأهم فى هذا الظن ما ليس فى قولك ان القوم الفلانى . والبيت لعبدة بن الطيب من قصيدة يعظ فيها بنيه (أو الايماء إلى وجه بناء الخبر) يقول : قد يعرف المسند اليه بالموصولية لما فى صلته من الاشارة الى نوع الخبر من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم مثلا ، وحاصله أن يؤتى بالفاتحة على وجه ينبه الفطن على الخاتمة نحو ان الذين يستكبرون الآية ، ففى مضمون الصلة الذى هو الاستكبار ايماء إلى أن الخبر أمر من جنس الاذلال والعقوبة ؛ قال السكاكى : ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة، ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم كقولك: الذى يرافقك يستحق الاجلال والرفع والذى يفارقك يستحق الاذلال والصفع ، ومنه قولهم جاء (٢) بعد اللتيا والتى ، أو بالاهانة كما إذا قلبت الخبر فى الصورتين وربما جعل

---

(١) أثام كسلام جزاء الاثم

(٢) قال السكاكى فى فصل الايجاز : وقول العرب جاء بعد اللتيا والتى بترك صلة الموصول ايثارا للايجاز تنبيها على أن المشار اليهما باللتيا والتى وهى المحنة والشدائد بلغت من شدتها وفظاعة شأنها مبلغا يبهت الواصف معها حتى لا يحير ببنت شفة .

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَماءَ بَنَى لَنا بَيْتاً دَعائِمُهُ أَعزُّ وَأَطْوَلُ

أو شأنِ غيرِهِ نحو : الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ .

* وَبِالْإِشَارَةِ لتمييزِهِ أَ كمل تمْيِيزٍ نحوُ قولِهِ

* هَذا أَبُو الصَّقْرِ فَرْدًا فِي مَحاسِنِهِ *

ذريعة إلى تعظيم شأن الخبر كقول الفرزدق * ان الذى سمك السماء * ألبيت فان فيه إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة والبناء ؛ ثم فى هذا الايماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث أنه فعل من رفع السماء ، أو تعظيم شأن غير الخبر نحو الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ، ففيه إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الخسران وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شعيب وفى هذه الاعتبارات كثرة : فحم لها حول ذكائك « هذا » وقد يقصد بالموصول الحث على التعظيم نحو جاء الذى علمك أو التحقير نحو جاء الذى سألك أو التهكم كقوله تعالى . يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون ولطائف هذا الباب لا تكاد تضبط (لتمييزه أكبر تمييز) لغرض من الاغراض كأن يكون فى مقام المدح وفى حال اجراء أوصاف الرفعة ونعوت الاثرة (نحو هذا أبو الصقر) مثله قوله

وَإِذا تأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرْبِلٍ سِرْبَالَ لَيْلٍ أَغْبَرِ

أَوْمَا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذا طارِقٌ نَحَرَتْنِيَ الأَعداءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي

وقول المتنبى

أولئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَا وَإِنْ عاهَدوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أو التعريض بغباوة السامع كقوله :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... إذا جمعتنا ياجرير المجامع

أو بيان حاله فى القرب، أو البعد، أو التوسط؛ كقولك: هذا أو ذلك أو ذاك زيد؛ أو تحقيره بالقرب نحو: أهذا الذى يذكر آلهتكم؛ أو تعظيمه بالبعد نحو: الم ذلك الكتاب؛ أو تحقيره كما يقال: ذلك اللعين فعل كذا، أو للتنبيه عند تعقيب المشار اليه بأوصاف على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها نحو: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم

والبيت لابن الرومى وتمامه ✲ من نسل شيبان بين الضال والسلم ✲ الضال هو السدر، والسلم شجر ذو شوك، وهما من شجر البوادى؛ وأشار بذلك إلى ما تتمادح به العرب من سكنى المادية لأن العز مفقود فى الحضر (أو التعريض بغباوة السامع) وانه لا يتميز الشىء عنده إلا بالحس (أولئك آبائى) هو للفرزدق من قصيدة يفتخر فيها على جرير (نحو هذا أو ذلك أو ذاك) فهذا زيد فى حال القرب وذلك فى حال البعد وذاك فى حال التوسط وانما أخر لأنه انما يتحقق بعد تحقق الطرفين (أهذا الذى يذكر آلهتكم) مثله قوله تعالى: وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وقوله تعالى، وهو من غير باب المسند اليه، ماذا أراد الله بهذا مثلا، وقول الشاعر

تقول وَدَقَّتْ صَدْرَها بِيَمِينِهَا ... أَبَعْلِىَ هٰذا بالرَّحَا المتقاعِسُ (١)

(نحو ذلك الكتاب) ذهابا إلى بعد درجته؛ ونحوه: فذلكن الذى لمتننى فيه؛ لم تقل فهذا ـ وهو حاضر ـ رفعا لمنزلته فى الحسن وتمهيدا للعذر فى الافتتان به (نحو أولئك على هدى) فقد عقب المشار اليه وهو المتقين

---

(١) المتقاعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره

المُفْلِحُون. وَباللَّامِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَعْهُودٍ، نحوُ: وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالْأُنْثَى.

بأوصاف هى الايمان بالغيب وإقام الصلاة وغير ذلك ثم عرف المسند اليه بالاشارة تنبيهاً على أن المشار اليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلا والفوز والفلاح اجلا من أجل اتصافهم بالاوصاف المذكورة. ومثل ذلك قول عروة بن الورد

لحا اللهُ صعلوكاً إِذَا جَنَّ لَيْلُه ... مُصَافِى المُشَاشِ (١) آلِفاً كلَّ مَجْزَرِ

يَنامُ ثقيلاً ثمَّ يُصْبِح قَاعِدًا ... يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ

يُعِينُ نِسَاءَ الحَىِّ مَا يَسْتَعِنَّه ... فَيُضْحِى طَلِيحًا كالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ

وَلَكِنَّ صعْلُوكاً صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابِسِ المُتَنَوِّرِ

مُطِلاًّ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَه ... بِسَاحَتِهِم زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

وَإِن بَعُدُوا لا يأمَنُونَ اقْتِرَابهُ ... تشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المتَنَظِّرِ

فَذَلِك إن يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيداً وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوماً فأَجْدِرِ

عدد له خصالا فاضلة كما ترى ثم عقب هذا بقوله فذلك فأفاد أنه حرى بما ذكر بعده لأجل اتصافه بتلك الخصال (معهود) بين المتكلم والمخاطب لتقدم ذكره صريحاً أو كناية كما فى الآية، أو لعلم المخاطب به نحو إذ هما

---

(١) المشاش جمع مشاشة قيل هى رؤس المفاصل مثل الركبتين وفى اضافة مصافى إلى المشاش من التهكم مالا يخفى، والمجزر موضع جزر الابل. والمتعفر المتترب. والبعير المحسر هو المعيي وقوله وان بعدوا الخ على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا.

أَى لَيْسَ الذى طَلَبَتْ كالتى وُهِبَتْ لها ، أَوْإلى نَفْسِ الْحَقيقَةِ كقولِكَ الرَّجُلُ خيرٌ من المرْأَةِ؛وَقَد يأتي لواحِدٍ باعْتِبارِ عَهْدِيَّتِهِ فى الذِّهْنِ كقولك أَدْخُلِ السُّوقَ حيثُ لا عَهدَ ؛ وَهذا فى المعنَى كالنَّكِرَةِ ، وَقَدْ يُفِيدُ

فى الغار ونحو : إذ يبايعونك تحت الشجرة ، وكقولك لمن فوق سهما : القرطاس . أو لحضوره نحو هذا الرجل ، ياأيها الرجل (أى ليس الذى الخ) أى ليس الذكر الذى طلبته امرأة عمران كالأنثى التى وهبت لها أى فاللام فى الأنثى اشارة إلى معهود تقدم فى قوله تعالى : قالت رب إنى وضعتها أنثى؛لكنه ليس مسندا اليه لأنه مجرور بالكاف واللام فى الذكر إشارة إلى ما سبق ذكره كناية فى قوله تعالى : رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فان لفظ ما وإن كان يعم الذكور والأناث إلا أن التحرير وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس انما كان للذكور دون الأناث (إلى نفس الحقيقة) بصرف النظر عن عمومها وخصوصها (الرجل خير من المرأة) مثله الدينار خير من الدرهم وقول المعرى

والخِل كالماء يُبْدِى لى ضَمائِرَهُ مَع الصَّفَاءِ وَيُخْفيها مَع الكَدَرِ

وقوله تعالى . وهو من غير هذا الباب : وجعلنا من الماء كل شىء حى . أى جعلنا مبدأ كل شىء حى هذا الجنس الذى هو الماء (يأتى) أى المعرف بلام الحقيقة (باعتبار عهديته فى الذهن) لمطابقته الحقيقة (أدخل السوق) فاشير باللام إلى الحقيقة لكن فى ضمن بعض الافراد لقيام القرينة على ذلك ومثله قوله تعالى:وأخاف أن يأكله الذئب (فى المعنى) وأما فى اللفظ فتجرى عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفا بها ونحو ذلك (كالنكرة) فيعامل معاملتها ويوصف بالجملة كقوله

* وَلقد أَمُرُّ عَلَى اللئيم يَسُبُّنى *

الِاسْتِغْرَاقَ ، نَحْوُ : «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ : حَقِيقِيٌّ نَحْوُ : عَالِمُ

وانما لم يقل نكرة لما بينهما من تفاوت ما وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة وهذا معناه نفس الحقيقة وانما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر (نحو ان الانسان) فاشير باللام الى الانسانية فى ضمن كل فرد من أفرادها بدليل الاستثناء الذى هو معيار العموم لأن شرطه دخول المستثنى فى المستثنى منه لو لم يذكر هذا، والحاصل أن المراد باسم الجنس المعرف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الافراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه علم الجنس كأسامة، وإما فرد معين وهو العهد الخارجى . ونحوه العلم الخاص كزيد ، وإما فردغير معين وهو العهد الذهنى ونحوه النكرة كرجل ، وإما كل الافراد وهو الاستغراق ، ونحوه لفظ كل مضافا إلى النكرة كقولنا كل رجل (وبعد) فقد قال استاذنا الشيخ محمد عبده فى تفسير سورة والعصر : ان الاستغراق بأل فى لسان العرب ليس كالاستغراق بلفظ كل وليست ال مساوية لكل التى تضاف إلى النكرة ويراد بها تعميم الحكم فى جميع أفراد الجنس وانما يراعى فى ال استغراق المعهود عند المخاطبين لأنها فى لسانهم للعهد وتعريف الجنس إما فى فرد أو افراد ولن تفارق العهد ابداً وكذلك التى يسميها النحاة للعهد الذهنى ويتحيرون فى الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم إن الفرق فى اللفظ واجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه ، وهو وهم فاسد . وهذا كلام من قتل اللغة علما، واحاط بأسرارها خبرا (وهو) أى الاستغراق (حقيقى) وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ لغة

الغَيْبِ وَالشهادةِ، أىْ كُلِّ غَيْبٍ وَشهادَةٍ؛ وَعُرْفِىٌّ، كقولنا: جمعَ الأمِيرُ الصاغةَ، أىْ صَاغةَ بَلَدِهِ أَوْ مَمْلَكتِهِ. وَاسْتِغْرَاقُ المفردِ أَشْمَلُ؛ بِدَلِيلِ صِحَّةِ لاَ رِجَالَ فى الدَّارِ، إذا كانَ فِيها رَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، دُونَ لا رَجُلَ وَلا تَنافِىَ بَيْنَ الاسْتِغْرَاقِ وَإفْرَادِ الاسْمِ، لأَنَّ الحَرْفَ إنما يَدْخُلُ عليهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الوَحْدَةِ، وَلأَنَّهُ بمعنى كلِّ فَرْدٍ لا مَجْمُوعِ الأَفْرَادِ، وَلهذا

(وعرفى) وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف (أى صاغة بلده أو مملكته) لا صاغة الدنيا (واستغراق المفرد أشمل) هذه العبارة قد اشار الى مغزاها جار الله الزمخشرى فى كشافه، ومعناها أن اسم الجنس المفرد إذا دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفى كان شموله للافراد أكثر من شمول المثنى والجمع الداخل عليهما تلك الاداة وذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الافراد والمثنى انما يتناول كل اثنين اثنين ولا ينافيه خروج الواحد والجمع انما يتناول كل جماعة جماعة ولا ينافيه خروج الواحد والاثنين. ودليل ذلك صحة لا رجال فى الدار اذا كان فيها رجل أو رجلان وعدم صحة لا رجل اذا كان فيها رجل أو رجلان، هذا، وقد قالوا ان كلام المصنف مسلم فى النكرة المنفية دون المعرف باللام لأن الجمع المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الافراد بل هو فى ذلك أقوى من المفرد (ولا تنافى) هذا جواب عن سؤال أورده السكاكى وهو ان إفراد الاسم ينافى أن تكون الاداة الداخلة عليه للاستغراق لأن الافراد يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد (الحرف) الدال على الاستغراق كحرف النفى ولام التعريف (عليه) أى على الاسم المفرد

امْتنعَ وَصفُهُ بنعتِ الجمعِ . وَبالإضافةِ لِأنها أَخْصَرُ طَرِيقٍ نحوُ:

* هَوَاىَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ * أَوْ تَضَمُّنِهَا تَعْظِيماً لِشَأْنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَوِ الْمُضَافِ، أَوْ غَيْرِهِمَا، كَقَوْلِكَ: عَبْدِى حَضَرَ، وَعَبْدُ الْخَلِيفَةِ رَكِبَ، وَعَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِى؛ أَوْ تَحْقِيراً نحو: وَلَدُ الْحَجَّامِ حَاضِرٌ

(امتنع وصفه بنعت الجمع) ولا اكتراث بما حكاه الاخفش فى الدينار الصفر والدرهم البيض (لأنها الخ) أو لاغنائها عن تفصيل متعذر كقوله

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ ... أُسُودٌ لَهَا فِى غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ

أو لتضمنها اعتبارا لطيفا مجازيا كقوله

إِذَا كَوْكَبُ الْخَرْقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَةٍ ... سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِى الْقَرَائِبِ

(لانها أخصر طريق) والمقام مقام اختصار (هواى) هو لجعفر بن علبة الحارثى من أبيات قالها وتمامه

جَنِيبٌ وَجُثْمَانِى بِمَكَّةَ مُوثَقُ

وبعده

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ ... إِلَىَّ وَبَابُ السِّجْنِ دُونِى مُغْلَقُ

أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ ... فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

فَلَا تَحْسَبِى أَنِّى تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ ... لِشَىْءٍ وَلَا أَنِّى مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ

وَلَا أَنَّ قَلْبِى يَزْدَهِيهِ وَعِيدُهُمْ ... وَلَا أَنَّنِى بِالْمَشْىِ فِى الْقَيْدِ أَخْرَقُ

وَلَكِنْ عَرَتْنِى مِنْ هَوَاكِ ضَمَانَةٌ ... كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلإِفْرَادِ، نَحْوُ: وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى، أَوِ النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ: وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ، أَوِ التَّعْظِيمِ، أَوِ التَّحْقِيرِ، كَقَوْلِهِ:

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ

« الضمانة الحب والعشق » وهواى بمعنى مهوى فهو أخصر من الذى أهواه ونحوه ، ومصعد مبعد ذاهب فى الارض

(فللافراد) وقد ينكر لكون المقام غير صالح للتعريف اما لانك لا تعلم جهة من التعريف حقيقة أو تتجاهل ؛ وباب التجاهل فى البلاغة عريق، وان شئت فانظر لفظ كأن فى قول الخارجية

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

ماذا ترى . وإما لأنه يمنع من التعريف مانع كقوله

إِذَا سَئِمَتْ مُهَنَّدَهُ يَمِينٌ لِطُولِ الْحَمْلِ بَدَّلَهُ شِمَالَا

لم يقل يمينه احترازاً عن التصريح بنسبة السآمة الى يمين الممدوح (رجل) أى فرد من أشخاص الرجال (غشاوة) أى نوع من الأغطية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله، ورأى السكاكى أن التنكير للتعظيم أى غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الادراك ، وهذا أليق (له حاجب) أى له حاجب أى حاجب وليس له حاجب ما ، ومثله قوله :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ وَلِلْهَوْ مِنِّي وَالْخَلَاعَةِ جَانِبُ

والبيت لابن أبى السمط من أبيات منها :

فَتًى لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَنْ لَا تُضِيءَ الْكَوَاكِبُ

يَصُمُّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ

أَو التَّكْثِيرِ كقَوْلِهِمْ: إِنَّ لَهُ لَإِبِلاً وَإِنَّ له لَغَنَماً ، أو التقليلِ نحوُ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أكبرُ؛ وَقَدْ جَاءَ لِلتَعْظِيمِ وَالتَكثيرِ نحوُ: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فقدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ، أى ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَآيَاتٍ عِظَامٍ وَمِنْ تنكيرِ غَيْرِهِ لِلْإِفْرَادِ أَوِ النَّوْعِيَّةِ نحوُ: وَاللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، وَلِلتَعْظِيمِ نحوُ: فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وللتحقير نحوُ: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا * وَأَمَّا وَصْفُهُ فَلِكَوْنِهِ مُبَيِّناً لَهُ كَاشِفاً عَنْ مَعْنَاهُ

(ورضوان من الله أكبر) أى وشىء من رضوانه أكبر مما ذكر قبل من الجنة ونعيمها لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعم وإنما تهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت (للتعظيم والتكثير) معا (غيره) أى غير المسند اليه (كل دابة من ماء) أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه . « هذا » ومن تنكير غير المسند اليه للنكارة وعدم التعين قوله تعالى: أو اطرحوه أرضا ،وللتقليل قول المتنبى

فَيَوْماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنهُمو وَيَوْماً بِجُودٍ تَطْرُدُ الفَقرَ وَالجَدْبا

أى بعدد نزر من خيولك وشىء يسير من فيضان جودك « واعلم » أنه كما أن التنكير لابهامه يفيد التعظيم والتحقير والتقليل كذلك لفظ البعض كما فى قوله :

تَرَّاكِ أَمْكِنَةً إِذا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُها

كقولِكَ : الجسمُ الطَّويلُ العَريضُ العَميقُ يَحتاجُ إلى فَراغٍ يَشْغَلُه وَنحوُه فى الكشْفِ قولُه

الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّـــنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أَوْ مُخَصِّصاً نحوُ: زَيْدٌ التَّاجِرُ عِنْدَنا ، أَوْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا نحوُ: جَاءَنى زيدٌ الْعَالِمُ أَوِ الْجَاهِلُ ، حيثُ يَتعيَّنُ المَوْصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ ، أَوْ تأكيداً

أراد نفسه ونحو : هذا كلام ذكره بعض الناس . ونحو قولهم : كفى هذا الأمر بعض اهتمامه (فى الكشف) وان لم يكن وصفا للمسنداليه (الالمعى) فالالمعى الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله: الذى يظن بك الظن . حكى أن الأصمعى سئل عن الالمعى فأنشد البيت ولم يزد : وهو لاؤس بن حجر التميمى من قصيدة يرثى بها فضالة بن كلدة وأولها :

أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

إِنَّ الَّذِى جَمَّعَ السَّمَاحَةَ وَالنَّجْـــدَةَ وَالْبِرَّ وَالتُّقَى جُمَعَا

أَوْدَى فما تنفع الإشاحَةُ مِنْ شَىْءٍ لِمَنْ قَدْ يُحَاوِلُ الْبِدَعا

الاشاحة الحذر. والبدع الامور الغريبة . ومثل البيت قوله : إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا . قال الزمخشرى : الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير . وعن أحمد بن يحيى قال لى محمد بن عبدالله بن طاهر ما الهلع ؟ قلت: قد فسره الله تعالى (حيث يتعين الخ) وإلا صار الوصف مخصصا «هذا» وقد يكون الوصف لبيان المقصود وتفسيره ومنه قوله تعالى : وما من دابة

نحوُ: أَمْسِ الدَّابِرُ كَانَ يَوْما عَظِيماً * وَأَمَّا تَوْكِيدُهُ فَلِلتَّقْرِيرِ، أَوْ دَفْعِ تَوَهُّمِ التَّجَوُّزِ، أو السَّهْوِ: أَوْ عدَمِ الشُّمُولِ * وأَمَّا بَيانُهُ فَلِإِيضَاحِهِ بِاسْمٍ

فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . قال فى الكشاف : فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله فى الأرض ويطير بجناحيه ؟ قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل وما من دابة قط فى جميع الارضين السبع وما من طائر قط فى جو السماء من جميع مايطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها « فللتقرير » أى جعل المسند اليه مستقراً محققا ثابتا بحيث لا يظن به غيره نحو جاءنى زيدزيد اذا ظن المتكلم غفلة السامع عن سماع لفظ المسند اليه أو عن حمله على معناه (التجوز) أى التكلم بالمجاز (أو عدم الشمول) أى أو لدفع توهم عدم الشمول فأنت انما تقول جاء القوم كلهم لأنك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يتوهم السامع أنه قد تخلف بعضهم إلا أنك لم تعتد به أو أنك جعلت الفعل الواقع من البعض كالواقع من الجميع لكونهم فى حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة : فعلتم وصنعتم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل واجمعين بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى: فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، بناء على كثرة الملائكة واستبعاد سجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وبهذا يزداد التعيير والتقريع على إبليس . واعلم أنهم لم يعنوا بقولهم التوكيد يفيد الشمول أنه يوجبه من أصله وأنه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ وإلا لم يسم توكيداً وانما المعنى أنه يمتنع أن يكون اللفظ المقتضى للشمول مستعملا على خلاف ظاهره ومتجوزا فيه (بيانه) أى تعقيبه بعطف البيان (فلايضاحه)

مُخْتَصٍّ بِهِ نحو : قَدِمَ صَدِيقُكَ خَالِدٌ * وَأَمَّا الإِبْدَالُ مِنْهُ فلزِيادَةِ التَّقْرِيرِ نحوُ : جَاءَنِى زَيْدٌ أَخُوكَ ، وَجَاءَ القَوْمُ أَكْثَرُهُمْ ، وَسُلِبَ عَمْرٌو ثَوْبُهُ * وَأَمَّا العَطْفُ فَلتفصيلِ المُسْنَدِ اليهِ مَعَ اخْتصارٍ ، نحوُ : جاء زيدٌ وعَمرٌو ، أو المُسْنَدِ كذَلِكَ نحو : جاءنى زيد

وقد يجىء عطف البيان لغير الايضاح كما فى قوله تعالى: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس * فقد ذكر الزمخشرى أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جىء به للمدح لا للايضاح كما تجىء الصفة لذلك وذكر فى قوله تعالى: ألا بعداً لعاد قوم هود ، انه عطف بيان لعاد، وفائدته - وان كان البيان حاصلا بدونه - ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لاشبهة فيه بوجه من الوجوه (فلزيادة التقرير) انما عبر بذلك ايماء الى ان البدل هو المقصود بالنسبة والتقرير زيادة تحصل تبعا وضمناً أما التأكيد فان الغرض منه نفس التقرير (نحو جاءنى زيد أخوك) مثال لبدل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير. ومثله - وهو من غير المسند اليه - قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم . قال فى الكشاف وفائدة البدل التوكيد لما فيه من التكرير والاشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين (وجاء القوم أكثرهم) مثال لبدل البعض وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتمل عليه الأول بالدلالة الكلية فان الأكثر بعض القوم (وسلب زيد ثوبه) مثال لبدل الاشتمال وبيان التقرير فيه ان المبدل منه يشعر به فى الجملة فالنفس قبل ذكره تتشوف لشئ يطلبه المبدل منه فاذا ذكر صار متكررا (كذلك) أى مع اختصار (نحو جاءنى زيد

فَعَمْرٌو أو ثُمَّ عمرو، أو جاءنى القومُ حَتَّى خالدٌ ؛ أو رَدِّ السامعِ إلى الصوابِ نحوُ: جاءنى زيدٌ لا عمرٌو، أو صَرْفِ الحُكْمِ الى آخَرَ نحوُ: جَاءَنِي زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو، وما جَاءَنى عمْرٌو بل زيد ؛ أو الشكِّ، أو التَّشْكِيكِ لِلسَامِعِ نحوُ جاءنى زيد أو عمرٌو * وَأَما فَصْلُهُ فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ

فعمرو الخ) فالفاء وثم وحتى تشترك فى تفصيل المسند وتختلف من جهة ان الفاء تدل على ان ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسته للمتبوع بلا مهلة وثم كذلك مع مهملة وحتى مثل ثم الا ان فيها دلالة على ان ما قبلها مما ينقضى شيئاً فشيئاً الى أن يبلغ ما بعدها (جاءنى زيد لا عمرو) تقول ذلك لمن زعم ان عمرا جاءك دون زيد أو انهما جاآك جميعا . ومثل ذلك أن تقول ما جاءنى زيد لكن عمرو ، فانك تخاطب به من يعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو (آخر) أى محكوم عليه آخر (نحو جاءنى زيد بل عمرو) اعلم ان بل اذا تقدمها ايجاب جعلت ما قبلها كالمسكوت عنه عند الجمهور أو مقطوعا بنفى الحكم عنه عند ابن الحاجب وأثبتت الحكم لما بعدها عند الجميع وان تقدمها نفى أو نهى فهى لتقرير ما قبلها على حالته وجعل ضده لما بعدها وعند المبرد انها تنقل معنى النفى والنهى لما بعدها (أو الشك) أى شك المتكلم (أو التشكيك للسامع) أى ايقاعه فى الشك . بقى الابهام كقوله تعالى : وانا أو ايا كم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، والاباحة والتخيير مثل قولك: ليدخل الدار زيد أو عمرو، والفرق بينهما واضح فان الاباحة لا تمنع من الاتيان بالشيئين أو الأشياء جميعا (فصله) أى تعقيبه بضمير الفصل (فلتخصيصه بالمسند) أى لقصر المسند على المسند اليه ، وقد يكون الفصل للتأكيد فحسب وذلك اذا كان التخصيص حاصلا بدونه بأن يكون فى الكلام

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ فَلِكَوْنِ ذِكْرِهِ أَهَمَّ، إِمَّا لأَنَّهُ الأَصْلُ وَلا مُقْتَضِيَ لِلعُدُولِ عنهُ، وَإِمَّا لِيَتَمَكَّنَ الخبرُ فِي ذِهْنِ السَامِعِ، لأَنَّ فِي المُبْتَدَإِ تَشْوِيقاً اليهِ كقولِهِ :

وَالَّذِي حَارَتِ البَرِيَّةُ فيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ

وَإِمَّا لِتَعْجِيلِ المَسَرَّةِ أَو المَسَاءَةِ لِلتَفَاؤُلِ أَو التَّطَيُّرِ، نحوُ : سَعْدٌ فِي دارِكَ، و: السفَّاحُ فِي دارِ صَدِيقِكَ، وَإِمَّا لإِيهَامِ أَنَّهُ لا يزولُ عن الخاطرِ، أَو

ما يفيد قصر المسند على المسند اليه نحو : ان الله هو الرزاق . أوقصر المسند اليه على المسند كقول أبى الطيب :

إِذا كانَ الشَبابُ السُكْرَ وَالشَيْبُ هَمًّا فالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ

« واعلم » أن مثل هذه المباحث المذكورة فى العطف والفصل ولو بينت فى النحو فانها تذكر فى البيان باعتبار استعمالها لمناسبة الحال . وهكذا كل ما ماثلها فى ذلك (تقديمه) اعلم أن للتقديم فى باب البلاغة القدح المعلى فانه لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضى بك الى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ان قدم فيه شئ وحول اللفظ عن مكان الى مكان (والذى) البيت لأبى العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعرى من أبيات يرثى بها فقيها حنفيا والمقصود بالحيوان فى البيت هو الانسان كما لا يخفى، والحيرة الواقعة فيه من جهة نياط النفس بالجسم. «هذا» وقد جعل السكاكى البيت شاهدا لكون

أَنَّهُ يُسْتَلَذُّ به، وإما لنحوِ ذلكَ . عَبْدُ القَاهِرِ : وَقد يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تخصيصَهُ بالخَبَرِ الفِعْلِيِّ إِنْ وَلِيَ حَرْفَ النَّفْيِ نحوُ: ما أنا قُلْتُ هذا، أىْ لم أَقُلْهُ مَعَ أَنَّهُ مَقُولٌ لِغَيْرِي، وَلهذا لَمْ يَصِحَّ مَا أَنا قُلْتُ هَذَا وَلاَ غَيْرِى، وَلا : مَا أنا

المسند اليه موصولا وهو أحسن (وإما لنحو ذلك) مثل الدلالة على أن المطلوب انما هو اتصافه بالخبر لا نفس الخبر كما اذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول : الزاهد يشرب ويطرب ، ومثل افادة زيادة تخصيص كقوله

مَتَى تَهْزُزْ بَنِى قَطَنٍ تَجِدْهُمْ سُيُوفاً فِى عَوَاتِقِهِمْ سُيُوفُ

جُلُوسٌ فِى مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ وَإِنْ ضَيْفٌ أَلَمَّ فَهُمْ خُفُوفُ

قاله السكاكى (وقد يقدم الخ) هذا مغزى كلام عبد القاهر لا لفظه (تخصيصه بالخبر الفعلى) أى قصر الخبر الفعلى عليه (ولى حرف النفى) أى وقع بعد حرف النفى بلا فصل (أى لم أقله الخ) فأفاد التقديم نفى الفعل عنك وثبوته لغيرك فلا تقول ذلك الا فى شىء ثبت انه مقول وأنت تريد نفى كونك قائلا له ، ومن ذلك قوله

وَمَا أنا أسْقَمْتُ جِسْمِى بِهِ وَلاَ أنا أضْرَمْتُ فى القَلْبِ نَارَا

المعنى على أن السقم ثابت موجود وليس القصد بالنفى اليه ولكن إلى أن يكون هو الجالب له ويكون قد جره إلى نفسه ، ومثله قوله

* وَمَا أنا وَحْدِى قُلْتُ ذا الشِعْرَ كُلَّهُ *

الشعر مقول على القطع والنفى لأن يكون هو وحده القائل له (لم يصح ما أنا قلت هذا ولا غيرى) لمناقضة منطوق الثانى مفهوم الأول . والذى يصح عند قصد هذا المعنى أن يقال : ما قلت أنا ولا أحد غيرى (ولا ما أنا

رَأَيتُ أحدًا، وَلَا: مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَإِلَّا فَقَدْ يأْتِي لِلتَّخصيصِ رَدًّا عَلَى مَنْ زَعَمَ انْفِرَادَ غَيْرِهِ بِهِ، أَوْ مُشَارَكَتَهُ فيهِ نحوُ: أنا سَعَيْتُ فى حاجَتِكَ وَيُؤَكَّدُ عَلَى الأَوَّلِ بنحوِ لا غَيْرِى، وعَلَى الثانى بنحو وَحْدِى؛ وَقد يأْتى

رأيت أحدا) لأنه يقتضى المحال وهو أن يكون انسان غير المتكلم قد رأى كل أحد من الناس لأنه قد نفى عن المتكلم الرؤية على جهة العموم فى المفعول لأن النكرة فى سياق النفى تعم فيجب أن تثبت لغيره على جهة العموم فى المفعول (ولا ما أنا ضربت الا زيدا) لأن نقض النفى بالا يقتضى أن يكون القائل له قد ضرب زيدا وايلاء الضمير حرف النفى يقتضى أن لا يكون ضربه وذلك تناقض (والا) قد علمت أن المسند اليه المقدم إن ولى حرف النفى فهو يفيد التخصيص ألبتة وان لم يل حرف النفى بأن لا يكون ثم نفى أصلا أو يكون حرف النفى متأخرا عن المسند اليه فقد يفيد التخصيص وقد يفيد التقوى (غيره) أى غير المسند اليه (به) أى بالخبر الفعلى (ويؤكد على الاول) وهو أن يكون الكلام للرد على من زعم انفراد الغير (وعلى الثانى) وهو أن يكون للرد على من زعم المشاركة فان قلت أنا فعلت كذا وحدى فى قوة أنا فعلته لا غيرى فلم اختص كل منهما بوجه من التوكيد دون وجه؟ فانا نقول لأن جدوى التوكيد لما كانت اماطة شبهة خالجت قلب السامع وكانت فى الأول أن الفعل صدر من غيرك وفى الثانى انه صدر منك بشركة الغير أكدت وأمطت الشبهة فى الاول بقولك لا غيرى وفى الثانى بقولك وحدى لأنه محزه ولو عكست أحلت، «هذا» ومن البين فى ذلك قولهم فى المثل:

لِتَقْوِيَةِ الْحُكْمِ نحوُ : هُوَ يُعْطِي الجَزِيلَ . وكذا اذا كانَ الفعْلُ مَنْفِيًّا

---

* اتُعلِمُنِي (١) بِضَبٍّ أَنَا حَرَشْتُه *

(نحو هو يعطى الجزيل) فانت لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرض بانسان ولكن تريد أن تقرر فى ذهن السامع وتحقق أنه يفعل اعطاء الجزيل ؛ وسبب التقوى على ما ذكره الشيخ عبد القاهر هو ان الاسم لا يؤتى به معرى من العوامل الا لحديث قد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد أشعرت قلب السامع بذلك أنك تريد الحديث عنه فهذا توطئة له وتقدمة للاعلام به فاذا جئت بالحديث فقلت قام مثلا دخل على القلب دخول المأنوس به وذلك لامحالة أشد لثبوته وأنفى للشبهة وأمنع للشك؛ وجملة الامر أنه ليس اعلامك بالشىء بغتة مثل الاعلام به بعد التنبيه عليه لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الاعلام فى التأكيد والاحكام ، قال : ويشهد لما قلنا انا اذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجىء فيما سبق فيه انكار من منكر نحو أن يقول الرجل:ليس لى علم بالذى تقول ، فتقول :أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى خصمى ، ويجىء فيما اعترض فيه شك نحو أن تقول للرجل : كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك . فيقول : أنا أعلم ولكنى أداريه ، وفى تكذيب مدع كقوله عز وجل:واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به.فان قولهم آمنا دعوى منهم

---

(١) المثل يقوله العالم بالشىء لمن يريد تعليمه إياه ، وحرش الضب واحترشه صاده بالحيلة المعروفة وهى أن يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربه فيأخذه

انهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به، فالموضع موضع تكذيب، وفيما القياس فى مثله أن لا يكون كقوله تعالى: والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، وذلك ان عبادتهم لها تقتضى ان لا تكون مخلوقة، وفيما يستغرب من الأمر نحو أن تقول: ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو يعيى باليسير ويزعم أنه شجاع وهو يفزع من أدنى شىء، وفى الوعد والضمان كقول الرجل أنا أعطيك أنا أكفيك وذلك أن من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك فى تمام الوعد وفى الوفاء به فهو من أحوج شىء الى التأكيد، وفى المدح والافتخار كقول الحماسى:

هُمُ يُفرِشُونَ[1] اللِّبْدَ كلَّ طِمِرَّةٍ وَأجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المُغَالِبَا

وقوله

هُمَا يَلْبَسَانِ المَجْدَ أحْسَنَ لِبْسَةٍ شَجِيحَانِ مَا اسْطَاعا عليهِ كِلاَهُمَا

وقوله

هُمُ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ
عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاء سَبَائِبُ[2]

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن الشبهة، وكذلك المفتخر كقول طرفة

---

(١) اللبد الصوف وقد جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس تحت السرج للينه. والطمرة الفرس الجواد. والأجرد الفرس القصير الشعر والسباح الذى يشبه عدوه السباحة. ويبذ يغلب

(٢) الكبش رئيس الجيش يتركونه قتيلا. والسبائب جمع سبيبة الثوب يشبهون بها طرائق الدم

نحوُ: أنتَ لا تَكْذِبُ، فإنَّهُ أَشَدُّ لنفى الكَذِبِ مِنْ لاَ تَكْذِبُ، وَكذَا مِنْ لا تَكْذِبُ أنتَ، لأَنَّهُ لِتأْكِيدِ المَحْكُومِ عَلَيْهِ لاَ الْحُكْمِ؛ وَإِنْ بُنِيَ الْفِعْلُ عَلَى مُنَكَّرٍ أَفادَ تَخْصِيصَ الجِنْسِ أَوِ الْوَاحِدِ بِهِ، نحوُ رَجُلٌ

---

* نَحْنُ فِي المَشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى *

المشتاة مكان الشتاء أو زمانه. والجفلى الدعوة العامة الى الطعام (نحو أنت لا تكذب) مثله قوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون فانه يفيد من التأكيد فى نفى الأشراك مالا يفيده قولنا والذين لا يشركون بربهم ولا قولنا والذين بربهم لا يشركون (لانه) أى لفظ أنت فى لا تكذب أنت (لتأكيد المحكوم عليه) لئلا يتوهم انه غير ضمير المخاطب وأسند الحكم للضمير تجوزا أو سهوا أو نسياناً (وان بنى الفعل على منكر) يعنى ان أخبر بالفعل عن منكر أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو رجل جاءنى أى لا امرأة أو لا رجلان وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة الى الجنس فقط كما اذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف ان قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل هو أم امرأة أو اعتقد انه امرأة وتارة الى الواحد فقط كما اذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلان أو اعتقد انه رجلان «وبعد» فحاصل كلام عبد القاهر أن الاسم اذا قدم على الفعل فان ولى حرف النفى أفاد التقديم أن نفى الفعل مخصوص بهذا الاسم وان لم يل حرف النفى اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل الا أن المعنى من هذا القصد ينقسم قسمين أحدهما ما يفيد تخصيص فحوى الفعل بالاسم للرد على من زعم انفراد غيره

جاءنى، أى لا امرأة أو لا رجلان . ووافقه السكاكى على ذلك ، إلا أنه قال: التقديم يفيد الاختصاص، إن جاز تقديره كونه فى الأصل مؤخراً على أنه فاعل معنى فقط نحو: أنا قمت، وقدر، وإلا فلا يفيد إلا تقوى الحكم، سواء جاز كما مر ولم يقدر، أو لم يجز، نحو زيد قام، واستثنى المنكر بجعله من باب وأسروا النجوى الذين ظلموا، أى على القول

به أو مشاركته فيه ، الثانى مالا يفيد الا تقوى الحكم وتقريره فى ذهن السامع وهكذا أيضا الفعل المنفى فاذا قلت انت لا تحسن هذا كان أشد لنفى احسان ذلك عنه من ان تقول لا تحسن هذا حتى لو اتيت بأنت فيما بعد تحسن فقلت لا تحسن انت لم يكن له تلك القوة هذا كله اذا بنى الفعل على معرف فان بنى على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد بالفعل كما علمت (على ذلك) أى على أن التقديم يفيد التخصيص والتقوى (إلا أنه قال) حاصل مذهبه أن المسند اليه المقدم ان كان نكرة فهو للتخصيص ان لم يمنع منه مانع وان كان معرفة فان كان مظهرا فلا يكون للتخصيص ألبتة وان كان مضمرا فان قدر كونه فى الاصل مؤخرا فهو للتخصيص والا فللتقوى (نحو انا قمت) فانه يجوز أن تقدر أصله قمت أنا على ان انا تأكيد للفاعل الذى هو التاء فى قمت فيكون فاعلا فى المعنى وان كان تأكيداً فى اللفظ (وقدر) معطوف على جاز يقول ان افادة التخصيص تتوقف على شيئين أحدهما جواز التقدير والآخر حصول ذلك التقدير من المتكلم (نحو زيد قام) فانه لا يجوز أن يقدر ان أصله قام زيد فقدم لانه لانه يلزم عليه تقديم الفاعل اللفظى وهو لا يجوز (واستثنى الخ) لما كان مغزى كلامه قبل أن لا يكون نحو رجل

بالإبدال من الضمير، لئلا ينتفي التخصيص، اذ لا سبب له سواه، بخلاف المعرف؛ ثم قال: وشرطه أن لا يمنع من التخصيص مانع، كقولنا رجل جاءني، على ما مر، دون قولهم: شر أهر ذاناب، أما على التقدير الأول فلا متناع أن يراد المهر شر لا خير، وأما على الثاني فلنبوه عن مظان استعماله، وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر ذاناب إلا شر، فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره. وفيه نظر، إذ الفاعل

جاءني مفيدا للتخصيص لأنه إذا أخر فهو فاعل لفظا لا معنى استثناه بأن قدر أصله جاءني رجل، لا على ان رجل فاعل جاءني بل على انه بدل من الفاعل الذي هو الضمير المستتر في جاءني، فيكون فاعلا معنى، كما قيل في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا: ان الذين ظلموا بدل من الواو في أسروا، وفرق بينه وبين المعرف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه إذ لا سبب لتخصيصه سواه ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف (وشرطه) أي شرط جعل المنكر من هذا الباب واعتبار التقديم والتأخير فيه (على ما مر) من ان معناه رجل جاءني لا امرأة أو لا رجلان (شر اهر ذاناب) هذا مثل يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله واهره حمله على الهرير وهو التصويت وذو الناب السبع (الأول) يعني تخصيص الجنس (الثاني) يعني تخصيص الواحد (فلنبوه) لأنه لا يقصد به أن المهر شر لا شران (تفظيع شأن الشر بتنكيره) لأن التنكير كما لا يخفى يفيد التعظيم والتهويل فيكون المعنى شر عظيم اهر ذاناب لا شر حقير فيكون

اللفظيُّ والمعنويُّ سواءٌ فى امتناعِ التقديمِ مَا بَقِيَا على حالِهما ، فتجويزُ تقديم المعنوِيِّ دُونَ اللفظيِّ تحكُّمٌ ؛ ثمّ لاَ نُسَلِّمُ انْتِفاءَ التخصيصِ لولا تقديرُ التقديمِ ، لحصولِه بغيرِهِ كما ذكرَهُ ؛ ثمّ لا نُسَلِّمُ امْتِنَاعَ أَنْ يُرَادَ المهرُ شَرٌّ لا خيرٌ . ثم قالَ : وَيَقْرُبُ مِنْ هُوَ قامَ زيدٌ قائمٌ ، فى التقوِّى لِتضمُّنِهِ الضَّميرَ ؛ وَشَبَّهَهُ بالخالِي عَنْهُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ تَغَيُّرِهِ فى التكلُّمِ

تخصيصاً نوعيا « هـذا » وانى لأعجب من السكاكى عفا الله عنه حيث أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ! ! وليت شعرى ما الذى حدا به الى مخالفة الأمام عبد القاهر حتى وقع فى ذلك الخبط الظاهر « وبعد » فماذا على المصنف لو انه لم يثبت مذهبه هذا بين سطور كتابه (والمعنوى) كالتأكيد والبدل (ما بقيا على حالهما) أى ما دام الفاعل فاعلا والتابع تابعا (تحكم) أى حكم بلا موجب (انتفاء التخصيص) يعنى فى نحو رجل جاءنى (كما ذكره) أى السكاكى فى بيان وجه الخصوص فى قولهم شراهر ذا ناب من التهويل والتفظيع (ثم لانسلم امتناع أن يراد المهر شر لاخير) قال الشيخ عبد القاهر انما قدم شر لأن المراد أن يعلم أن الذى أهر ذاناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير فجرى مجرى أن تقول رجل جاءنى تريد انه رجل لا امرأة وقول العلماء انه انما صلح لأنه بمعنى ما اهر ذاناب الاشر بيان لذلك وهذا صريح فى خلاف ما ذكره السكاكى (ثم قال) هاك ما قاله السكاكى فى مفتاحه بعد تقرير التقوى فى نحو هو قام لما فيه من الاسناد مرتين : ويقرب من قبيل انا عرفت وانت عرفت وهو عرف فى اعتبار تقوى الحكم زيد عارف ؛ وانما قلت يقرب دون ان أقول نظيره لأنه لما لم يتفاوت فى التكلم

وَالخِطَابِ وَالغَيْبَة ؛ وَلهذا لم يَحكُمْ بأنه جملةٌ ، ولا عُومِلَ مُعَامَلَتها فى البنَاءِ.
وَمِمَّا يُرَى تَقْدِيمُهُ كاللازم ، لفظُ مِثْلُ وَغيرُ ، فى نحو: مِثْلُكَ لَا يَبْخَلُ ، وَغيرُكَ لا يَجُودُ ، بمَعْنَى أَنتَ لَا تَبْخَلُ وَأَنْتَ تجودُ ، مِنْ غيرِ إِرَادَةِ تَعْرِيضٍ لِغيرِ

والخطاب والغيبة فى أنا عارف وأنت عارف وهو عارف أشبه الخالى عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بأنه جملة ولا عومل معاملتها فى البناء حيث أعرب فى نحو رجل عارف رجلا عارفا رجل عارف (مثل وغير) اذا استعملا على سبيل الكناية (فى نحو مثلك لا يبخل) مما لا يراد بلفظ مثل انسان غير ما أضيف اليه ولكن أريد ان من كان على الصفة التى هو عليها كان من مقتضى القياس أن يفعل ماذكر أو أن لا يفعل ولكون المعنى هذا قال الشاعر

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ سِوَاكَ يافَرْدًا فى مَحاسِنِهِ

وعليه قول المتنبى

مِثْلُكَ يَثْنِى المُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدمعَ عَنْ غَرْبِهِ

(وغيرك لا يجود) مثله قول المتنبى

*غَيْرِى بِأَكْثَرِ هَذَا الناسِ يَنْخَدِعُ *

فانه معلوم انه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع بل أراد أنه ليس ممن ينخدع وكذا قول أبى تمام

وَغَيْرِى يَأْكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتًا وَتَشْحَبُ عِنْدَهُ بِيضُ الْأَيَادِى

فانه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه فيزعم أن الذى قرف به عند الممدوح من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه بل أراد أن ينفى عن نفسه أن يكون

المُخاطَبِ ، لِكَوْنِهِ أَعْوَنَ على المُرَادِ بِهِمَا « قِيلَ » وَقَدْ يُقَدَّمُ لأَنَّه دَالٌّ عَلى العُمُومِ نحوُ: كلُّ إِنْسَانٍ لم يَقُمْ ، بِخِلافِ مَا لَوْ أُخِّرَ نَحْو: لم يَقُمْ كلُّ إِنْسَانٍ ، فإِنَّه يُفِيدُ نَفْيَ الحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الأَفْرَادِ، لاَ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ، وَذَلِكَ لِئَلاَّ يَلْزَمَ ترجيح التأكيدِ عَلى التَّأْسِيسِ ، لِأَنَّ المُوجَبَةَ المُهْمَلَةَ المَعْدُولَةَ

ممن يكفر بالنعمة ويلؤم « هذا » واستعمال مثل وغير هكذا مركوز فى الطباع وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان أبدا على الفعل إذا نحى بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدما والسر فى ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره وسيأتى أن المطلوب بالكناية فى مثل قولنا مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود هو الحكم وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قصد بها ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جلبا لأجله (قيل) القائل ابن مالك وجماعة (نحو كل إنسان لم يقم) فتقديم كل إنسان على لم يقم يفيد نفى القيام عن كل الناس (وذلك لئلا يلزم الخ) يقول هذا القائل : إنه لولم يكن التقديم مفيدا لعموم النفى والتأخير مفيدا لنفى العموم للزم ترجيح التأكيد على التأسيس ومعلوم أن التأسيس الذى هو إنشاء معنى لم يكن حاصلا قبل أرجح من التأكيد الذى هو إفادة ما قد حصل ، لأن الافادة خير من الاعادة . وبيان اللزوم فى التقديم ، أن قولنا إنسان لم يقم ، موجبة مهملة معدولة المحمول، أما أنها موجبة فلأنه حكم فيها بثبوت عدم القيام لانسان وأما أنها مهملة فلأنه أهمل فيها بيان كمية أفراد المحكوم عليه وأما أنها معدولة المحمول فلأن حرف السلب قد جعل جزأ من المحمول وإذا كانت كذلك كان معناها السلب عن جملة الأفراد من غير تعرض لكليتها ولا لجزئيتها

المَحْمُولِ فى قُوَّةِ السَّالِبَةِ الْجُزْئِيَّةِ المُسْتَلْزِمَةِ نَفْىَ الْحُكْمِ عَنِ الْجُمْلَةِ دُونَ كُلِّ فَرْدٍ، وَالسَّالِبَةُ المُهْمَلَةُ فى قُوَّةِ السَّالِبَةِ الْكُلِّيَّةِ المُقْتَضِيَةِ للنفْى عَنْ كلِّ فَرْدٍ، لِوُرُودِ مَوْضُوعِهَا فى سِيَاقِ النَّفْىِ. وَفيهِ نظرٌ، لأنَّ النَّفْىَ عَنِ الْجُمْلَةِ فى الصُّورَةِ الأُولَى، وَعَنْ كلِّ فَرْدٍ فى الثانِيَةِ، إنما أَفادَهُ الإِسْنادُ

والمحقق منها السلب عن البعض فهى فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن الجملة ألبتة لأن مفهومها سلب الحكم عن بعض الافراد كقولنا ليس بعض الانسان بقائم وهذا المعنى يصدق عند انتفاء الحكم عن بعض الأفراد دون بعض وعند انتفائه عن كل فرد وعلى كل حال يصدق النفى عن جملة الأفراد أى عن مجموعها على طريق السلب المسلط على الاثبات الكلى وإذا كان ذلك كذلك كانت المهملة والجزئية متلازمتين لأنه كلما صدق السلب عن البعض الذى هو مفاد الجزئية صدق ثبوت السلب للمصدوق فى الجملة لذى هو مفاد المهملة وكلما صدق ثبوت السلب للمصدوق فى الجملة صدق السلب عن البعض

فيتحقق بهذ ان الموجبة المهملة المعدولة المحمول للسلب عن الجملة لا عن كل فرد. فلو كان انسان لم يقم بعد دخول كل أيضا معناه كذلك كان كل مفيدا للمعنى الحاصل قبله فيجب أن يحمل على نفى الحكم عن كل فرد ليكون كل كل لتأسيس معنى آخر ترجيحا للتأسيس على التأكيد. وبيان اللزوم فى التأخير، أن قولنا لم يقم إنسان سالبة مهملة والسالبة المهملة فى قوة السالبة الكلية المقتضية للنفى عن كل فرد مثل لا شىء من الانسان بقائم وإنما كانت تلك فى قوة هذه لورود موضوعها وهو نكرة فى سياق النفى والنكرة فى سياق النفى تعم. فمعنى لم يقم إنسان نفى الحكم عن كل فرد فلو كان بعد

إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلٌّ ،وَقَدْ زَالَ ذَلِكَ بِالإِسْنَادِ إِلَيْهَا، فَيَكُونُ تَأْسِيساً لاَ تَأْكِيداً، وَلأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَفَادَتِ النَّفْيَ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ فَقَدْ أَفَادَتِ النَّفْيَ عَنِ الْجُمْلَةِ ،فَإِذَا حُمِلَتْ عَلَى الثَّانِي لاَ يَكُونُ كُلٌّ تَأْسِيساً ، وَلأَنَّ النَّكِرَةَ الْمَنْفِيَّةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَ قَوْلُنَا: لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ ، سَالِبَةً كُلِّيَّةً لاَ مُهْمَلَةً . . عَبْدُ الْقَاهِرِ :إِنْ كَانَتْ كُلٌّ دَاخِلَةً فِي حَيِّزِ النَّفْيِ بِأَنْ أُخِّرَتْ

دخول كل أيضاً كذلك كان كل لتأكيد معنى حصل قبل فيجب أن يحمل على نفى القيام عن جملة الأفراد ليكون كل لتأسيس معنى آخر أذ التأسيس أرجح من التأكيد (وفيه) أى فيما استدل به هذا القائل. اما أصل قوله فصحيح (الأولى) يعنى الموجبة المهملة المعدولة المحمول كقولنا انسان لم يقم (الثانية) يعنى السالبة المهملة كقولنا لم يقم انسان (ما أضيف إليه كل) وهو لفظ إنسان (فيكون تأسيسا لا تأكيدا) لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر وما نحن فيه ليس كذلك « وبعد » فقد قالوا إن هذا المنع لا يصح إلا على تقدير أن يراد التأكيد الاصطلاحى أما لو أريد بذلك أن يكون كل لافادة معنى كان حاصلا بدونه فاندفاع المنع ظاهر (الثانية) يعنى السالبة المهملة (حملت) أى كل (الثانى) وهو النفى عن جملة الأفراد (لا يكون تأسيسا) بل تأكيدا لأن هذا المعنى كان حاصلا بدونه وحينئذ فلو جعلنا لم يقم كل إنسان لعموم النفى مثل لم يقم إنسان لم يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس إذ لا تأسيس أصلا بل يلزم ترجيح أحد التأكيدين على الآخر (ولأن النكرة) هذا بحث فى التسمية يقول ان النكرة المنفية إذا عمت كانت القضية المحتوية عليها سالبة كلية لا مهملة فتسمية ذلك القائل لها بالمهملة لا يصح (وعبد القاهر) كلامه هو مفاد كلام ابن مالك وجماعته ولكن أين

عَنْ أَدَاتِهِ نَحْوُ * مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ * أَوْ مَعْمُولَةً لِلفِعْلِ المَنفِيِّ نحوُ : مَا جَاءَ القَوْمُ كُلُّهُمْ ،أَوْ مَا جَاءَ كلُّ القَوْمِ، وَلَمْ آخُذْ كلَّ

الماء من السماء وموقع السيل من مطلع سهيل ، ثم إن ماذكره المصنف هو مغزى كلام عبد القاهر لا لفظه (نحو ما كل) مثله قول الآخر

* مَا كُلُّ رَأْيِ الفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشَدِ *

والبيت للمتنبي وتمامه

* تَجْرِي الرِّياحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ *

(أو معمولة للفعل المنفى) الذى يظهر أن ذلك معمول لفعل مقدر معطوف على أخرت أى أوجعلت معمولة . وهاك عبارة الشيخ عبد القاهر مع تصرف ما : واعلم أنك إذا أدخلت كلا فى حيز النفى بأن تقدم النفى عليه لفظا أو تقديرا ، يعنى كما اذا قدمته على الفعل المنفى العامل فيه فانه مؤخر تقديرا لأن مرتبة المعمول التأخر عن العامل فالمعنى على نفى الشمول دون نفى الفعل والوصف نفسه . والسبب فى ذلك أنك إذا قلت أتانى القوم مجتمعين فقال قائل لم يأتك القوم مجتمعين كان نفيه ذلك متوجها الى الاجتماع الذى هو تقييد فى الاتيان دون الاتيان نفسه حتى إنه إن اراد ان ينفى الاتيان من أصله كان من سبيله أن يقول أنهم لم يأتوك أصلا فما معنى قولك مجتمعين وإذا كان هذا حكم النفى إذا دخل على كلام فيه تقييد فان التأكيد ضرب من التقييد فمتى نفيت كلاما فيه تأكيد فان نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصا فاذا قلت لم أر كل القوم كنت عمدت بنفيك الى معنى كل خاصة واذن يجب أن يكون قد أتاك بعض القوم . واذا أخرجت كلا من حيز النفى ولم تدخله فيه لا لفظا ولا تقديرا كان المعنى على انك تتبعت الجملة

الدَّرَاهِمِ، أَوْ كلَّ الدَّرَاهِمِ لم آخُذْ، توَجَّهَ النفْىُ إلى الشُّمولِ خَاصَّةً وَأَفَادَ ثُبوتَ الفعْلِ أَوِ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ، أَوْ تعلُّقَهُ بِهِ، وَإِلاَّ عَمَّ، كَقَوْلِ

فنفيت الفعل والوصف عنها واحدا واحدا والعلة فى ان كان ذلك لذلك انك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفى عليه وسلطت الكلية على النفى واعملتها فيه وإعمال معنى الكلية فى النفى يقتضى أن لا يشذ شىء عن النفى فاعرفه (توجه النفى إلى الشمول خاصة) فان قلت فما تصنع فى قوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور ،والله لا يحب كل كفار أثيم . فانا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الامام الشيخ محمد عبده فأجاب حفظه الله بما يشرح الصدر ويملأ النفوس ارتياحا قال : قد يعدل عما يدل على عموم السلب الى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام على الحقيقة ، للتعريض بالمخاطب والايماء إلى أنه شر صنفه ، مثلا اذا قلت لسفيه ، تعرض بأنه شر السفهاء ، : أنا لا أحب كل سفيه فالمعنى أنه لو فرض أن محبتى تتعلق بسفيه لكنت غير موضع لها ، وكذلك الذى جاء فى الآية الكريمة أريد به والله أعلم التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وانهم شر أصنافهم فقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور معناه أن محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فكأنه سبحانه يقول لو أن محبتنا تعلقت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور وهكذا يقال فى سائر الآيات وما يكون ظاهره أنه من سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب (وأفاد ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به) أما افادته ثبوت الفعل أو الوصف ففيما اذا كانت كل فاعلا معنى أو لفظا للفعل أو الوصف وأما افادته تعلق الفعل أو الوصف ففيما اذا كانت مفعولا لفظا أو معنى لهما واطلاق الثبوت على نسبة أحدهما للفاعل والتعلق على نسبته للمفعول اصطلاح شائع (والا)

النبي صلى الله عليه وسلم — لما قال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت: كل ذلك لم يكن، وعليه قوله:

قد أصبحت أم الخيار تدعى ... على ذنبا كله لم أصنع

وأما تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند .. هذا كله مقتضى

أي وإن لم تكن كل داخلة فى حيز النفى بأن قدمت عليه لفظا ولم تكن معمولة للفعل المنفى (كل ذلك لم يكن) فالمعنى لا محالة على نفى الأمرين جميعا وعلى أنه عليه السلام أراد انه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان والدليل على ذلك وجهان أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الابهام فجوابه اما بالتعيين أو بنفى كل واحد منهما وثانيهما ماروى أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان والايجاب الجزئى نقيضه السلب الكلى (وعليه قوله) أى قول أبى النجم وقد تقدم ، ومثله قول دعبل

فوالله ما أدرى بأى سهامها ... رمتنى وكل عندنا ليس بالمكدى (١)

أبا الجيد أم مجرى الوشاح وإننى ... لأتهم عينيها مع الفاحم الجعد

المعنى على نفى ان يكون فى سهامها مكد على وجه من الوجوه ، ومن البين فى ذلك قوله

فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... ولا لامرئ عما قضى الله مزحل

(كله لم أصنع) برفع كله على معنى لم أصنع شيئاً مما تدعيه على من الذنوب ولهذا عدل عن النصب (فلاقتضاء المقام تقديم المسند) وسيأتى بيان ذلك

---

(١) المكدى الذى يحفر ولا يجد الماء أى وليس من سهامها ما يخطىء

الظَّاهر ، وقد يُخْرَجُ الكلامُ عَلَى خِلافِهِ ،فَيُوضَعُ المُضْمَرُ مَوْضِعَ المُظْهَرِ كقوْلهم: نِعْمَ رَجُلاً زيدٌ ،مَكانَ نِعْمَ الرَّجُلُ ،فى أَحَدِ القَوْلَيْنِ ، وَقَوْلِهِمْ هُوَ أَوْهِيَ زَيْدٌ عالِمٌ ،مَكانَ الشأْنُ أو القِصَّةُ ،لِيَتَمَكَّنَ مَا يَعْقُبُهُ فى ذِهْنِ السَّامِعِ ،لِأَنَّهُ إذا لم يَفْهَمْ مِنه مَعْنًى انْتَظَرَهُ ،وَقَدْ يُعْكَسُ، فإِنْ كانَ اسْمَ إشارَةٍ فَلِكَمالِ العِنايَةِ بتمييزِهِ ،لِاخْتِصاصِهِ بحُكْمٍ بَدِيعٍ كقوْلِهِ :

ان شاء الله (كقولهم) ابتداء من غير جرى ذكر أو قرينة حال (فى أحد القولين) وهو القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف وأما من يجعل المخصوص مبتدأ ونعم رجلا خبره فيحتمل عنده أن يكون الضمير عائدا الى المخصوص وهو متقدم تقديراً (وقولهم هو أو هى زيد عالم) ويختار تأنيث هذا الضمير اذا كان فى الكلام مؤنث غير فضلة نحو هى هند مليحة وقوله جل شأنه فانها لا تعمى الابصار قصداً الى المطابقة لا أنه راجع الى ذلك المؤنث ولم يسمع نحو هى زيد عالم وان كان القياس يقتضى قياسه «هذا» ومن ذلك وان كان من غير باب المسند اليه قولهم ياله رجلا ويا لها قصة وربه رجلا وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات (ليتمكن) تعليل لوضع المضمر موضع المظهر« هذا» وقد يكون وضع المضمر موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره مثل قوله تعالى انا انزلناه أولا دعاء ان الذهن لا يلتفت الى غيره كقوله فى المطلع

*زارَتْ عَلَيْها للظَلامِ رُواق *

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد (يعكس) فيوضع المظهر موضع

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقا

هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً ... وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقا

المضمر (كقوله كم عاقل الخ) فقوله فى أول البيت الثانى هذا إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محروما والجاهل مرزوقا فكان القياس فيه الاضمار بأن يقال هما مثلا فعدل إلى اسم الاشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا الشىء المتميز المتعين هو الذى له الحكم العجيب وهو جعل الاوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا فالحكم البديع هو الذى أسند للمسند إليه المعبر عنه باسم الاشارة ، والبيتان لاحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل متناه فيه وأعيت مذاهبه أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه والنحرير الحاذق الماهر المتقن كأنه ينحر العلم نحرا والزنديق الذى لا يؤمن بالربوبية وباليوم الآخر وكلام ابن الراوندى هذا احدى حماقاته وهو بالجهال اليق وما أبدع ما يقول أبو تمام

يَنَالُ الفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهْوَ جَاهِلٌ ... وَيَكْدِى الفَتَى فِى دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ

وَلَوْ كَانَتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِى عَلَى الحِجَا ... هَلَكْنَ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ

وما أجمل قول الصابى

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةٌ ... فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِى الَّذِى هُوَ أَحْذَقُ

فَلَا تَتَفَقَّدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ ... بِهِ لَهُمَا الأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ

فَحَيْثُ يَكُونُ الجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ ... وَحَيْثُ يَكُونُ العِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقُ

وأنت إذا أردت فلسفة هذا الباب فعليك بكتاب الفلاكة والمفلوكين

أو التهكم بالسامع ، كما إذا كان فاقد البصر ، أو النداء على كمال بلادته ، أو فطانته ، أو ادعاء كمال ظهوره ؛ وعليه من غير هذا الباب تعاللت كي أشجى وما بك علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك وإن كان غيره فلزيادة التمكن ، نحو : قل هو الله أحد الله

(كما إذا كان فاقد البصر) ولم يكن ثم مشار اليه أصلا (والنداء على كمال بلادته) لان فى اسم الاشارة ايماء الى أن السامع لايدرك الا المحسوس (أو فطانته) ففى استعمال اسم الاشارة الذى أصله المحسوس فى المعنى الغامض ايماء الى أن السامع لذكائه صارت المعقولات لديه كالمحسوسات (تعاللت) أى اظهرت العلة ومعنى أشجى أحزن ، فانت تراه عمد الى اسم الاشارة مع أن المشار اليه غير محسوس وذلك لادعائه ظهور القتل وأنه كالمحسوس ، والبيت لعبد الله بن الدمينة من قصيدة مطلعها

قفى قبل وشك البين يا بنت مالك ولا تحرمينى نظرة من جمالك

(وان كان غيره) أى وأن كان المظهر الذى وضع موضع المضمر غير اسم الاشارة (فلزيادة التمكن) ومن هنا كان لاعادة اللفظ فى مثل قوله

وإن طرة راقتك فانظر فربما أمر مذاق العود والعود أخضر

وقول المتنبى

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر

وبيت الحماسة

شددنا شدة الليث غدا والليث غضبان

من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل مالا يخفى موضعه وكان لو ترك فيها الاظهار الى الاضمار لعدمت الذى انت واجده الآن (نحو قل هو الآية)

الصَمَدُ؛ وَنَظِيرُهُ مِنْ غيْرِهِ: وَبالْحَقِّ أنْزَلْناهُ وَبالْحَقِّ نَزَلَ، أوْ إدْخالِ الرَّوْعِ فى ضَمِيرِ السامِعِ وَتَرْبِيَةِ المَهابَةِ، أوْ تَقْوِيَةِ دَاعِى المأمُورِ؛ مِثالُهُمَا قَوْلُ الخلَفاءِ: أمِيرُ المُؤْمِنِينَ يَأمُرُكَ بكذا، وَعلَيْهِ مِنْ غيرِهِ: فإذا عَزَمْتَ فتوَكَّلْ عَلَى اللهِ، أو الِاسْتِعْطَافِ كقولِهِ *إلهى عَبْدُكَ العَاصِى أتَاكا *

فلم يقل هو الصمد لزيادة التمكن (الصمد) أى الذى يقصد فى الحوائج ولا يقضى فيها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عنمة

* ان تسألوا الحق نعط الحق سائله * (داعى المأمور) أى ما يكون داعيا لمن امرته بشىء الى الامتثال والاتيان به (أمير المؤمنين يأمرك بكذا) مكان أنا آمرك (وعليه) أى على وضع المظهر موضع المضمر لتقوية داعى المأمور (من غيره) أى من غير باب المسند اليه (فتوكل على الله) فلم يقل فتوكل على لما فى لفظ الجلالة من تقوية الداعى إلى التوكل لدلالته على ذات موصوفة بالأوصاف الكاملة من القدرة وما اليها (كقوله الهى عبدك العاصى أتاكا) فلم يقل انا العاصى أتيتك لأن فى لفظ عبدك من الخضوع الموجب للعطف والشفقة ماليس فى لفظ انا وفيه مع ذلك تمكن من وصفه للعاصى ونظير هذا قوله تعالى قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً الى قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته لم يقل فآمنوا بالله وبى ليتمكن من اجراء الصفات المذكورة عليه ويشعر بأن الذى وجب الايمان به بعد الايمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات كائنا من كان أنا أو غيرى اظهاراً للنصفة وبعدا عن التعصب لنفسه وتمام البيت

* مُقِرًّا بالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَا *

السكاكيُّ : هَذَا غيرُ مُخْتَصٍّ بالمُسْنَدِ إليهِ ،ولاَ بهذَا القَدْرِ ،بلْ كلٌّ مِنَ التَّكلُّمِ وَالخِطَابِ وَالغَيْبَةِ مُطْلَقاً يُنْقَلُ إلى الآخَرِ ،وَيُسَمَّى هَذَا النَّقْلُ التِفاتاً كقولهِ * تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُدِ *

وبعده

فإنْ تَغْفِرْ فأَنْتَ لِذَاكَ أَهْلٌ وَإِنْ تَطْرُدْ فَمَنْ يَرْحَمْ سِوَاكَا

(السكاكى) عبارته : واعلم ان هذا النوع اعنى نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لايختص المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعانى والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب ادخل فى القبول عندالسامع وأحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار اصغائه وهم احرياء بذلك أليس قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم وهجيراهم(١) لامزقت ايدى الأدوار لهم أديما ولا أباحت لهم حريما افتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولايحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وايراد وايراد (كقوله تطاول) لامرئ القيس الكندى الصحابى من قصيدة يرثى بها اباه وتمامه * نام الخلى ولم يرقد * الاثمد اسم مكان والخطاب فى ليلك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلى فهو التفات على مذهب السكاكى وعند الجمهور تجريد ومثله قول ربيعة بن مقروم

بانتْ سُعَادُ فأَمْسَى القَلْبُ مَعْمُودَا وَاخْلَفَتْكَ ابْنَةُ الحُرِّ المَوَاعِيدَا

---

(١) عادتهم

وَالمشهورُ أنَّ الاِلْتفَاتَ هُوَ التعبيرُ عَنْ مَعْنًى بطرِيقٍ مِنَ الثلاثةِ بَعْدَ التَعبيرِ عَنْهُ بِاخَرَ مِنْهَا، وَهذا أخَصُّ، مِثَالُ الاِلْتفَاتِ مِنَ التَكلُّمِ إلى الخطابِ: وَمَالِيَ لاَ أعْبُدُ الَّذِى فطَرَنى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ؟ وَإلى الغَيبةِ: إِنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، وَمِنَ الخطابِ إلى التَكلُّمِ

طَحَا بِكَ قلْبٌ فى الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

يُكَلفُنِى لَيْلَى وَقدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... وَعَادَتْ عَوادٍ بيننَا وَخُطوبُ

فالتفت كما ترى حيث لم يقل واخلفتنى (والمشهور) هذا من كلام المصنف (وهذا اخص) من تفسير السكاكى لأن السكاكى أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس (ومالى الآية) أى ومالكم لاتعبدون الذى فطركم ، تلطف فى الارشاد بابرازه فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراد لهم ماأرادوا لها ، واذ عمد الى التكلم لذلك كان مقتضى الظاهر أن يجرى الكلام على طريقه فيقول واليه أرجع فلما قصد الى الخطاب حيث قال واليه ترجعون كان التفاتا (طحابك) البيتان لعلقمة بن عبدة الفحل ، طحا بك ذهب بك كل مذهب وطروب له طرب فى طلب الحسان ونشاط فى مراودتهن وبعيد الشباب يعنى حين ولى وكاد ينصرم ومعنى عصر حان مشيب زمان قرب المشيب واهتمامه بالهجوم وفاعل يكلفنى ضمير يعود إلى القلب وشط بعد والولى القرب والعوادى الصوارف وعوادى الدهر عوائقه والخطوب الامور الشديدة تنزل؛ فالتفت كما ترى فى قوله يكلفنى عن قوله بك « وبعد » فقد اشترطوا فى الالتفات

وَالَى الغَيْبَةِ : حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ، وَمِنَ الغَيْبَةِ إِلَى التَكَلُّمِ : وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ ، وَإِلَى الخِطَابِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وَوَجْهُهُ أَنَّ الكَلَامَ اذا نُقِلَ مِنْ أُسلوبٍ الَى أُسلوبٍ كانَ أَحْسَنَ تَطْرِيَةً لِنشَاطِ السامعِ ، وَأَكْثَرَ إِيقَاظاً لِلإِصْغَاءِ اليهِ ؛ وَقَدْ تَخْتَصُّ مَوَاقِعُهُ بلطَائِفَ ، كما فى الفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا ذَكَرَ الحَقِيقَ بالحمدِ عَنْ قَلْبٍ حَاضِرٍ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ مُحَرِّكاً لِلإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَكُلَّمَا أَجْرَى عَلَيْهِ صِفَةً مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ العِظَامِ قَوِيَ ذَلِكَ المُحَرِّكُ ، إِلَى أَنْ يؤُلَ الْأَمْرُ إِلَى خَاتِمَتِهَا المفيدَةِ ، أَنَّهُ مَالِكُ الأَمْرِ كُلِّهِ

ان يكون المخاطب بالكلام فى الحالين واحدا ومن هنا كان قول جرير

أَغِثْنِي يا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ... بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحِ

يُقِي باللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بالنَّجَاحِ

ليس من الالتفات فى شىء لان المخاطب بالبيت الاول امر أته والمخاطب بالبيت الثانى هو الخليفة كما لايخفى (ووجهه) اى وجه حسن الالتفات (تطرية) تجديدا (كما فى الفاتحة) وكما فى قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن الرسول وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (من تلك الصفات) الدال أولها على أنه المتولى تدبير جميع العالمين وثانيها على انه المنعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها (خاتمتها) وهى قوله مالك يوم الدين « تكملة » قد يطلق الالتفات على معنيين

فِى يَوْمِ الجزاءِ ؛ فحينئذ يُوجِبُ الاقبالَ عليه ، والخطابَ بتخصيصِه بغاية الخضُوعِ والاسْتِعَانَةِ فِى المُهِمَّاتِ . وَمِنْ خِلَافِ المُقْتَضَى تَلَقِّى المخاطَب بغير مايترَقَّبُ، بِحَمْلِ كَلَامِهِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ هُوَ الأَوْلَى

آخرين ، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فاذا ظننت انه يريد ان يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به قال تعالى:وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وقال جل شأنه : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم،وقال جرير

طَرِبَ الْحَمَامُ بِذِى الْأَرَاكِ فَشَاقَنِى لاَ زِلْتَ فِى عِلَلٍ وَأَيْكٍ نَاضِرِ

وَقَال

مَتَى كانَ الْخِيَامُ بِذِى طُلُوحٍ سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيَام

أَتَذْكُرُ يَوْمَ تَصْقُلُ عَارِضَيْهَا بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِىَ الْبَشَامُ

والثانى أن تذكر معنى فتوهم أن السامع اختلجه شيء فتلتفت إلى كلام يزيل اختلاجه ثم ترجع إلى مقصودك كقول ابن ميادة

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو وَفِى الْيَأْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُه

(تلقى المخاطب)هذا هو الذى سماه السكاكى الاسلوب الحكيم وقال فيه : ان هذا الأسلوب لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ماسلبه حكم الوقور وأبرزه فى معرض المسحور وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجى وسل سخيمته(١) حتى آثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الاسلوب؟ وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة ؛ وعن سلوك هذه الطريقة فى جواب المخاطب عبر من قال مفتخرا

---

(١) السخيمة الضغينة والموجدة فى النفس

بالقصد ، كقول القبعثرى للحجاج - وقد قال له متوعدا لأحملنك على الأدهم - مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، أى من كان مثل الأمير فى السلطان وبسطة اليد فجدير بأن يصفد لا أن يصفد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له، كقوله تعالى: يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج، وكقوله تعالى: يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين

أتت تشتكى عندى مزاولة القرى ... وقد رأت الضيفان ينحون منزلى

فقلت كأنى ما سمعت كلامها ... هم الضيف جدى فى قراهم وعجلى

(لأحملنك على الأدهم) والحجاج يريد القيد (مثل الأمير الخ) فأنت ترى القبعثرى أبرز وعيد الحجاج فى معرض الوعد وتلقاه بغير ما يترقب بحمل الادهم فى كلامه على الفرس الأدهم وأكد ذلك بذكر الأشهب تنبيها على أن ذلك هو الأولى أن يقصده الأمير (يصفد) أى يعطى (لا أن يفصد) يقيد (أو السائل) أى او تلقى السائل الخ (يسألونك عن الاهلة الآية) روى أن ثلة من الصحابة قالوا مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلىء ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا . وهذا بظاهره سؤال عن السبب فأجيبوا ببيان الحكمة تنبيها على أن الأولى أن يسألوا عن ذلك . « وبعد » فالمحققون من المفسرين على أنه سؤال عن الحكمة والكلام آت على مقتضى الظاهر (يسألونك ماذا ينفقون الآية) سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف قال

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ؛ وَمِنْهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِى تنبيهاً على تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ نَحْوُ: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ ، وَمِثْلُهُ : وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ونحوُه: ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له الناسُ ؛ وَمِنْهُ الْقَلْبُ نحوُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ على

فى الكشاف إن قوله من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير إلا أنه بنى الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لايعتد بها إلا أن تقع موقعها قال الشاعر

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

(نحو ويوم ينفخ فى الصور فصعق) ومقتضى الظاهر فيصعق «هذا» ونظم القرآن ففزع . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء إليه يبكى فقال له يا بنى مالك قال لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حبرة فضمه إلى صدره وقال يابنى قد قلت الشعر (ومثله) أى ومثل التعبير عن المستقبل بغير لفظه اسم الفاعل واسم المفعول لان كلا منهما ليس حقيقة للاستقبال (لواقع) ومقتضى الظاهر يقع (القلب) هو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه وهو مما يورث الكلام ملاحة ولايشجع عليه إلا كمال البلاغة (نحوعرضت الخ) ومقتضى الظاهرعرضت الحوض على الناقة لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور حتى يميل للمعروض أو يحجم عنه وقد أخذ المصنف هذا من جعل الزمخشرى قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار من القلب والسبب فى هذا هو أن الأصل أن يجاء بالمعروض إلى المعروض عليه وهنا جيء بالمعروض

الحوض، وقبله السكاكي مطلقاً، وردّه غيره مطلقاً، والحق أنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً قبل، كقوله:

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أي لونها، وإلا رُدّ، كقوله * كما طَيَّنْتَ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا *

عليه وهو الناقة إلى المعروض وهو الحوض فاعتبر ذلك فنزل أحدهما منزلة الآخر (ومهمه) البيت لرؤبة بن العجاج. المهمة المفازة ومغبرة مملوءة بالغبرة والارجاء الاطراف وقوله كأن الخ أي كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فهو من القلب والاعتبار اللطيف هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة، ومثله قول أبي تمام يصف قلم الممدوح

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

(أي لونها) يريد أن الكلام على حذف مضاف والتقدير كأن لون أرضه لون سمائه (كما طينت) صدره

* فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمَنٌ عَلَيْهَا *

وهو للقطامي من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث الكلابي وقد أنقذه من أعدائه وأعطاه مائة ناقة وقبله

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا

وبعده

أَمَرْتَ بِهَا الرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَا وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنْ لَنْ تُسْتَطَاعَا

فقد شبه الناقة في سمنها بالفدن وهو القصر المطين بالسياع وهو الطين بالتبن وقد عكس فجعل المطين هو السياع والمطين به هو الفدن وليس فيه

﴿ أحوالُ المسنَدِ ﴾

أَمَّا تركُهُ فَلِمَا مَرَّ كَقَوْلِهِ * فَإِنِّي وقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ * وقولِهِ :

اعتبار لطيف وفيه نظر لأن القلب ههنا يدل على كثرة السباع حتى صار كأنه الأصل وسمن الناقة مشبه به فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم لكثرته بالنسبة للعظم كأنه الأصل. ومما هو مردود لعدم تضمنه اعتبارا لطيفا قول حسان

* يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ *

وقول عروة بن الورد

* فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي *

وقول القطامي

* وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا *

وحق الاستعمال يكون مزاجها عسلا وماء . فديت بنفسي نفسه وماله . ولايك موقفاً منك الوداع (فلما مر) فى حذف المسند اليه . ومما يقتضى تركه اتباع الاستعمال كقولهم ضربى زيدا قائما وأكثر شربى السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما وقولهم كل رجل وضيعته وقولهم لولا زيد لكان كذا (كقوله فانى وقيار) فانه حذف المسند الى قيار كما ترى وتقدير الكلام فانى لغريب وقيار كذلك وما هذا إلا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب التوجع والمحافظة على الوزن، والسر فى تقديم قيار على خبران قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضا ومن هنا قال الزمخشرى عند قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون الآية : الصابئون مبتدأ وهو مع خبره

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وَقَوْلِكَ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرٌو ، وَقَوْلِكَ : خَرَجْتُ فَاذَا زَيْدٌ ، وَقَوْلِهِ

المحذوف جملة معطوفة على جملة ان الذين آمنوا إلى آخره لا محل لها من الاعراب وفائدة تقديم الصابئون التنبيه على أنهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم «هذا» وقد أنشد البيت صاحب الكامل فانى وقيارا بالنصب ثم قال ولو رفع لكان جيدا تقول أن زيدا منطلق وعمرا وعمرو فمن قال عمرا فانما رده على زيد ومن قال عمرو فله وجهان جيد وهو أن تحمل عمرا على الموضع وجائز وهو أن يعطف على المضمر فى الخبر. والبيت لضابئ بن الحارث البرجمى من أبيات قالها وهو محبوس فى المدينة أيام الخليفة الثالث وصدره

* وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ *

الرحل المنزل وقيار إسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر ومعناه التوجع من الغربة (وقوله نحن بما عندنا) أى نحن بما عندنا راضون فالمسند الى نحن محذوف كما ترى للاحتراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل ومما حذف فيه المسند للاحتراز عن العبث قوله تعالى: والله ورسوله أحق أن يرضوه أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ويعجبنى أن يكون جملة واحدة وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا فى حكم مرضى واحد . والبيت لقيس بن الخطيم من فحول شعراء الجاهلية (وقولك زيد منطلق وعمرو) ومن هذا الباب قوله تعالى : واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن، أى واللائى لم يحضن مثلهن (وقولك خرجت فاذا زيد) فحذف المسند الى زيد

* إِنَّ مَحَلاً وَإِنَّ مُرْتَحَلا * أَىْ إِنَّ لَنا فِى الدُّنْيَا، وَلَنا عَنْها، وَقَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

للاحتراز عن العبث مع اتباع الاستعمال وإنما كان ذكره ههنا عبثا لأن اذا الفجائية تدل على مطلق الوجود وقد انضم اليها ما يدل على الخبر المخصوص وهو خرجت المشعر بأن المراد فاذا زيد بالباب أو موجود مثلا (وقوله إن محلا) اذ التقدير ـ كما قال المصنف ـ إن لنا فى الدنيا محلا ولنا عنها إلى الآخرة مرتحلا فالمسند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال . ومن هذا قول الرجل للرجل هل لكم أحد إن الناس ألب عليكم فيقول إن زيدا وان عمرا أى لنا وقد وضع سيبويه فى ذلك بابا فقال . هذا باب مايحسن عليه السكوت فى هذه الأحرف الخمسة لاضمارك ما يكون مستقرا لها وموضعا لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر ، وذلك إن مالا وإن ولدا وإن عددا؛ قال عبد القاهر: لو أسقطت، إن لم يحسن الحذف أو لم يجز لأنها الحاضنة له والمتكفلة بشأنه والمترجمة عنه . والبيت للأعشى وتمامه

* وَإِنَّ فِى السَّفْرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلا *

فى الصحاح السفر جمع سافر كصحب وصاحب وفى القاموس السافر المسافر لافعل له (وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون) قال صاحب الكشاف وتقديره لو تملكون تملكون مكررا لفائدة التأكيد فاضمر تملك الأول إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره قال وهذا ما يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم

يَحتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ ، أى أَجْمَلُ ، أو فأمْرِى ؛ وَلاَ بُدَّ مِنْ قَرِينَةٍ ، كَوُقُوعِ الْكَلاَمِ جَوَابًا لِسُؤَالٍ — مُحَقَّقٍ نحوُ : وَلَئِنْ سَأَلتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، أَوْ مُقَدَّرٍ نحوُ * لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

المختصون بالشح البالغ ونحوه قول حاتم :

* لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي *

وقول المتلمس :

* وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِى أَرَادُوا نَقِيصَتِي *

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدا والخبر (يحتمل الأمرين) يعنى حذف المسند إليه وحذف المسند والتقدير فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل . ومما يحتمل الأمرين قوله تعالى : سورة أنزلناها ، وطاعة معروفة أى هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ، والمطلوب منكم طاعة معروفة ، معلومة لايشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لأيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ، أو طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل ، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله الزمخشرى ومن هذا الباب قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة . أى ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة أو ولا تقولوا الله وعيسى ومريم آلهة ثلاثة ففى الحذف تكثير فائدة التوسعة بالاحتمال « تكملة » قال صاحب المفتاح : وقد يكون حذف المسند بناء على أن ذكره يخرج إلى ماليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فانك لو قلت أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال الى الانقطاع (نحو لبيك يزيد) وتمامه * ومختبط مما تطيح الطوائح * فأنت ترى أنه لما قال

وَفَضْلُهُ عَلَى خَلَافِهِ بِتَكَرُّرِ الْإِسْنَادِ إِجْمَالاً ثُمَّ تَفْصِيلاً، وَبِوُقُوعِ نَحْوِ يَزِيدُ غَيْرَ فَضْلَةٍ، وَبِكَوْنِ مَعْرِفَةِ الْفَاعِلِ كَحُصُولِ نِعْمَةٍ غَيْرِ مُتَرَقَّبَةٍ

ليبك يزيد كأن سائلا سأله من يبكيه فقال ضارع أى يبكيه ضارع وقد روى البيت بفتح ياء يبك فيكون يزيد مفعولا وضارع فاعلا والضارع المستكن الخاشع وقوله لخصومة أى لأجل حصومة نالته لأنه كان ملجأ للعائذين والمختبط الذى يطلب المعروف من غير آصرة والطوائح جمع مطيحة وهى القواذف على غير قياس كلواقح جمع ملقحة يقال طوحته الطوائح أى نزلت به المهالك والبيت لضرار بن بهشل يرثى أخاه يزيد (وفضله) يعنى هذا التركيب وهو بناء ليبك للمفعول على الرواية المشهورة (على خلافه) يعنى ليبك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد (اجمالا ثم تفصيلا) أى بأن أسند أولا اجمالا أى اسناد اجمال ثم أسند ثانيا تفصيلا أى إسناد تفصيل «وبعد» فقد قال السكاكى ان مثل هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شأن الكلام فى باب البلاغة إلى حيث يناطح السماكين ويبارى الفرقدين وموقعه أن يصل من بليغ عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات الأحوال ساحر فى اقتضاب الكلام ماهر فى افانين السحر إلى بليغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستتبعاته. ومن هذا الاسلوب قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن على وجه فان لله شركاء ان جعلا مفعولين لجعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر أن يكون منصوبا بمحذوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد الكلام انكار الشريك مطلقا فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن فى الانكار دخول اتخاذه من الجن والثانى ما ذكره صاحب الكشاف أن ينتصب الجن بدلا من شركاء فيفيد انكار الشريك مطلقا أيضا، قال: وإن

لأَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ غيرُ مُطْمِعٍ فِي ذِكْرِهِ * وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلِمَامَرَّ ، أَوْأَنْ
يَتَعَيَّنَ كَوْنُهُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا * وَأَمَّا إِفْرَادُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيرَ سَبَبِيٍّ مَعَ

جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنا أو غيرهما ولذلك قدم اسم الله على الشركاء (فلما مر) فى ذكر المسند إليه من أن الذكر هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ومن الاحتياط لضعف التعويل على القرينة ومن التعريض بغباوة السامع مثل قوله تعالى بل فعله كبيرهم هذا بعد قوله أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم وغير ذلك (أو أن يتعين كونه اسما) فيستفاد منه الثبوت (أو فعلا) فيستفاد منه التجدد (فلكونه غير سببى إلى آخره) إليك عبارة السكاكى مع شىء من التصرف قال: وأما الحالة المقتضية لأفراد الاسم فهى اذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم والمراد بالفعلى ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك أبو زيد منطلق والكر من البربستين وضرب أخو عمرو ويشكرك عمرو إن تعطه وفى الدار خالد اذ تقديره استقر أو حصل فى الدار على أقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف ومما يقتضى أن يكون جملة أن يراد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك (١) أنا عرفت وأنت عرفت وهو

(١) بينا لك سبب التقوى فى مثل هذه المثل عند الكلام على تقديم المسند إليه على ما ارتآه الشيخ عبد القاهر أما على ما ذكره السكاكى فسبب التقوى أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شىء فاذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إليه صرفه إلى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن الضمير أو متضمنا له ثم إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانيا فيكتسى الحكم قوة

عَدَمِ إِفَادَةِ تَقَوِّى الْحُكْمِ ؛ وَالْمُرَادُ بِالسَّبَبِيِّ نَحوُ : زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ وَأَمَّا كَوْنُهُ فِعْلاً فَلِلتَّقْيِيدِ بِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَخْصَرِ وَجْهٍ مَعَ إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كَقَوْلِهِ

أَوْ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

عرف وزيد عرف أو أن يكون المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثبوت لما هو مبنى عليه أو بالانتفاء عنه مطلوب التعليق بغير ماهو مبنى عليه تعليق اثبات لذلك الغير بنوع ما أو نفى عنه بنوع ما أو يكون المسند فعلا يستدعى الاستناد الى مابعده بالاثبات أو بالنفى فيطلب تعليقه على ماقبله بنوع اثبات أو نفى لكون مابعده بسبب مما قبله فالأول نحو زيد أبوه منطلق فان مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته لمبتدئه يعنى أبوه قد علق بزيد بالاثبات له وزيد غير مابنى منطلق عليه والثانى نحو عمرو ضرب أبوه فان ضرب فعل أسند الى مابعده وهو أخوه ثم علق على ماقبله وهو عمرو بالاثبات لأن الأخ متعلق به ومضاف الى ضميره (كقوله) أى قول طريف بن تميم العنبرى من أبيات يصف بها نفسه بالشجاعة (أو كلما الى آخره) فالمعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فحالا وتصفح منه للوجوه واحدا بعد واحد ولو قيل متوسما لم يفد ذلك حق الافادة . ومن البين فى ذلك قوله جل شأنه : هل من خالق غير الله يرزقكم ، اذ لو قيل هل من خالق غير الله رازق لكم لكان المعنى غير ماأريد ، وقول الاعشى :

وَأَمَّا كَوْنُهُ اسْمًا فَلِإِفَادَةِ عَدَمِهَا كَقَوْلِهِ

لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتَنَا ... لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِمَفْعُولٍ وَنَحْوِهِ فَلِتَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ، وَالْمُقَيَّدُ فِي نَحْوِ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ (١)

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

المعنى على ان هناك موقدا يتجدد منه الالهاب والاشعال حالا فحالا واذا قيل إلى ضوء نار متحرقة كان المعنى ان هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة وجرى ذلك مجرى أن يقال الى ضوء نار عظيمة فى أنه لايفيد فعلا يفعل « هذا » وعكاظ متسوق للعرب يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون. يقول الشاعر: ان لكل قبيلة على جناية فمتى وردوا عكاظ طلبنى الكافل بأمرهم (فلافادة عدمهما) أى عدم التقييد المذكور وافادة التجدد لأن الاسم وضع لأجل ان يثبت به المعنى للشيء فحسب (كقوله) أى قول النضر بن جؤية يتمدح بالغنى والكرم — فالمعنى ان الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائما. ومما هو ظاهر فى ذلك قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فان أحدا لايشك فى امتناع الفعل ههنا كما لايخفى (ونحوه) كالحال والتمييز (فلتربية الفائدة) لأن الحكم العارى عن القيود لايزيد عن فائدة نسبة المحكوم به للمحكوم عليه بل ربما كان ذلك الحكم معلوما عند السامع فلا يفيد فاذا زيد قيد كان

---

(١) لاحت لمعت واليفاع ماارتفع من الأرض وتشب توقد والمقرور المصاب بالقر وهو البرد والندى الكرم والمحلق اسم رجل كريم من ولد أبى بكر بن كلاب من بنى عامر

كانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقاً هُوَ مُنْطَلِقاً لا كانَ * وَأَمَا تَرْكُهُ فَلِمَانِعٍ مِنْهَا * وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ فَلِاعْتِبَارَاتٍ لاَ تُعْرَفُ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ أَدَوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وقَدْ بُيِّنَ ذَلِكَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ ، وَلَكِنْ لاَ بُدَّ مِنَ النَّظَرِ هَهُنَا فِي إِنْ وَإِذَا وَلَوْ . . فَإِنْ وَإِذَا لِلشَّرْطِ فِي الاِسْتِقْبَالِ ، لَكِنْ أَصْلُ إِنْ عَدَمُ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُ إِذَا الْجَزْمُ بِوُقُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّادِرُ مَوْقِعاً لِإِنْ ، وَغَلَبَ لَفْظُ الْمَاضِي مَعَ إِذَا نحو : فإذا جَاءَتْهُمْ

فيه فائدة غريبة وكلما كثرت قيوده كثرت فوائده (هو منطلقا لا كان) لأن منطلقا هو المسند حقيقة وكان قيد له للدلالة على زمان النسبة (تركه) أى ترك تقييد المسند (فلمانع منها) أى من تربية الفائدة كعدم العلم بالمقيدات أو عدم الاحتياج اليها وغير ذلك من الأغراض (تقييده) أى الفعل (ادواته) أدوات الشرط (للشرط فى الاستقبال) أى لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط فى المستقبل (ولذلك كان النادر موقعاً لان) لأنه غير مقطوع به فى غالب (١) الأمر (وغلب لفظ الماضى مع اذا) لكونه أقرب الى القطع بالوقوع نظراً الى اللفظ « وبعد » فلابد للبليغ من العلم بموقع ان واذا حتى يكون بنجوة من الخطأ ومفازة من اللوم أو ماترى كيف انجوا باللائمة على عبد الرحمن بن حسان اذ أخطأ بهما الموقع فى قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها

---

(١) قالوا ذلك لأن النادر — وهو ماوقوعه قليل — قد يجزم بوقوعه كما جزم بوقوع اليوم الآخر مع ندور وقوعه اذ لايحصل الا مرة واحدة

الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه، لأن المراد الحسنة المطلقة، ولهذا عرفت تعريف الجنس، والسيئة نادرة بالنسبة إليها، ولهذا نكرت، وقد تستعمل إن فى الجزم تجاهلا أو لعدم جزم

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتى ... تولى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها

إذا هى حثته على الخير مرة ... عصاها وإن همت بشر أطاعها

(جاءتهم) قوم موسى (الحسنة) من الخصب والرخاء (لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (سيئة) جدب وبلاء (لأن المراد إلى اخره) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف غفر الله له وهاك عبارته: فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الجنس وإن تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا فى الندرة ولا يقع إلا شىء منها. إنتهى كلامه. أما قوله تعالى وإذا مس الناس ضر بلفظ اذا مع الضر فللنظر الى لفظ المس والى تنكير الضر المفيد فى المقام التوبيخى القصد الى اليسير من الضر والى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر وللتنبيه على أن مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن يكون فى حكم المقطوع به وأما قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض بعد قوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه أى أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير فى مسه للمعرض المتكبر ويكون لفظ اذا للتنبيه على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به (تجاهلا) لاستدعاء المقام إياه كما اذا استطلت

المُخاطَبِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُكَذِّبُكَ: إِنْ صَدَقْتُ فَمَاذَا تَفْعَلُ، أَوْ تَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الجاهلِ لمخالفَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ، أَوِ التَّوْبِيخِ وَتَصْوِيرِ أَنَّ المَقَامَ لاشْتِمَالِهِ عَلَى ما يَقْلَعُ الشَّرْطَ عن أَصْلِهِ لايَصْلُحُ إلا لِفَرْضِهِ كما يُفْرَضُ المُحالُ نحو: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ، فِيمَنْ قَرَأَ إِنْ بِالْكَسْرِ، أَوْتَغْلِيبِ غَيْرِ المُتَّصِفِ بِهِ عَلَى المُتَّصِفِ؛ وَقَوْلُهُ تعالَى: وَإِنْ كُنْتُمْ

ليلتك فتقول أن يطلع الصبح وينقض الليل أفعل كذا فتتجاهل تولها وتضجرا (أو تنزيله الى آخره) كما يقول الأب لابن لا يراعى حقه أفعل ما شئت إنى إن لم أكن لك أبا كيف تراعى حقى (كما يفرض المحال) متى تعلق بفرضه غرض من الأغراض نحو إرخاء العنان لا لزام الخصم والتبكيت كما ذكر الزمخشرى فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا أنه من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا يوجد له مثل فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل تشير عليه هذا هو الرأى والصواب فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه (نحو افنضرب الآية) فأنت ترى أن الأسراف مقطوع به لكن جىء بلفظ إن لقصد التأنيب والتجهيل فى ارتكاب الأسراف وتصوير أن الأسراف من العاقل فى هذا المقام — مقام ظهور الآيات ونزول القرآن — حرى أن لايكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض

فى رَيْبٍ مِمَّا نزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يحتملُهُمَا . وَالتَّغْلِيبُ يجْرِى فى فُنونٍ ، كقَوْلِهِ تَعَالَى : وَكانتْ مِنَ الْقانِتِينَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تجهلون ، ومنه أَبَوَانِ

والتقدير (به) أى بالشرط (يحتملهما) أى يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة وتصوير أن الريبة مما لا ينبغى أن تثبت لهم إلا على الفرض لاشتمال المقام على مايزيلها وهو الآيات وأن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم فانه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً (والتغليب) وهو أن يغلب على الشىء مالغيره لتناسب بينهما أو اختلاط وهو أمر يجرى فى كل متناسبين ومختلطين بحسب المقامات لكن غالب أمره دائر على الشرف والخفة (وكانت من القانتين) فعدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب لان القنوت مما يوصف به الذكور والاناث ولولا ذلك لقيل وكانت من القانتات (بل أنتم قوم تجهلون) فكان القياس يجهلون لأن الضمير عائد إلى قوم ولفظه لفظ الغائب لكونه اسما مظهرا لكنه فى المعنى عبارة عن المخاطبين فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة (ومنه أبوان) ومنه قوله تعالى لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا ، أدخل شعيب عليه السلام فى لتعودن فى ملتنا بحكم التغليب اذ لم يكن شعيب فى ملتهم أصلا ، وقوله تعالى فسجدوا الا ابليس ، عد ابليس من الملائكة بحكم التغليب ، وقوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه فان الخطاب فيه شامل للعقلاء والأنعام فغلب فيه المخاطبون على الغائبين والعقلاء على الأنعام وقوله يذرؤكم فيه أى يبثكم ويكثركم فى هذا التدبير وهو ان جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وأناثهم التوالد والتناسل فجعل هذا التدبير كالمعدن والمنبع للبث والتكثير ولذلك قيل يذرؤكم فيه ولم يقل به كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة

وَنَحْوُهُ ، وَلِكَوْنِهِمَا لِتَعْلِيقِ أَمْرٍ بِغَيْرِهِ فِي الِاسْتِقْبَالِ كَانَ كُلٌّ مِنْ جُمْلَتَيْ كُلٍّ فِعْلِيَّةً اسْتِقْبَالِيَّةً ، وَلَا يُخَالِفُ ذَلِكَ لَفْظاً

(ونحوه) كالمشرقين للمشرق والمغرب والقمرين للشمس والقمر والحسنين للحسن والحسين وما أشبه ذلك مما غلب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر بأن جعل متفقاً له فى الاسم ثم ثنى ذلك الاسم وقصد اليهما جميعا (ولكونهما) ان واذا (لتعليق أمر) وهو حصول مضمون الجزاء (بغيره) وهو حصول مضمون الشرط (فى الاستقبال) مرتبط بلفظ غيره على معنى جعل حصول الجزاء مترتبا على حصول الشرط فى الاستقبال (كان كل من جملتى كل فعلية استقبالية) ذاك لأن الشرط كما لا يخفى مفروض الحصول فى الاستقبال فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق حصوله على حصول الشرط فى الاستقبال ويمتنع كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل فى المستقبل (لفظا) وأما معنى فلا يمكن التخالف بحال وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك وقوله الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا معناه ينصره من نصره قبل ذلك وقس على هذا بقدر ماينا سب المقام « هذا » وقد تستعمل(١) ان فى غير الاستقبال قياسا إذا كان الشرط لفظ كان مثل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية وفى غير ذلك قليلا كقول أبى العلاء المعرى

(١) يكون ذلك إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط فى الماضى ولا يقال إن هذا ينافى ما قدمناه آنفا من أن الشرط مفروض الحصول فى الاستقبال لانا نقول هذا حين استعمال إن للتعليق فى المستقبل كما هو غالب أمرها

إِلَّا لِنُكْتَةٍ، كإبْرَازِ غَيْرِ الحَاصِلِ فِي مَعْرِضِ الحَاصِلِ، لِقُوَّةِ الأَسْبَابِ أَوْ كَوْنِ مَا هُوَ لِلْوُقُوعِ كَالوَاقِعِ، أَوِ التَّفَاؤُلِ، أَوْ إِظْهَارِ الرَّغْبَةِ فِي وُقُوعِهِ

وَإِنْ ذَهَلَتْ عَمَّا أُجِنَّ صُدُورُهَا فَقَدْ أَلْهَبَتْ وَجْدًا نُفُوسَ رِجَالِ (١)

لظهور أن المعنى على المضى دون الاستقبال وقد تستعمل اذا للمضى مثل قوله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين ، حتى إذا ساوى بين الصدفين ، حتى إذا جعله نارا ، وللاستمرار مثل قوله جل شأنه وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (الا لنكتة) فان قلت فأى نكتة فى قوله تعالى : ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون. وقد ذكر فى موضع جزاء هذا الشرط ثلاث جمل متعاطفة وعدل فى الثالثة الى لفظ الماضى فانا نقول الغرض من ذلك كما قال الزمخشرى الدلالة على انهم ودوا قبل كل شىء كفر المؤمنين وارتدادهم يعنى انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا، وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شىء عنده أن يقصد اعز شىء عند صاحبه (لقوة الأسباب) وذلك كما تقول حال انعقاد أسباب الاشتراء إن اشترينا كذا كان كذا (أو كون ما هو للوقوع كالواقع) هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الأسباب يعنى أنه يعبر بالماضى عن المستقبل فى جملة الشرط لقصد إبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقع فى ترتب ثمرة الوقوع فى الجملة على كل منهما وذلك مثل أن تقول إن مت كان كذا وكذا (فى وقوعه) أى وقوع الشرط أو

---

(١) يقول : إن هذه الابل قد أحرقت بحنينها قلوب رجال يعنى راكبيها وإن خلت صدورها عن الوجد الذى أضمره .

نحو: إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام، فإن الطالب إذا عظمت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه، فربما يخيل إليه حاصلا. وعليه: إن أردن تحصنا * السكاكي: أو للتعريض نحو: لئن أشركت ليحبطن

غير الحاصل (إن ظفرت إلى آخره) هو مثال للأمرين قبله (فربما يخيل إليه حاصلا) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلطه تارة واستخرج له محملا أخرى وعليه قول أبي العلاء المعرى

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني ... سرى أمامي وتأويبا على أثري

يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فأعدك بين يدي مغلطا للبصر بعلة الظلام إذا لم يدركك ليلا أمامي واعدك خلفي إذا لم يتيسر لي تغليط حين لا يدركك بين يدي نهارا (وعليه) أي على إظهار الرغبة في الوقوع قوله تعالى: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا، فلم يقل إن يردن وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة في إرادتهن التحصن وإنما قال وعليه لأن الله منزه عن الرغبة والمراد ههنا لازمها وهو كمال الرضا به «هذا» وفائدة قوله ان أردن تحصنا أن يبشع عند المخاطب الوقوع في الاكراه لكي يعرف أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وان لم يكن ثم زاجر شرعي ذاك لان مضمون الآية النداء عليه بأن امته خير منه لانها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الاكراه عليها (نحو لئن أشركت) فالخطاب لمحمد عليه السلام وعدم إشراكه مقطوع به لكن جيء بلفظ الماضي ابرازا للاشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تعريضا لمن صدر عنهم الاشراك بانهم قد حبطت أعمالهم، ومما هو بين في ذلك قوله تعالى ولئن اتبعت إهواءهم بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين، قال صاحب

عَمَلُكَ ، وَنَظِيرُهُ فِى التَّعْرِيضِ: وَمَالِىَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى ؟ أَىْ وَمَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ الَّذِى فَطَرَكُمْ، بِدَلِيلِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ: وَوَجْهُ حُسْنِهِ إِسْمَاعُ الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهٍ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ، وَهُوَ تَرْكُ التَّصْرِيحِ بِنِسْبَتِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُولِهِ لِكَوْنِهِ أَدْخَلَ فِى إِمْحَاضِ النُّصْحِ، حَيْثُ لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ . وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِى الْمَاضِى مَعَ الْقَطْعِ بِانْتِفَاءِ الشَّرْطِ فَيَلْزَمُ عَدَمُ الثُّبُوتِ وَالْمَضِىُّ فِى جُمْلَتَيْهَا، فَدُخُولُهَا

الكشاف هذا كلام ورد على سبيل الفرض والتقدير وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى (ونظيره فى التعريض ومالى لا أعبد الذى فطرنى) ومثل ذلك قوله تعالى : أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إنى إذا لفى ضلال مبين اذ المراد أتتخذون من دونه آلهة ان يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيأ ولا ينقذونكم انكم اذا لفى ضلال مبين ولذلك قيل آمنت بربكم دون بربى وأتبعه فاسمعون (بدليل واليه ترجعون) اذ لولا التعريض لكان المناسب واليه أرجع لأنه الموافق للسياق (حسنه) أى التعريض (المخاطبين) الذين هم أعداء المتكلم (ويعين) عطف على قوله لا يزيد أى أن ذلك الوجه لا يزيد غضبهم وهو على ذلك يعين على قبول الحق (ولو للشرط فى الماضى الى آخره) يقول أصل لو انها تدل على ان الجزاء كان فيما مضى بحيث يقع على تقدير وقوع الشرط مع القطع بانتفاء الشرط المقتضى انتفاء الجزاء فانت اذا قلت لو جئتنى لأكرمتك فهم ان المجئ شرط فى الاكرام وانه على تقدير وقوعه يقع وفهم مع هذا ان الأول لم يقع فيلزم ـ حيث كان المجئ شرطا وانتفى ـ انتفاء المشروط الذى هو الجزاء ومن هنا قيل ان لو لامتناع الشئ لامتناع غيره وتوفية ذلك حقه من البيان أمس بعلم اللغة (والمضى) وذهب المبرد الى أنها تستعمل

عَلَى الْمُضَارِعِ فِى نَحْوِ: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ، لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ فِيمَا مَضَى وَقْتاً فَوَقْتاً، كَمَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى: أَللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَفِى نَحْوِ: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ، لِتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْمَاضِى

فى المستقبل استعمال ان وأنشد قول الهذلى

وَلَوْ تَلْتَقِى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا

وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الأَرْضِ سَبْسَبُ (١)

لَظَلَّ صَدَى صَوْتِى وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهَشُّ وَيَطْرَبُ

(لعنتم) أى لوقعتم فى العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أى يطلب مايؤديه الى الهلاك وقد أعنت العظم اذا هيض بعد الجبر (لقصد استمرار الفعل الى آخره) قال الزمخشرى انما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله على مايستصوبونه وانه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الأمر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا (كما فى قوله الله يستهزئ بهم) قال فى الكشاف فان قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم (وفى نحو ولو ترى الى آخره) من هذا الباب قوله : ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ، وقوله : ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم . هذا

---

(١) الأصداء جمع صدى ظل الصوت يرجع مثله فى الجبل ونحوه والرمس القبر والسبسب المفازة ويهش يرتاح ويميل

لِصُدُورِهِ عَمَّنْ لا خِلافَ فى إِخْبارِهِ، كما فى: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ! أَوْ لِاسْتِحْضارِ الصُورَةِ كما قالَ تعالَى: فتُثِيرُ سَحَاباً، اسْتِحْضارًا لِتِلْكَ الصُورَةِ الْبَدِيعَةِ الدالَّةِ عَلى القُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ * وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِإِرادَةِ عَدَمِ الْحَصْرِ وَالعَهْدِ، كقولِكَ زَيْدٌ كاتِبٌ وَعَمْرٌو شاعِرٌ، أَوْ لِلتفْخِيمِ، نَحْوُ:

ويجوز أن تكون لو فى هذه الآيات للتمنى كانه قال وليتك ترى وحينئذ لا استشهاد لأن التى للتمنى تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى (كما فى ربما يود) قال صاحب الكشاف فان قلت لم دخلت ربما على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضى قلت لأن المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود (أو لاستحضار الصورة) هو معطوف على قوله لتنزيله يعنى صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار قائلين ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم والمجرمين ناكسى رؤسهم متقاولين بتلك المقالات وصورة وداده الكافرين لو أسلموا (كما فى قوله تعالى فتثير سحابا) وكما فى قول تأبط شرا

ألاَ مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ فَهْمٍ ... بِمَا لاَقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بِطَانِ

بِأَنِّى قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَهْوِى ... بِسَهْبٍ كالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَقُلْتُ لَهَا كِلاَنَا نِضْوُ أَرْضٍ ... أَخُو سَفَرٍ فَخَلِّى لِى مَكَانِى

فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِى فَأَهْوَتْ ... لَهَا كَفِّى بِمَصْقُولٍ يَمَانِى

فَأَضْرِبُهَا بِلاَ دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

اذ قال فأضربها ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه

هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، أَوْ لِلتَّحْقِيرِ * وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ بِالإِضَافَةِ أَوِ الْوَصْفِ

فَلِتَكُونَ الفَائِدَةُ أَتَمَّ كَمَا مَرَّ * وَأَمَّا تَرْكُهُ فَظَاهِرٌ مِمَّا سَبَقَ * وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ

فَلِإِفَادَةِ السَّامِعِ حُكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ لَهُ بِإِحْدَى طُرُقِ التَّعْرِيفِ

يبصرهم اياها ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة « تكملة » قد يكون دخول لو على المضارع للدلالة على ان الفعل من الفظاعة بحيث يحترز عن ان يعبر عنه بلفظ الماضى لكونه مما يدل على الوقوع فى الجملة كما تقول لقد أصابتنى حوادث لو تبقى الى الآن لما بقى منى أثر . وقد يعدل عن عدم الثبوت الى جعل الجملة الثانية اسمية مثل قوله تعالى ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير، دلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها أما الجملة الأولى فلا تقع الا فعلية ألبتة (نحو هدى للمتقين) على انه خبر مبتدأ محذوف أو خبر ذلك الكتاب ، أى هدى لا يكتنه كنهه ومثله قول الله جل شأنه ان زلزلة الساعة شئ عظيم (أو للتحقير) كما تقول الحاصل لى من هذا المال شئ أى حقير (كما مر) من ان زيادة الخصوص توجب أتمية الفائدة (تركه) أى ترك تخصيص المسند بالاضافة أو الوصف (مما سبق) فى ترك تقييد المسند لمانع من تربية الفائدة (فلافادة السامع الى آخره) قال فى الايضاح: تفسير هذا انه قد يكون للشئ صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالما باتصافه باحداهما دون الأخرى فان أردت ان تخبره بأنه متصف بالأخرى فانك تعمد الى اللفظ الدال على الاولى وتجعله مبتدأ وتعمد الى اللفظ الدال على الثانية وتجعله خبرا فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية كما اذا كان للسامع أخ يسمى زيدا وهو يعرفه بعينه واسمه ولكن لا يعرف أنه أخوه وأردت أن تعرفه أنه أخوه فتقول له زيد أخوك سواء عرف أن له أخا

بِآخَرَ مِثْلِهِ، أَوْ لَازِمَ حُكْمٍ كَذَلِكَ، نَحْوُ: زَيْدٌ أَخُوكَ وَعَمْرٌو الْمُنْطَلِقُ بِاعْتِبَارِ تَعْرِيفِ الْعَهْدِ أَوِ الْجِنْسِ وَعَكْسِهِمَا، وَالثَّانِي قَدْ يُفِيدُ قَصْرَ

ولم يعرف أن زيدا أخوه أو لم يعرف أن له أخا أصلا وان عرف ان له أخا فى الجملة وأردت أن تعينه عنده قلت أخوك زيد أما إذا لم يعرف أن له أخا أصلا فلا يقال ذلك لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلا فظهر الفرق بين قولنا زيد أخوك وقولنا أخوك زيد وكذا إذا عرف السامع انسانا يسمى زيدا بعينه واسمه وعرف انه كان من انسان انطلاق ولم يعرف اته كان من زيد أو غيره فأردت أن تعرفه ان زيدا هو ذلك المنطلق فتقول زيد المنطلق وان أردت ان تعرفه ان ذلك المتطلق هو زيد قلت المنطلق زيد وكذا اذا عرف السامع انسانا يسمى زيدا بعينه واسمه وهو يعرف معنى جنس المنطلق واردت أن تعرفه ان زيدا متصف به فتقول زيد المنطلق وان أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت المنطلق زيد ، انتهى فقوله هنا بآخر مثله مرتبط بقوله حكما أى لافادة السامع حكما على أمر معلوم بأمر آخر مثل ذلك الأمر المحكوم عليه فى انه معلوم للسامع باحدى طرق التعريف وقوله أو لازم حكم كذلك معطوف على حكما أى أو لا فادة السامع لازم حكم على أمر معلوم باحدى طرق التعريف بأمر آخر مثله وفى هذا اشارة إلى أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافى كون الكلام مفيدا للسامع فائدة مجهولة لأن ما يستفيد السامع من الكلام هو انتساب الخبر إلى المبتدأ أو كون المتكلم عالماً به والعلم بنفس المبتدأ والخبر لا يوجب العلم بانتساب أحدهما إلى الآخر وقوله باعتبار متعلق بمحذوف حال من المنطلق (والثانى) أى اعتبار تعريف الجنس (قد يفيد) وقد لا يفيد القصر كقول الخنساء

الْجِنْسِ عَلَى شَيْءٍ، تَحْقِيقاً نحوُ: زَيْدٌ الأَمِيرُ، أَوْ مُبالَغَةً لِكَمَالِهِ فِيهِ، نحوُ: عَمْرٌو الشُّجَاعُ، وَقِيلَ: الِاسْمُ مُتَعَيِّنٌ لِلابْتِدَاءِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الذَّاتِ وَالصِّفَةُ لِلْخَبَرِيَّةِ لِدَلَالَتِهَا عَلَى أَمْرٍ نِسْبِيٍّ؛ وَرُدَّ بِأَنَّ الْمَعْنَى الشَّخْصُ الَّذِي

إِذَا قَبُحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا

لم ترد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ولكنها أرادت أن تقره فى جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذى لا ينكره أحد ومثله قول الآخر

أُسُودٌ إِذَا مَا أَبْدَتِ الْحَرْبُ نَابَهَا وَفِى سَائِرِ الدَّهْرِ الْغُيُوثُ الْمَوَاطِرُ

وقول حسان

وَإِنَّ سِنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

أراد أن يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها معروفا بها (نحو زيد الأمير) اذا لم يكن أمير سواه (لكماله فيه) أى لكمال ذلك الجنس فى المقصور عليه أو لكمال المقصور عليه فى الجنس (نحو عمرو الشجاع) أى الكامل فى الشجاعة فتخرج الكلام فى صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال « وبعد » فالمقصور قد يكون نفس الجنس مطلقا أى من غير اعتبار تقييده بشىء مما فى الأمثلة المذكورة قبل وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره كقولك هو الوفى حين لا تظن نفس بنفس خيرا ومثله قول الاعشى

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْمُصْطَفَاةَ إِمَّا مَخَاضاً وَإِمَّا عِشَارَا

فانه قصر عليه هبة المائة من الابل حال كونها مخاضاً أو عشارا لا هبة المائة بأى حال كانت ولا الهبة مطلقا سواء كانت هبة الابل أو غيرها « هذا »

لَهُ الصِّفَةُ صَاحِبُ الِاسْمِ * وَأَمَّا كَوْنُهُ جُمْلَةً فَلِلتَّقَوِّي أَوْ لِكَوْنِهِ سَبَبِيًّا

وقد ذكر الشيخ فى دلائل الاعجاز للخبر المعرف باللام معنى غير ما ذكر دقيقا وذلك مثل قولك هو البطل المحامى لا تريد أنه البطل المعهود ولا قصر جنس البطل عليه مبالغة ونحو ذلك بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامى وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف ينبغى أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه فان كنت قتلته علما وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقه كطريق قولك هل سمعت بالاسد وهل تعرف ماهو فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه ، ويزداد هذا المعنى ظهورا بأن تكون الصفة التى تريد الاخبار بها عن المبتدأ مجراة على موصوف وإن أردت أن تسمع فى ذلك ما تسكن النفس اليه سكون الصادى إلى برد الماء فاسمع قول ابن الرومى

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ ... وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مُفْرَدُ

وليس شيء أغلب على هذا الضرب من الذى فانه يجيء كثيرا على انك تقدر شيئا فى وهمك ثم تعبر عنه بالذى ومثال ذلك قوله

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ ... يُجِبْكَ وَإِنْ تَغْضَبْ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبِ

وقول الآخر

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا ... أَرَبْتَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهْ

وهذا فن عجيب الشأن وله مكان من الفخامة والنبل وهو من سحر البيان الذى تقصر العبارة عن تأدية حقه (وقيل إلى آخره) ذهب الامام الرازى إلى أن الاسم فى نحو زيد المنطلق والمنطلق زيد لما كان دالا على الذات تعين للابتداء تقدم أو تأخر والصفة لما كانت دالة على أمر نسبى تعينت

لِمَا مَرَّ، وَاسْمِيَّتُهَا وَفِعْلِيَّتُهَا وَشَرْطِيَّتُهَا لِمَا مَرَّ، وَظَرْفِيَّتُهَا لِاخْتِصَارِ الفِعْلِيَّةِ

الخبرية قدمت أو أخرت فأجاب المصنف بان المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق وانه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً وزيد لا يجعل خبرا إلا بمعنى صاحب اسم زيد وانه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ (فللتقوى) أى تقوى الحكم الذى هو ثبوت المسند للمسند اليه أو سلبه كزيد قام وما زيد قام (أو لكونه سببيا) نحو زيد أبوه قائم (لما مر) أن أفراده يكون لكونه غير سببى مع عدم افادة التقوى هذا وسبب التقوى فى مثل زيد قام على ما ذكره السكاكى هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شىء فاذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه سواء كان خاليا عن الضمير أو متضمنا له فينعقد بينهما حكم، ثم إذا كان متضمنا لضميره المعتد به بان لا يكون مشابها للخالى عن الضمير كما فى زيد قائم صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانيا فيكتسى الحكم قوة فعلى هذا يختص التقوى بما يكون مسندا إلى ضمير المبتدأ ويخرج عنه نحو زيد ضربته ويجب أن يجعل سببيا وأما على ما ذكره عبد القاهر فى دلائل الاعجاز وهو أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل إلا لحديث قد نوى اسناده إليه فاذا قلت زيد فقد أشعرت قلب السامع بأنك تريد الاخبار عنه فهذا توطئة له وتقدمة للاعلام به فاذا قلت قام دخل فى قلبه دخول المأنوس وهذا أشد للثبوت وأمنع من الشبهة والشك وبالجملة ليس الاعلام بالشىء بغتة مثل الاعلام به بعد التنبيه عليه والتقدمة فان ذلك يجرى مجرى تأكيد الاعلام فى التقوى فيدخل فيه نحو زيد ضربته وزيد مررت به (لما مر) فتكون اسمية لافادة الثبوت وفعلية لافادة التجدد، قال السكاكى: وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والاسمية تجددا وثبوتا هو يطلعك على انه حين ادعى المنافقون الايمان بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جائين

إذ هي مقدرة بالفعل على الأصح * وأما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه أهم كما مر * وأما تقديمه فلتخصيصه بالمسند إليه نحو: لا فيها غول، أي بخلاف خمور الدنيا، ولهذا لم يقدم الظرف في نحو: لا ريب فيه، لئلا يفيد ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى، أو للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله:

به جملة فعلية على معنى أحدثنا الدخول في الايمان وأعرضنا عن الكفر ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد دعواهم الكاذبة قوله تعالى وماهم بمؤمنين حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء. وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم وهو واذا لقوا الذين آمنوا قال امنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم تفاوتا إلى جملة فعلية وهي آمنا والى اسمية ومع ان وهي أنا معكم كيف أصاب شاكلة الرمي وعلى أن ابراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاما بالنصب بقوله لهم سلام بالرفع كيف كان عاملا بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد: واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها. وتكون شرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط (إذ هي إلى آخره) يعني انما قلنا ان الظرفية يثبت بها اختصار الفعلية لأن الظرف في قولنا زيد عندك مقدر بالفعل على الاصح فصار في تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف في تأويل المفرد (فلتخصيصه بالمسند اليه) أي لقصر المسند اليه على المسند (نحو لا فيها غول) مثله قوله عز وعلا لكم دينكم ولي دين وقولك لمن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيرده بين القيام والقعود من غير أن تخصصه بأحدهما قائم هو (أي بخلاف خمور الدنيا) فانها تغتال العقول (أو للتنبيه الى آخره) قال السكاكي: وانما يصار الى هذا التنبيه لان الظرف

لهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

أَوِ التَّفَاؤُلِ، أَوِ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

ثَلاَثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

(تنبيه) كَثِيرٌ مِمَّا ذُكِرَ فِى هذا البابِ وَالَّذِى قَبْلَهُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِهِمَا، كَالذِّكْرِ، وَالْحَذْفِ وَغَيْرِهِما ؛ وَالفَطِنُ إِذا أَتقَنَ اعْتِبَارَ ذلكَ فِيهِمَا لاَ يَخْفَى عَلَيهِ اعتبارُهُ فِى غَيْرِهِما .

يتأخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف أولى منه بالحمل على الخبر لامرين يتعاضدان فى ذلك استدعاء المنكر فى مقام الابتداء ان يوصف ليتقوى بذلك فائدة الحكم وصلاحية الظرف أن يكون من صفاته ولذلك لايجب تقديم الظرف على المنكر اذا كان موصوفا قال الله تعالى وأجل مسمى عنده (كقوله له همم) وقوله تعالى :. ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين وقول الشاعر

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِى وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ

والبيت لحسان بن ثابت فى النبى صلى الله عليه وسلم (أو التفاؤل) نحو

* سَعِدَتْ بِغُرَّةِ وَجْهِكَ الأَيَّامُ *

(أو التشويق الى ذكر المسند اليه) قال السكاكى وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام فى المسند والالم يحسن ذلك الحسن (كقوله ثلاثة) وقول الآخر

وَ كالنَّارِ الْحَيَاةُ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ

أحوالُ مُتعلَّقاتِ الفِعْلِ

أَلْفِعْلُ مَعَ المفعُول كالفِعْلِ مَعَ الْفَاعِلِ ، فِي أَنَّ الغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ إفادَةُ تَلَبُّسِهِ بِهِ ، لاَ إِفَادَةُ وُقُوعِهِ مُطْلَقاً ، فإذا لَمْ يُذْكَرْ مَعَهُ فالغَرَضُ إِنْ كانَ إِثْبَاتَهُ لِفَاعِلِهِ ، أَوْ نَفْيَهُ عَنْهُ مُطْلَقاً ، نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللاَّزِمِ ، وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ مَفْعُولٌ ، لأَنَّ المُقَدَّرَ كالمَذْكُورِ ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُجْعَلَ الفِعْلُ مُطْلَقاً كِنَايَةً عَنْهُ مُتَعَلِّقاً بِمفعُولٍ مَخْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ أَوْلاَ ، الثَّانِي كقَوْلِهِ تعالى : قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ؟

والبيت لمحمد بن وهيب يمدح المعتصم بالله (الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل) أصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز جعله تمهيدا للكلام على حذف المفعول والعبارة الواضحة ان يقال : إن حال الفعل مع المفعول الذى يتعدى اليه حاله مع الفاعل ، فكما انك اذا أسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك ان تفيد وقوعه منه لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط كذلك اذا عديته الى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه أما إذا أريد الاخبار بوقوعه فى نفسه من غير ارادة أن يعلم ممن وقع أو على من وقع فالعبارة عنه أنه يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد . . . واذ قد عرفت هذا فاعلم أن الفعل المتعدى اذا أسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فاما أن يكون الغرض اثبات المعنى فى نفسه

السَّكَاكِيُّ : ثُمَّ إِذَا كَانَ المَقَامُ خَطَابِيًّا لَا اسْتِدْلَالِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ ، دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ، وَالأَوَّلُ كَقَوْلِ البُحْتُرِيِّ فِى المُعْتَزِّ بِاللهِ

للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولااعتبار تعلقه بمن وقع عليه واما أن لا يكون كذلك فان كان الأول كان المتعدى بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لأن ذكره ينقض الغرض الا ترى انك لو قلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ما تناوله الاعطاء نفسه لا بيان كونه معطيا ولا يقدر أيضا لأن المقدر فى حكم المذكور وهذا النوع قسمان قسم هو مثل قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون المعنى هل يستوى من له علم ومن لاعلم له من غير أن يقصد النص على معلوم وقوله تعالى وأنه هو أغنى وأقنى وقوله وأنه هو أمات وأحيا على معنى أنه الذى منه الاغناء والاقناء والاحياء والاماتة . وهنا قال السكاكى : إذا كان المقام خطابيا يكتفى فيه بمجرد الظن لااستدلاليا يطلب فيه اليقين البرهانى أفاد ذلك مع العموم فى افراد الفعل بعلة ايهام إن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكم ثم جعل قولهم فى المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملا لذلك ولتعميم المفعول وعده الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الاطلاق من غير أشعار بشىء من ذلك . وقسم هو أن تذكر الفعل وفى نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجرى ذكر أو دليل حال إلا انك تنسيه نفسك وتخفيه وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا لان تثبت نفس معناه من غير أن تعديه الى شىء أو تعرض فيه لمفعول وهذا هو ماأراده المصنف بقوله أن يجعل الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ومثاله قول البحترى يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله

شَجْوُ حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعِ

أَىْ أَنْ يكونَ ذُو رُؤْيَةٍ وَذُو سَمْعٍ فَيُدْرِكَ مَحَاسِنَهُ وَأَخْبَارَهُ الظَّاهِرَةَ الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الإِمَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فلاَ يَجِدُوا إِلى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلًا وَإِلاَّ وَجَبَ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ القَرَائِنِ * ثُمَّ الحَذْفُ إِمَّا لِلْبَيَانِ بَعْدَ

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

المعنى لا محالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع واع اخباره بيد انه تغافل عن ذلك لأنه أراد أن يقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر لكثرتها واشتهارها ويكفى فى معرفة أنها سبب لاستحقاقه الامامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد فحساده وأعداؤه يتمنون أن لا يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها كى يخفى استحقاقه للامامة فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ومن هذا قول طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُزْلِقَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِى الوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَنَّا تُلَاقِى الَّذِى لَاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَلْجَئُوا إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتْ

فقد حذف المفعول فى أربعة مواضع لأن الاصل لملتنا وألجؤنا وأدفأتنا وأظلتنا إلا أنه كالمتناسى حتى كأن لا قصد الى مفعول وكأن الفعل أبهم أمره فلم يقصد به شىء يقع عليه وإن كان الثانى وهو أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول وجب تقديره بحسب القرائن ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة إذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة كقولك لو شئت جئت أو لم أجىء أى لو شئت المجىء أو عدم المجىء فانك متى قلت لو

الإبهام كما فى فعل المشيئة، مالم يكن تعلقه به غريباً، نحو: فلو شاء لهدا كم أجمعين، بخلاف نحو * ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * وأما قوله :

شئت علم السامع أنك علقت المشيئة بشىء فيقع فى نفسه أن هناك شيئاً تعلقت به مشيئتك بأن يكون أولا يكون فاذا قلت جئت أو لم أجىء عرف ذلك الشىء ومنه قوله تعالى فلو شاء لهدا كم أجمعين ، وقوله تعالى من يشأ الله يضلله وقول طرفة

فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت
مخافة ملوى من القد محصد (١)

وقول البحترى

لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده

وقوله أيضا

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

فان كان فى تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره فى نفس السامع وتؤنسه به يقول الرجل يخبر عن عزه لو شئت ان أرد على الامير رددت وان شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته وعليه قول الخريمى يرثى أبا الهيذام

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

---

(١) الارقال سرعة السير وناقة مرقال ومرقلة سريعة والقد السوط من الجلد والمحصد كالملوى المفتول

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّى الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِى فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِى بَكَيْتُ تَفَكُّرَا

فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الْبُكَاءُ الْحَقِيقِىُّ ، وَإِمَّا لِدَفْعِ تَوَهُّمِ إِرَادَةِ غَيْرِ الْمُرَادِ ابْتِدَاءً كَقَوْلِهِ

وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّى مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ

إِذْ لَوْ ذُكِرَ اللَّحْمُ لَرُبَّمَا تُوُهِّمَ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزَّ لَمْ

فلما كان أن يشاء الانسان أن يبكى دما بدعا عجيبا صرح بذكره ليقرره فى نفس السامع ويؤنسه فأما قول أبى الحسين على بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب بن عباد

ولم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت ان أبكى بكيت تفكرا

فليس منه لأنه لم يرد أن يقول فلو شئت ان أبكى تفكرا بكيت تفكرا ولكنه أراد ان يقول أفنانى النحول فلم يبق منى وفى غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فمريت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده ويخرج بدل الدمع التفكر فالمراد بالبكاء فى الأول الحقيقى وفى الثانى غير الحقيقى فالثانى لا يصلح لأن يكون تفسيرا للأول ؛ وإما لدفع أن يتوهم السامع فى أول الأمر إرادة شىء غير المراد كقول البحترى فى قصيدته التى أولها

* أعن سفه يوم الا يبرق أم حلم *

وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيانته له ودفعه نوائب الزمان عنه

وكم ذدت عنى من تحامل حادث وسورة أيام حززن إلى العظم

إذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان فى بعض اللحم ولم ينته إلى العظم فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ويجعله بحيث يقع المعنى منه فى أنف الفهم ويصور فى نفسه من أول

يَنْتَهِ إِلَى الْعَظْمِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ أُرِيدَ ذِكْرُهُ ثَانِياً عَلَى وَجْهٍ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ، إِظْهَارًا لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّوْ دَدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلَا

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكَ مُوَاجَهَةِ الْمَمْدُوحِ بِطَلَبِ مِثْلٍ لَهُ ؛ وَإِمَّا لِلتَّعْمِيمِ مَعَ الِاخْتِصَارِ، كَقَوْلِكَ : قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلِمُ ؛ أَيْ كُلَّ أَحَدٍ وَعَلَيْهِ : وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ؛ وَإِمَّا لِمُجَرَّدِ الِاخْتِصَارِ عِنْدَ قِيَامِ

الامران الحز مضى فى اللحم حتى لم يرده إلا العظم ؛ وإما لأنه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه اظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه كقول البحترى أيضا

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو دد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ثم حذف المثل اذ كان غرضه أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِي لَئِيماً أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالَا

فانه أعمل الفعل الأول الذى هو أمدح فى صريح لفظ اللئيم والثانى الذى هو أرضى فى ضميره اذ كان غرضه ايقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء ، ويجوز أن يكون سبب الحذف فى بيت البحترى قصد المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل فان العاقل لا يطلب الا ما يجوز وجوده

قَرِينَةٍ، نَحْوُ: أَصْغَيْتُ إِلَيْهِ، أَىْ أُذُنِى، وَعَلَيْهِ: أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، أَىْ ذَاتَكَ وَإِمَّا لِلرِّعَايَةِ عَلَى الفَاصِلَةِ، نَحْوُ: مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى؛ وَإِمَّا لِاسْتِهْجَانِ ذِكْرِهِ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِنِّى، أَىِ الْعَوْرَةَ؛ وَإِمَّا لِنُكْتَةٍ أُخْرَى *وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ، لِرَدِّ الخَطَإِ فِى التَّعْيِينِ، كَقَوْلِكَ: زَيْدًا عَرَفْتُ لِمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ إِنْسَانًا، وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ، وَتَقُولُ لِتَأْكِيدِهِ لَا غَيْرَهُ. وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ مَا زَيْدًا ضَرَبْتُ

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله وإما للتعميم إلى آخره (نحو ما ودعك ربك وما قلى) أى ما قلاك وقال صاحب الكشاف حذف المفعول فى مثل هذا اختصار لفظى للعلم به وقال بعضهم إن الحذف هنا لترك مواجهته عليه السلام بايقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان منفيا ولم يفعل ذلك فى ودع لان لفظ ودع ليس كلفظ قلى (وإما لنكتة أخرى) كالتمكن من انكاره إن مست الحاجة إليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك قال الله جل شأنه لينذر بأسا شديدا أى لينذر الذين كفروا فحذف لتعينه ولأن الغرض هو ذكر المنذر به (ونحوه) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المعمولات (عليه) أى على الفعل (لرد الخطأ فى التعيين) أى لرد المتكلم خطأ المخاطب فى ظنه وقوع الفعل على مفعول معين. وقد يكون لرد الخطأ فى ظن الاشتراك فى المفعول فتقول زيدا عرفت لمن اعتقد أنك عرفت زيدا وعمرا (ولهذا لا يقال ما زيدا ضربت ولا غيره) لمناقضة دلالة الأول والثانى، وهذا لما هو ظاهر عند ارادتك أن ترد على المخاطب فى اعتقاده وقوع الضرب منك على زيد أما إذا لم ترد ذلك فانه يجوز لك أن تقول ما زيدا ضربت ولا غيره

وَلا غيْرَهُ، وَلامَا زَيْدًا ضَرَبْتُ وَلَـكِنْ أَكْرَمْتُهُ، وَأَمَّا نَحْوُ: زَيْدًا عَرَفْتُهُ فَتَأْكِيدٌ، إِنْ قُدِّرَ الْمُفَسِّرُ قَبْلَ الْمَنْصُوبِ، وَإِلَّا فَتَخْصِيصٌ، وَأَمَّا نَحْوُ: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَلَا يُفِيدُ إِلَّا التَّخْصِيصَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ بِزَيْدٍ مَرَرْتُ

(ولا ما زيدا ضربت ولكن أكرمته) لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع فى الفعل بأنه الضرب فترده إلى الصواب بأنه الاكرام وإنما هو على أن الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه زيد فرده إلى الصواب أن تقول ولكن عمرا (إن قدر المفسر قبل المنصوب) فكان الأصل عرفت زيدا عرفته (والا) أى وان لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل قدر بعده فكان الاصل زيدا عرفت عرفته (فتخصيص) لأن المقدر كالمذكور فكما أن تقديم المفعول على الفعل المذكور يفيد الاختصاص كذلك تقديمه على المقدر . «وبعد» فقد علمت أن نحو زيدا عرفته يحتمل التخصيص ومجرد التأكيد والقرينة هى المعول عليها فى افادة أحدهما واذا دلت على التخصيص كان فى هذا التركيب أبلغ منه فى نحو زيدا عرفت لما فيه من التكرير المفيد للتأكيد ومعلوم ان ليس التخصيص الا تأكيدا على تأكيد فيتقوى بازدياد التأكيد لا محالة ومن هنا قال صاحب الكشاف فى قوله جل شأنه وإياى فارهبون انه من باب زيدا رهبته وهو أوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد (فلا يفيد الا التخصيص) لامتناع تقدير أما فهدينا ثمود لالتزامهم وجود فاصل بين أما والفاء « وبعد » فالظاهر ان مثل هذا التقديم ليس للتخصيص لأنه ليس الغرض انا هدينا ثمود دون غيرهم ردا على من زعم الاشتراك أو انفراد الغير بالهداية وانما الغرض اثبات أصل الهداية لهم ثم الاخبار عن سوء صنيعهم (وكذلك قولك بزيد مررت) فانه يفيد ان سامعك كان يعتقد مرورك

وَالتَخْصِيصُ لَازِمٌ لِلتَقْدِيمِ غَالِباً ، وَلِهذَا يُقَالُ فِى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، مَعْنَاهُ نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، وَفِى لَا إِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ، مَعْنَاهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ لَا إِلَى غَيْرِهِ ؛ وَيُفِيدُ فِى الْجَمِيعِ وَرَاءَ التَخْصِيصِ اهْتِمَاماً

بغير زيد فازلت عنه الخطأ مخصصا مرورك بزيد دون غيره (غالبا) يريد ان التقديم قد لا يكون للاختصاص بأن يكون لمراعاة نظم الكلام مثلا وذلك أن يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم مثل قوله جل وعلا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وقوله جل شأنه وان عليكم لحافظين — الى ربها ناظرة . فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث . الى غير ذلك من المواضع التى لا يحسن فيها اعتبار التخصيص لنبو المقام عنه كما نبه على ذلك صاحب المثل السائر (ويفيد فى الجميع وراء التخصيص اهتماما بالمقدم) قال صاحب الكتاب — وهو يذكر الفاعل والمفعول : — كأنهم يقدمون الذى شأنه أهم وهم ببيانه اعنى « وبعد » فقد قال الشيخ الامام فى دلائل الاعجاز : اعلم انا لم نجدهم اعتمدوا فى التقديم شيئاً يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام لكن ينبغى أن يفسر وجه العناية بشىء ويعرف له معنى وقد وقع فى ظنون الناس انه يكفى ان يقال انه قدم للعناية ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ولم كان أهم ومن الخطأ أيضاً أن يجعل التقديم مفيداً فى كلام فائدة وغير مفيد فى آخر وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه ، ذاك لأن من البعيد أن يكون فى جملة

بالمُقَدَّمِ، وَلِهـذَا يُقَدَّرُ فِي بِسْمِ اللهِ مُؤَخَّرًا ؛ وَأُورِدَ اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ وَأُجِيبَ بِأَنَّ الأَهَمَّ فِيهِ الْقِرَاءَةُ، وَبِأَنَّهُ متعلِّقٌ بِإِقْرَأْ الثَانِي ، وَمَعْنَى الْأَوَّلِ أَوْجِدِ الْقِرَاءَةَ . وَتَقْدِيمُ بَعْضِ مَعْمُولَاتِهِ عَلَى بَعْضٍ لِأَنَّ أَصْلَهُ التَقْدِيمُ وَلَا مُقْتَضِيَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ، كالفَاعِلِ فِي نَحْوِ : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا وَالمفعولِ الْأَوَّلِ فِي نَحْوِ : أَعْطَيْتُ زَيْدًا دِرْهَمًا، أَوْ لِأَنَّ ذِكْرَهُ أَهَمُّ

النظم مايدل تارة ولا يدل أخرى (ولهذا يقدر فى بسم الله مؤخرا) ليفيد مع الاختصاص الاهتمام لأن المشركين كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فقصد الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم (واورد إقرأ باسم) فان الفعل فيه مقدم (وأجيب بأن الأهم فيه القراءة) لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم من الأمر باختصاص القراءة باسم الله اذ لايناسب المقام وأصل هـذا لصاحب الكشاف (وبانه الى آخره) هذا ماأجاب به السكاكى واليك عبارته : الوجه عندى أن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وأوجدها على نحو ماتقدم فى قولهم فلان يعطى ويمنع فى أحد الوجهين غير معدى الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول إقرأ الذى بعده . ولا يذهب عليك أن ماارتآه الزمخشرى هو بالبلاغة ألصق وبنظم القرآن أليق (أو لأن ذكره أهم) قال فى الايضاح : فيقدم المفعول على الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه كما اذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى والقتل وأردت ان تخبر بقتله فتقول قتل الخارجى فلان بتقديم الخارجى اذليس للناس فائدة فى ان يعرفوا قاتله وانما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره . ويقدم الفاعل على المفعول اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن

كقولك: قتل الخارجي فلان، أو لأن في التأخير إخلالاً ببيان المعنى، نحو: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، فإنه لو أخر من آل فرعون عن قوله يكتم إيمانه لتوهم أنه من صلة يكتم فلم يفهم أنه منهم؛ أو بالتناسب كرعاية الفاصلة نحو فأوجس في نفسه خيفة موسى.

وقع منه لاوقوعه بمن وقع عليه كما اذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أن يقتل فقتل رجلا وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلا بتقديم القاتل لأن الذى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ومعلوم أنه لم يكن نادرا ولا بعيدا من حيث كان واقعا على من وقع عليه بل من حيث كان واقعا ممن وقع منه وعليه قوله تعالى ولاتقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم وإياهم وقوله جل شأنه ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم قدم المخاطبين فى الأولى دون الثانية لأن الخطاب فى الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى من املاق فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم والخطاب فى الثانية للاغنياء بدليل قوله خشية املاق فان الخشية انما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم (أو بالتناسب) أى أو لأن فى التأخير إخلالا بالتناسب (نحو فأوجس) الآية فقدم خيفة على موسى مع أنه فاعل لرعاية مابعده وماقبله من الفواصل المختومة بالألف اذ لو أخر خيفة لفات ذلك

﴿ أَلْقَصْرُ ﴾

أَلقصرُ: حَقِيقِيٌّ، وَغَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ: قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ، وَقَصْرُ الصِفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ؛ وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ، لَا النَّعْتُ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْحَقِيقِيِّ نَحْوُ مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ، إِذَا أُرِيدَ أَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِغَيْرِهَا وَهُوَ لَا يَكَادُ يُوجَدُ، لِتَعَذُّرِ الْإِحَاطَةِ بِصِفَاتِ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي كَثِيرٌ نَحْوُ مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ، وَقَدْ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ، لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِغَيْرِ الْمَذْكُورِ، وَالْأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَانِهَا. وَالثَّانِي تَخْصِيصُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ آخَرَ، أَوْ مَكَانَهُ؛ فَكُلٌّ مِنْهُمَا

(القصر) فى اصطلاح البيانيين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيقى) بأن يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفى نفس الأمر بأن لا يتجاوزه أصلا (وغير حقيقى) وهو الاضافى بأن يكون بحسب الاضافة والنسبة إلى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول : إن الصفة هنا يراد بها المعنى القائم بالذات لا النعت النحوى وهو التابع الذى يدل على معنى فى متبوعه غير الشمول (بغيرها) أى بغير الكتابة (لتعذر الاحاطة بصفات الشيء) واذن فلا يمكن اثبات شيء منها ونفى ماعداه (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد بقولنا مافى الدار إلا زيد ان جميع من فى الدار ممن عدا زيدا فى حكم المعدوم (فكل منهما) أى كل قسم من قسمى الاضافى وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة

ضَرْبَانِ ، وَالْمُخَاطَبُ بِالْأَوَّلِ مِنْ ضَرْبَيْ كُلٍّ مَنْ يَعْتَقِدُ الشَّرِكَةَ وَيُسَمَّى قَصْرَ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرِكَةِ ، وَبِالثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ ، وَيُسَمَّى قَصْرَ قَلْبٍ ، لِقَلْبِ حُكْمِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوِيَا عِنْدَهُ ، وَيُسَمَّى قَصْرَ تَعْيِينٍ

على الموصوف (ضربان) الأول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر والثانى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا فى الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعا بتلك الصفة فى الثانى فالمخاطب بقولنا مازيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمرا أيضا شاعر (من يعتقد العكس) أى عكس الحكم الذى أثبته المتكلم . فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من اعتقد اتصافه بالقعود دون القيام وبقولنا ماشاعر إلا زيد من اعتقد أن الشاعر عمرو لا زيد (أو تساويا عنده) هو معطوف على قوله يعتقد العكس يقول: إن المخاطب بالثانى إما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الأمران أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها فى الاول واتصافه بها واتصاف غيره بها فى الثانى فالمخاطب بقولنا مازيد إلا قائم من يعتقد اتصافه بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين وبقولنا ماشاعر إلا زيد من يعتقد أن الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين « والحاصل » أن تخصيص شىء بشىء دون آخر قصر افراد وتخصيص شىء بشىء مكان آخر ان اعتقد المخاطب فيه العكس قصر قلب وان تساويا عنده قصر تعيين والذى تشعر به عبارة السكاكى أن القسمة ثنائية وأن ماجعله المصنف قسما ثالثا وسماه قصر تعيين منظوم فى سلك قصر الأفراد ونوع منه وهاك عبارته : حاصل معنى

وَشَرْطُ قَصْرِ المَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ إِفْرَادًا عَدَمُ تَنَافِي الْوَصْفَيْنِ ، وَقَلْبًا تَحَقُّقُ تَنَافِيهِمَا ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعَمُّ ؛ وَلِلْقَصْرِ طُرُقٌ مِنْهَا الْعَطْفُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ إِفْرَادًا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَا زَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ وَقَلْبًا : زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، وَمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا عَمْرٌو ، أَوْ مَا عَمْرٌو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ . وَمِنْهَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ

القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا ومنجما أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر إفراد أو بوصف مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا مازيد منجم بل شاعر أوزيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب أو الى تخصيص الوصف بموصوف قصر افراد أو قصر قلب والمثل ظاهره وهو كلام متين وتقسيم قريب (عدم تنافى الوصفين) ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما فتكون المنفية فى قولنا مازيد شاعر كونه كاتبا أو منجما أو نحو ذلك لا كونه مفحما لايقول الشعر (وقلبا تحقق تنافيهما) ليكون اثبات الصفة مشعرا بانتفاء غيرها فتكون المنفية فى قولنا ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالسا أو نحو ذلك لا كونه أسود أو أبيض (وقصر التعيين أعم) واذن فكل مايصلح أن يكون مثالا لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس «وبعد» فقد أهمل السكاكى القصر الحقيقى وأدخل قصر التعيين فى قصر الأفراد كما علمت فلم يشترط فى قصر الموصوف إفرادا عدم تنافى الصفتين ولا فى قصره قلبا تحقق تنافيهما وحبذا صنيعه وكان أمس بالمصنف أن يحذو حذوه فى ذلك كما لا يخفى على طبع الذكى وقلب الفطن (كقولك فى قصره

فى قَصْرِهِ : مَازَيْدٌ إِلَّا شَاعِرٌ ، وَمَا زَيْدٌ إِلَّاقَائِمٌ ، وفِى قَصْرِهَا: مَا شَاعِرٌ إِلَّا زَيْدٌ؛ وَمِنْهَا إِنَّمَا، كَقَوْلِكَ فِى قَصْرِهِ: إِنَّمَا زَيْدٌ كَاتِبٌ وَإِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَفِى قَصْرِهَا : إِنَّمَاقَائِمٌ زَيْدٌ، لِتَضَمُّنِهَامَعْنَى مَا وَإِلَّا،لِقَوْلِ المُفَسِّرِينَ : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ بِالنَّصْبِ ،مَعْنَاهُ مَاحَرَّمَ عَلَيكُمْ إِلَّا المَيْتَةَ ، وَهُوَالمُطَابِقُ

ما زيد إلا شاعر الى آخره) قال الساكى: وتحقيق وجه القصر فى الأول انه متى قيل ما زيد توجه النفى الى صفته لا ذاته لان انفس الذوات يمتنع نفيها وانما تنفى صفاتها كما بين ذلك فى غير هذا العلم وحيث لانزاع فى طوله وقصره وما شا كل ذلك وانما النزاع فى كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفى فاذا قيل الا شاعر جاء القصر وفى الثانى أنه متى قيل ماشاعر فأدخل النفى على الوصف المسلم ثبوته أعنى الشعر لغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلا توجه النفى اليهما فاذا قيل إلا زيد جاء القصر (لتضمنها معنى ما والا) يقول:إن السبب فى افادة انما معنى القصر هو تضمنها معنى ما والا والدليل على ذلك ثلاثة أوجه : أولها قول المفسرين فى قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة بنصب الميتة إن المعنى ما حرم عليكم إلا الميتة وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة المقتضية لانحصار التحريم على الميتة بسبب أن ما فى قراءة الرفع يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعا اسما لان ويكون المعنى إن المحرم عليكم الميتة وقد سبق أن المنطلق زيد وزيد المنطلق كلاهما يقتضى انحصار الانطلاق على زيد ؛ الثانى أنك ترى أئمة النحو يقولون انما تأتى اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه ؛ الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك انما يضرب أنا مثله فى ما يضرب إلا أنا قال الفرزدق : انا الذائد ... أليبت كما قال عمرو بن معد يكرب

لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ، لِمَا مَرَّ، وَلِقَوْلِ النُّحَاةِ: إِنما لِإِثْبَاتِ مَا يُذْكَرُ بَعْدَهَا، وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ، وَلِصِحَّةِ انفِصَالِ الضَمِيرِ مَعَهَا، قالَ الْفَرَزْدَقُ:

أَنَا الذَّائِدُ الحَامِي الذِّمَارَ وإِنما يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنا أَوْمِثْلِي

وَمِنْهَا التَّقْدِيمُ، كَقَوْلِكَ فِي قَصرِهِ: تَمِيمِيٌّ أَنا. وَفِي قَصرِهَا: أَنا كَفَيْتُ مُهِمَّكَ

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

قال الشيخ عبد القاهر: اعلم أن الذى صنعه الفرزدق شيء لولم يصنعه لم يصح له المعنى، ذاك لأن غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه وأنه يزعم أن المدافعة منه تكون عن احسابهم لا عن احساب غيرهم كما يكون اذا قال وما أدافع إلا عن أحسابهم وليس ذلك معناه انما معناه أن يزعم أن المدافع هو لا غيره، قال: ولا يجوز أن ينسب فيه الى الضرورة فيجعل مثلا نظير قول الآخر:

* كَأَنَّا يَوْمَ قُرَّى إِنَّمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا *

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أدافع ويدافع واحد فى الوزن «هذا» وقد نقل فى تضمنها معنى ما وإلا مناسبة عن على بن عيسى الربعى وهى أنه لما كانت كلمة ان لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ناسب أن تضمن معنى القصر لأن القصر ليس إلا تأكيدا على تأكيد فان قولك زيد جاء لاعمرو لمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد فى الابتداء صريحا وفى الآخر ضمنا (أنا كفيت مهمك) بمعنى وحدى إذا كنت تخاطب به من يعتقد انك وغيرك كفيتما مهمه وبمعنى لا غيرى إذا كان المخاطب يعتقد

وَهَذِهِ الطُّرُقُ تَخْتَلِفُ مِنْ وُجُوهٍ، فَدَلَالَةُ الرَّابِعِ بِالفَحْوَى، وَالْبَاقِيَةِ بِالوَضْعِ وَالأَصْلُ فِي الأَوَّلِ النَّصُّ عَلَى المُثْبَتِ وَالمَنْفِيِّ كَمَا مَرَّ، فَلَا يُتْرَكُ إِلَّا كَرَاهَةَ الإِطْنَابِ، كَمَا إِذَا قِيلَ زَيْدٌ: يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَالعَرُوضَ أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمْرٌو وَبَكْرٌ، فَتَقُولُ فِيهِمَا زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لَا غَيْرُ أَوْ نَحْوَهُ، وَفِي الثَّلَاثَةِ البَاقِيَةِ النَّصُّ عَلَى المُثْبَتِ فَقَطْ، وَالنَّفْيُ لَا يُجَامِعُ

أن غيرك نفى مهمه دونك (الرابع) وهو التقديم (بالفحوى) أى بمفهوم الكلام بمعنى أنه إذا تأمل من له الذوق السليم فى مفهوم الكلام الذى فيه التقديم فهم منه القصر وان لم يعرف أنه فى اصطلاح البلغاء كذلك (والاصل إلى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الاول) وهو طريق العطف (كما مر) من الامثلة فان المعطوف عليه فى لا هو المثبت والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لاغير) أما فى الاول فمعناه لا غير النحو وهو قائم مقام لا التصريف ولا العروض وأما فى الثانى فمعناه لا غير زيد وهو قائم مقام لا عمرو ولا بكر (أو نحوه) أى أو نحو لا غير مثل ليس إلا (والنفى إلى آخره) يقول الوجه الثالث من وجوه الاختلاف أن النفى بلا العاطفة لا يجامع النفى والاستثناء فلايصح ما زيد إلا قائم لا قاعد لأن شرط جواز النفى بلا أن لا يكون ما قبلها منفيا بغيرها من أدوات النفى لأنها موضوعة لان ينفى بها ما أوجبته للمتبوع لا لأن تفيد بها شيئا قد نفى أولا أو تنفى بها نفيا فتعود إيجابا وإذا كان ذلك كذلك تعذر أن ينفى بها بعد النفى والاستثناء لأنك إذا قلت ما زيد إلا قائم فالغرض نفى كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفيها بلا بعد هذا يجب أن تكون مما وقع فيها النزاع وإلا خرجت عما يراعى فى خطاب

الثَّانِيَ، لِأَنَّ شَرْطَ الْمَنْفِيِّ بِلَا أَنْ لَا يَكُونَ مَنْفِيًّا قَبْلَهَا بِغَيْرِهَا، وَيُجَامِعُ الْأَخِيرَيْنِ، فَيُقَالُ: إِنَّمَا أَنَا تَمِيمِيٌّ لَا قَيْسِيٌّ، وَهُوَ يَأْتِينِي لَا عَمْرٌو، لِأَنَّ النَّفْيَ فِيهِمَا غَيْرُ مُصَرَّحٍ بِهِ، كَمَا يُقَالُ امْتَنَعَ زَيْدٌ عَنِ الْمَجِيءِ لَا عَمْرٌو السكاكيُّ: شَرْطُ مُجَامَعَتِهِ لِلثَّالِثِ أَنْ لَا يَكُونَ الْوَصْفُ مُخْتَصًّا

العطف بها من أفادة الحصر أو تأكيده فاذا قلت مثلا لاقاعد فقد نفيت بها شيئا هو منفى قبلها بما النافية فلا يصح الاتيان بها بعد النفى والاستثناء ويصح الاتيان بها مع انما والتقديم فتقول انما زيد كاتب لا شاعر وهو يأتينى لا عمرو لان النفى فيهما غير مصرح به وإنما صرح فيهما بالاثبات فلم يقبح تأكيد ماتضمناه والنفى بلا بخلاف ما وإلا فقد صرح فيهما بالنفى وحينئذ فالنفى الصريح ليس كالضمنى يدل على ذلك أنه يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو فيعطف على فاعل امتنع بلا فيفيد الكلام حصر الامتناع فى زيد بواسطة العطف بلا وصح ذلك لأن صريح امتنع زيد اثبات الامتناع فلفظ لا يفيد نفى ذلك الاثبات وأما نفى المجيء فهو ضمنى فجاز العطف بلا لكون النفى فى امتنع ضمنيا ولو صرح به وقيل لم يجيء زيد لم يصح أن يقال لا عمر لأنه نفى للنفى فيكون اثباتا ووضع لا للنفى لا للاثبات (السكاكى الى آخره) واليك عبارته : إذا جامعت لا العاطفة إنما جامعتها بشرط وهو أن لا يكون الوصف بعد انما مما له فى نفسه اختصاص بالموصوف المذكور كقوله عز اسمه: انما يستجيب الذين يسمعون ، فان كل عاقل يعلم أنه لاتكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل وقوله إنما أنت منذر من يخشاها، فلا يخفى على أحد ممن به مسكة أن الانذار انما يكون إنذارا ويكون له تأثير اذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة وأهوالها ويخشى عقابها، وقولهم: إنما يعجل من يخشى الفوت ، فمركوز فى العقول

بالموصوف، نحو: إنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ . عَبْدُ القاهِرِ : لا تَحْسُنُ فِي المُخْتَصِّ كما تَحْسُنُ فى غيرِهِ، وهذا أقْرَبُ؛ وأصْلُ الثَّانِى أنْ يكونَ مَا استُعْمِلَ مِمَّا يَجْهَلُهُ المُخاطَبُ وَيُنْكِرُهُ، بخِلافِ الثَّالِثِ، كقَوْلِكَ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبَحًا مِنْ بَعِيدٍ: مَا هُوَ إلاَّ زَيْدٌ، اذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرَهُ

أن من لم يخش الفوت لم يعجل وإذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعمال لا العاطفة فلا تقل إنما يعجل من يخشى الفوت لا من يأمنه (وهذا أقرب) يقول إن كلام عبد القاهر أقرب الى الصواب من عبارة السكاكى «وبعد» فان من الظاهر أن السكاكى انما جعل ذلك شرطاً فى الحسن فهو فى الواقع لم يقل شيئاً غير ماقاله عبد القاهر وغريب ذهول المصنف رحمه الله عن مثل هذا (واصل الثانى الى آخره) يقول الوجه الرابع من وجوه الاختلاف أن أصل النفى والاستثناء أن يكون الحكم الذى استعمل هو فيه من الأحكام التى يجهلها المخاطب وينكرها بخلاف انما فان أصله أن يكون الحكم المستعمل هو فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره وأصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر رحمه الله واليك عبارته مع شىء من التصرف: إن موضوع ما والا على أن يكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه أو ماينزل هذه المنزلة فلا يصح استعمالها فى الأمر الظاهر فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبهه للذى يجب عليه من صلة الرحم: ماهو الا أخوك، مثال الأول قولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد ماهو الا زيد اذا وجدته يعتقده غير زيد ويصر على الانكار ومنه قوله تعالى ومامن اله الا الله، ومثال الثانى قوله عز وجل ومامحمد الا رسول أى انه صلى الله عليه وسلم لايتعدى الرسالة الى التبرى من الهلاك نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه، ومثله ومأأنت بمسمع من فى القبوران

مُصِرًّا ، وَقدْ يُنزَّلُ المَعْلُومُ مَنزِلَةَ المجهولِ ، لِاعتبارٍ مُناسِبٍ ، فيُسْتَعْمَلُ لَهُ الثاني إفراداً ، نحوُ : وما محمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ : أيْ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسالَةِ لا يتعدَّاها إلى التّبرِّي مِنَ الْهَلاكِ ، نُزِّلَ اسْتِعْظَامُهُمْ هَلاكَه مَنزِلَةَ إنْكارِهِمْ إيَّاه ، أَوْ قَلباً ، نَحْوُ : إنْ أَنْتُمْ إلاَّ بشَرٌ مِثْلُنَا ، لِاعْتِقادِ القَائِلِينَ أنَّ الرَّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا ، مَعَ إصْرارِ المُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ

أنت الا نذير فانه صلى الله عليه وسلم كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الايمان ولا يرجع عنها فكان فى معرض من ظن أنه يملك مع صفة الانذار ايجاد الشيء فيما يمتنع قبوله اياه ومن هذا قوله تعالى ان أنتم إلا بشر مثلنا لأن الكفار جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم ولما كان كذلك أخرج اللفظ مخرجه حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعى خلافه ثم جاء الجواب من الرسل الذى هو قوله تعالى ان نحن الا بشر مثلكم كذلك بان والا لأن من حكم من ادعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو لا يخالف فيه ان يعيد كلام الخصم على وجهه و يجيء به على هيئته و يحكيه كما هو فاذا قلت للرجل أنت من شأنك كيت وكيت قال نعم أنا من شأنى كيت وكيت ولكن لاضير على ولا يلزمنى من أجل ذلك ماظننت أنه يلزم ، فالرسل كأنهم قالوا إن ماقلتم من أنا بشر مثلكم كما قلتم لسنا ننكر ذلك ولا نجهله ولكن ذلك لا يمنعنا من أن يكون الله تعالى قد من علينا وا كرمنا بالرسالة . . وأما انما فموضوعها على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل

وَقَوْلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ الْخَصْمِ لِيَعْثُرَ حَيْثُ يُرَادُ تَبْكِيتُهُ ، لَا لِتَسْلِيمِ انْتِفَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ إِنَّمَا هُوَ أَخُوكَ ، لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُقِرُّ بِهِ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُرَقِّقَهُ عَلَيْهِ . وَقَدْ يُنَزَّلُ الْمَجْهُولُ مَنْزِلَةَ الْمَعْلُومِ ، لِادِّعَاءِ ظُهُورِهِ ، فَيُسْتَعْمَلُ لَهُ الثَّالِثُ ، نَحْوُ : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مُؤَكَّدًا بِمَا تَرَى . وَمَزِيَّةُ إِنَّمَا عَلَى الْعَطْفِ

هذه المنزلة ، مثال الأول قولك للرجل انما هو أخوك وانما هو صاحبك القديم ، لاتقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقربه إلا أنك تنبهه للذى يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب ، ومثله قول المتنبى

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا ... طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

لم يرد أن يعلم كافورا انه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الاعلام ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبنى عليه استدعاء مايوجبه كونه بمنزلة الوالد ، ومثاله من التنزيل قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب وقوله عز وجل انما أنت منذر من يخشاها ، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم ، ومثال الثانى قول قيس الرقيات

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّـ ... ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

ادعى فى كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء اذا مدحوا أن يدعوا فى الأوصاف التى يذكرون بها الممدوحين انها ثابتة لهم وانهم قد شهروا بها وانهم لم يصفوا الا بالمعلوم الظاهر الذى لا يدفعه احد كما قال الحطيئة

أَنَّهُ يُعْقَلُ مِنْهَا الْحُكْمَانِ مَعاً ، وَأَحْسَنُ مَوَاقِعِهَا التَّعْرِيضُ ، نَحْوُ:

وَتَعْذُلُنِى أَفْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمِ وَمَاقُلْتُ إِلَّا بِالَّذِى عَلِمَتْ سَعْدُ(١)

وكما قال البحترى

لَاأَدَّعِى لِأَبِى الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ

ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود : واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ، المعنى أنهم يدعون ان كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم ولذلك أكد الأمر فى تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين الا التى للتنبيه وان التى هى للتأكيد فقال إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (الحكمان) أى الاثبات للمذكور والنفى عما سواه (وأحسن مواقعها التعريض) قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أنك اذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب اذا كان لايراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه نحو أنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر أولوا الألباب أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار وأن يقال انهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل وانكم إذا طمعتم منهم فى أن ينظروا ويتذكروا كنتم كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ومثال ذلك من الشعر قوله

أَنَا لَمْ أُرْزَقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقَا

الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ويعلم أنه ينبغى له أن يقطع الطمع من وصلها وييأس من أن يكون منها إسعاف ومن ذلك قوله

(١) الافناء الغوغاء والسقاط من الناس

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ،فإنَّهُ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ كَالْبَهَائِمِ ،فَطَمَعُ النَّظَرِ مِنْهُمْ كَطَمَعِهِ مِنْهَا *ثُمَّ الْقَصْرُ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَا وَالْخَبَرِ عَلَى مَامَرَّ، يَقَعُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَغَيْرِهِمَا. فَفِي الِاسْتِثْنَاءِ يُؤَخَّرُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ أَدَاةِ الِاسْتِثْنَاءِ. وَقَلَّ تَقْدِيمُهُمَا بِحَالِهِمَا، نَحْوُ: مَاضَرَبَ إِلَّا

---

* وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقَ مَنْ عَشِقَا *

يقول إنه ليس ينبغى للعاشق أن يلوم من يلومه فى عشقه وانه ينبغى أن لاينكر ذلك منه فانه لايعلم كنه البلوى فى العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو فيه فعذره (وغيرهما) كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذى الحال والحال تقول فى قصر الفاعل على المفعول إفرادا أو قلبا بحسب المقام ما ضرب زيد إلا عمرا ومن الوارد على قصر القلب قوله تعالى حكاية عن السيد المسيح عليه السلام ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله لأنه قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك ياعيسى لم تقل للناس ما أمرتك لانى أمرتك أن تدعوا الناس إلى أن يعبدونى ثم انك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دونى ألا ترى إلى ما قبله وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله . . وفى قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمرا إلا زيد وفى قصر المفعول الأول على الثانى فى نحو كسوت وظننت ما كسوت زيدا إلا جبة وما ظننت زيدا إلا منطلقا وفى قصر الثانى على الأول ما كسوت جبة إلا زيدا وما ظننت منطلقا إلا زيدا وفى قصر ذى الحال على الحال ما جاء زيد إلا راكبا وفى قصر الحال على ذى الحال ما جاء راكبا إلا زيد (وقل تقديمهما بحالهما) أى جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بحالهما على المقصور ، ومن ذلك قول الشاعر

عَمْرًا زَيْدٌ وَمَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدٌ عَمْرًا، لِاسْتِلْزَامِهِ قَصْرَ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا؛ وَوَجْهُ الْجَمِيعِ أَنَّ النَّفْيَ فِي الِاسْتِثْنَاءِ الْمُفَرَّغِ يَتَوَجَّهُ إِلَى مُقَدَّرٍ هُوَ مُسْتَثْنًى مِنْهُ عَامٍّ مُنَاسِبٍ لِلْمُسْتَثْنَى فِي جِنْسِهِ وَصِفَتِهِ، فَإِذَا أُوجِبَ

لَا أَشْتَهِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهًا ... بَابَ الْأَمِيرِ وَإِلَّا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

وقول الآخر

كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ ... عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ

وأنشد سيبويه

النَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا ... إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْأَسَاوِرْدُ

وقوله بحالها احتراز من ازالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه كقولك فى ما ضرب زيد إلا عمرا ماضرب عمرا إلا زيد فانه يختل المعنى (لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها) كالضرب الصادر من زيد فى ماضرب زيد إلا عمرا والضرب الواقع على عمرو فى ما ضرب عمرا إلا زيد (ووجه الجميع) أى وجه إفادة النفى والاستثناء الحصر فى جميع ماذكر مما بين المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والحال وصاحبها والمفعول الأول والثانى وغير ذلك (يتوجه إلى مقدر إلى آخره) أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه فلكون إلا للأخراج واستدعاء الاخراج مخرجا منه وأما عمومه فليتحقق الاخراج ولئلا يلزم التخصيص من غير مخصص قال صاحب المفتاح ولذلك ترانا فى علم النحو نقول تأنيث الضمير فى كانت فى قراءة أبى جعفر ان كانت إلا صيحة بالرفع وفى ترى المبنى للمفعول فى قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم برفع مساكنهم وفى بقيت فى بيت ذى الرمة

مِنْهُ شَيْءٌ بِإِلَّا جَاءَ الْقَصْرُ ، وَفِى إِنَّمَا يُؤَخَّرُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ ، تَقُولُ إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ لِلْإِلْبَاسِ * وَغَيْرُ

---

* وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ *

للنظر إلى ظاهر اللفظ والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء وأما مناسبته فى جنسه وصفته فظاهرة لأن المراد بجنسه أن يكون فى نحو ما ضرب زيد إلا عمرا أحدا وفى نحو قولك ما كسوت زيدا إلا جبة لباسا وفى نحو ماجاء زيد الا راكبا كائنا على حال من الأحوال . وفى نحو مااخترت رفيقا الا منكم من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميرى

لَوْ خُيِّرَ الْمِنْبَرُ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمُ فَارِسَا

لأن أصله ما اختار فارسا إلا منكم . والمراد بصفته كونه فاعلا أو مفعولا أو ذا حال أو حالا وعلى هذا القياس (وفى إنما) هو معطوف على قوله ففى الاستثناء (وفى إنما يؤخر المقصود عليه) حيث يستفاد القصر منها فقط فخرج مثل قول أبى الطيب

أَسَامِيًا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا

إذ المفيد للقصر فيه هو التقديم (ولا يجوز تقديمه على غيره) بخلاف إلا لعدم إفضائه إلى الالباس وههنا مفض إلى الالتباس كما قال لأنك لو قلت إنما ضرب زيد عمرا لكان فى المعنى عكس قولك إنما ضرب عمرا زيد قال السكاكى ومما ذكر تعثر على الفرق بين إنما يخشى الله من عباده العلماء ، وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله ، بتقديم المرفوع على المنصوب فالأول يقتضى انحصار خشية الله على العلماء والثانى يقتضى انحصار خشية

كَإِلَّا فِي إِفَادَةِ القَصْرَيْنِ ، وَامْتِنَاعِ مُجَامَعَةٍ لَا .

الإِنْشَاء

أَلْإِنْشَاءُ إِنْ كَانَ طَلَبًا اسْتُدْعِيَ مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ ؛ وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا التَّمَنِّي ، وَاللَّفْظُ المَوْضُوعُ لَهُ لَيْتَ ، وَلَا يُشْتَرَطُ إِمْكَانُ المُتَمَنَّى ، تَقُولُ : لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ ، وَقَدْ يُتَمَنَّى بِهَلْ ، نَحْوُ : هَلْ لِي مِنْ

العلماء على الله (فى إفادة القصرين) قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف تقول فى قصره ما زيد غير شاعر . إفرادا . وما زيد غير قائم . قلبا . وفى قصرها ما شاعر غير زيد بالاعتبارين بحسب المقام (وامتناع مجامعة لا) فلا تقول ما زيد غير شاعر لا كاتب ولا ما شاعر غير زيد لا عمرو (الانشاء) هو كما يطلق على الكلام الذى ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا ، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعنى إلقاء الكلام الانشائى كالاخبار والمراد هنا هو الثانى ، ثم هو نوعان طلب وغيره والمصنف لم يتعرض لغير الطلب لقلة المباحث البيانية المتعلقة به وذلك كبعض أفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ولعل . على أن كثيرا منها نقل من الخبر إلى الانشاء فيستغنى بابحاثه الخبرية عن الانشائية (استدعى مطلوبا غير حاصل) لامتناع تحصيل الحاصل قال التفتازانى فاذا وردت صيغة الطلب فى الحاصل حملت على ما يناسب المقام كما فى قول الله جل شأنه يا أيها النبى اتق الله ، المعنى دم على التقوى (التمنى) هو طلب حصول الشىء بشرط المحبة ونفى الطماعية (ولا يشترط إمكان المتمنى) لأن الانسان كثيرا ما يحب المحال ويطلبه . لكن إذا كان المتمنى ممكنا يجب ألا يكون

شَفِيعٍ، حَيْثُ يُعْلَمُ أَنْ لَا شَفِيعَ، وَبِلَوْ، نَحْوُ: لَوْ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثَنِي، بِالنَّصْبِ.
السَّكَّاكِيُّ: كَأَنَّ حُرُوفَ التَّنْدِيمِ وَالتَّحْضِيضِ — وَهِيَ هَلَّا وَأَلَّا بِقَلْبِ
الْهَاءِ هَمْزَةً، وَلَوْلَا وَلَوْمَا — مَأْخُوذَةٌ مِنْهُمَا مُرَكَّبَتَيْنِ مَعَ لَا وَمَا الْمَزِيدَتَيْنِ
لِتَضْمِينِهِمَا مَعْنَى التَّمَنِّي، لِيَتَوَلَّدَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي التَّنْدِيمُ، نَحْوُ: هَلَّا
أَكْرَمْتَ زَيْدًا، وَفِي الْمُضَارِعِ التَّحْضِيضُ، نَحْوُ: هَلَّا تَقُومُ؛ وَقَدْ يُتَمَنَّى

لك توقع وطماعية فى وقوعه، وإلا لصار ترجيا يستعمل فيه لعل أو عسى (حيث يعلم أن لا شفيع) لانه إذ ذاك يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفاء هذا الحكم واستدعاء الاستفهام الجهل بثبوته وانتفائه هذا والسر فى العدول عن ليت والتمنى بهل هو إبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن الذى لا جزم بانتفائه (وبلو) ولعل السر فى ذلك هو الاشعار بعزة متمناه حيث أبرزه فى صورة مالا يوجد لأن لو بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع (منهما) أى من هل ولو المنقولتين للتمنى (لتضمينهما إلى آخره) يقول إن الغرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو متضمنتين معنى التمنى وذلك ليتولد منه مع الماضى التنديم ومع المستقبل التحضيض فتقول هلا أكرمت زيدا ولولا أكرمت زيدا ولوما أكرمته على معنى ليتك أكرمته قصدا إلى جعله نادما على ترك الاكرام وتقول هلا تقوم ولوما تقوم على معنى ليتك تقوم قصدا إلى حثه على القيام ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان

بِلَعَلَّ، فَتُعْطَى حُكْمَ لَيْتَ، نَحْوُ: لَعَلِّي أَحُجُّ فَأَزُورَكَ، بِالنَّصْبِ، لِبُعْدِ الْمَرْجُوِّ عَنِ الْحُصُولِ * وَمِنْهَا الِاسْتِفْهَامُ، وَأَلْفَاظُهُ الْمَوْضُوعَةُ لَهُ الْهَمْزَةُ وَهَلْ وَمَا وَمَنْ وَأَيٌّ وَكَمْ وَكَيْفَ وَأَيْنَ وَأَنَّى وَمَتَى وَأَيَّانَ، فَالْهَمْزَةُ لِطَلَبِ التَّصْدِيقِ

يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه (فتعطى حكم ليت) فينصب المضارع بعدها على تقدير أن (لبعد المرجو عن الحصول) فصار يشبه المحالات التى لا طمع فيها فاستعملت فيه لعل كاستعمال ليت لمشابهة هذا المعنى لمعناها (ومنها الاستفهام) وحقيقته طلب الفهم بألفاظ معروفة . والمطلوب فهمه إن كان حكما بشىء على شىء إثباتا أو نفيا فهو التصديق وإلا فهو التصور (وأيان) قال السكاكى بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة أعنى كسر همزتها تقوى اباء أن يكون أصلها أى وان (فالهمزة لطلب التصديق إلى آخره) اعلم أن هذه الكلمات ثلاثة أنواع ، أحدها يختص طلب التصديق وهو هل وثانيها يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستفهامية وثالثها مشترك بينهما وهو الهمزة فانها تجىء لطلب التصور والتصديق لعراقتها فى الاستفهام ولهذا يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة قال الله جل شأنه أم هل تستوى الظلمات والنور ، وقال : أم من هذا الذى هو جند لكم . وقال : أم ماذا كنتم تعملون . وقال التغلبى

أَنَّى جَزَوْا عَامِرًا سُوءًا بِفِعْلِهِمِ
أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوأَى مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ (١)

---

(١) العلوق بفتح العين المهملة الناقة تعطف على غير ولدها ولا ترأمه وإنما تشمه بأنفها وتمنعه لبنها . والبيت ينشد لمن يعد بالجميل ولا يفعله لانطواء قلبه على ضده

كَقَوْلِكَ : أَقَامَ زَيْدٌ وَ : أَزَيْدٌ قَائِمٌ ، أَوِ التَّصَوُّرِ ، كَقَوْلِكَ : أَدِبْسٌ فِي الْإِنَاءِ أَمْ عَسَلٌ ، وَ : أَفِي الْخَابِيَةِ دِبْسُكَ أَمْ فِي الزِّقِّ ، وَلِهَذَا لَمْ يَقْبُحْ

وأم ههنا بمعنى بل التى تكون للانتقال من كلام إلى آخر من غير اعتبار استفهام هذا والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور يكاد يكون ظاهراً ، ذاك لأن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها والاستفهام عن التصور يكون عند التردد فى تعيين الشيئين (كقولك أقام زيد) فى طلب التصديق بمضمون الجملة الفعلية (وازيد قائم) فى طلب التصديق بمضمون الجملة الأسمية فقد تصورت القيام وزيدا والنسبة بينهما وسألت عن وقوع تلك النسبة هل هو محقق خارجا أولا فاذا قيل قام او هو قائم حصل التصديق والحاصل أن السائل عالم بأن بينهما نسبة ملتبسة بالوقوع أو اللا وقوع ويطلب تعيين ذلك (كقولك) فى طلب تصور المسند اليه (أدبس فى الاناء أم عسل) فأنت تعلم أن فى الأناء شيئاً والمطلوب هو تعيينه (وافى الخابية الى آخره) أى وكقولك فى طلب تصور المسند أفى الخابية دبسك أم فى الزق فأنت تعلم أن الدبس محكوم عليه بأنه فى أحدهما والمطلوب هو التعيين . . « هذا » وانا إذا أنعمنا النظر وألطفنا الفكر وجدنا الهمزة لا تكون الا لطلب التصديق فى سائر أحوالها لأنه إذا قصد تعيين المسند اليه فالمطلوب هو العلم بتعيين النسبة فاذا قلت أزيد قام أم عمرو فانما تسأل عن تعيين النسبة فى أحدهما اما زيد وعمر فكلاهما معلوم وكذلك استناد القيام لاحدهما .فاعرف هذا ولا تكن رهين التقليد (ولهذا إلى آخره) يقول لما كانت الهمزة تكون لطلب التصور وهل مختصة بالتصديق لا تتجاوزه كان قولك أزيد قام وأعمراً عرفت حسناً بليغاً وقولك هل زيد قام وهل

أَزَيْدٌ قامَ ، وَأَعَمْرًا عَرَفْتَ ، وَالمَسْئُولُ عَنْهُ بِهَا هُوَ مَا يَلِيهَا، كالْفِعْلِ فى أَضَرَبْتَ زَيْدًا، وَالْفاعِلِ فى: أَأَنْتَ ضَرَبْتَ، وَالمَفْعُولِ فى: أَزَيْدًا ضَرَبْتَ * وهَلْ لِطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَحَسْبُ، نحوُ: هَلْ قَامَ زَيْدٌ، وَهَلْ عَمْرٌو قاعِدٌ، وَلِهذَا امْتَنَعَ هَلْ زَيْدٌ قامَ أَمْ عَمْرٌو ، وَقَبُحَ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ

عمراً عرفت قبيحا مرذولا ذاك لأن التقديم كما علمت يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال بخلاف الهمزة فانها تكون لطلب التصور وتعيين الفاعل أو المفعول (والمسؤل عنه بها إلى آخره) يقول إن المسؤل عنه بالهمزة هو ما يليها فتقول أضربت زيداً إذا كان الشك فى الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده وتقول أأنت ضربت إذا كان الشك فى الفاعل من هو مع العلم بوقوع الفعل وتقول أزيداً ضربت إذا كان الشك فى المفعول من هو مع الجزم بوقوع ضرب من المخاطب. قال الشيخ عبد القاهر: ومما يؤيد ذلك أنك تقول أقلت شعراً قط أرأيت اليوم إنسانا فيكون كلاما مستقيما ولو قلت أأنت قلت شعراً قط أأنت رأيت إنسانا أحلت وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو فى مثل هذا لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الاشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول من قال هذا الشعر ومن بنى هذه الدار وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين فأما قيل شعر على الجملة ورؤية إنسان على الاطلاق فمحال ذلك فيه لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله (ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع المفرد بعد أم دليل على أنها متصلة وأم المتصلة لطلب تعيين الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فهى لا تكون إلا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكم وهل ليس

يَسْتَدْعِى حُصُولَ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الفِعْلِ، دُونَ: هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَهُ، لِجَوَازِ تَقْدِيرِ المُفَسِّرِ قَبْلَ زَيْدًا، وَجَعَلَ السَّكَاكِيُّ قُبْحَ: هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ لِذَلِكَ، وَيَلْزَمُهُ أَنْ لَا يَقْبُحَ هَلْ زَيْدٌ عَرَفَ، وَعَلَّلَ غَيْرُهُ قُبْحَهُمَا بِأَنَّ هَلْ بِمَعْنَى قَدْ فِي الأَصْلِ، وَتَرْكُ الهَمْزَةِ قَبْلَهَا لِكَثْرَةِ وُقُوعِهَا فِي

الا لطلب التصديق فبينهما تدافع فيمتنع بخلاف ما إذا لم يذكر أم عمرو وقيل هل زيد قام فانه يقبح ولا يمتنع لما سيجيء « وبعد » فاذا علمت هذا علمت أنه لا يجوز استعمال ام بعد هل الا أن تريد المنقطعة كقوله

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتِ الرَّحَى ... رَحَى الحَرْبِ أَمْ أَضْحَتْ بِفَلْجٍ كَمَا هِيَا

ولذلك قال سيبويه هو على كلامين (لجواز تقدير المفسر قبل زيداً) بل هذا أرجح لأن الأصل تقدم العامل على المعمول وحينئذ فلا يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب التصديق فيحسن (لذلك) أى لما قبح له هل زيداً ضربت وهو أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل .. وانما جعله لذلك لأن مذهبه كما تقدم أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير فى عرف قدم للتخصيص . . وانما لم يجعله ممتنعا لاحتمال أن يكون رجل فاعل فعل محذوف (ويلزمه أن لا يقبح هل زيد عرف) لأن تقديم المظهر المعرف ليس للتخصيص حتى يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل على ماسبق . مع أن هذا التركيب قبيح بالاجماع وما ذكره الزمخشرى فى المفصل من أن نحو هل زيد خرج على تقدير الفعل فتصحيح للوجه القبيح لا أنه شائع حسن (غيره) أى غير السكاكى (قبحهما) أى قبح هل رجل عرف وهل زيد عرف (بأن هل بمعنى قد فى الأصل) يعنى وقد من لوازم الافعال

الِاسْتِفْهَامِ، وَهِيَ تُخَصِّصُ الْمُضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ، فَلَا يَصِحُّ: هَلْ تَضْرِبُ

فكذا ماهى بمعناها . . وأصل كلام المصنف هذا مازعمه الزمخشرى أن هل بمعنى قد أبداً وان الاستفهام انما هو مستفاد من همزة مقدرة معها قال فى المفصل وعند سيبويه أن هل بمعنى قد الا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا فى استفهام وقد جاء دخولها عليها فى قول زيد الخيل :

سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِدَّتِنَا أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الأَكَمِ (١)

وقال الراجز :

* أَهَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بِالْغَرِيَّيْنِ (٢) *

قال التفتازانى فان قلت هذا يقتضى أن لا يصح أو يقبح دخولها على الجملة الاسميه التى طرفاها اسمان نحو هل عمرو قاعد وإلا فما الفرق بينه وبين ما إذا كان الخبر فعلا ، قلت الفرق أنها إذا رأت الفعل فى حيزها تذكرت عهودا بالحمى وحنت إلى الالف المألوف وعانقته ولم ترض بافتراق الاسم بينهما بخلاف ما لو إذا تراه فى حيزها فانها تسلت عنه ذاهلة (وهى تخصص المضارع بالاستقبال) لما كانت هل ليست أصلا فى الاستفهام تقاصرت عن الهمزة فاختص المضارع بعدها بالاستقبال فلا يصح استعمالها فى التوبيخ على الفعل الواقع فى الحال كما يصح استعمال الهمزة فيه فلا تقول هل تضرب

---

(١) يربوع أبو حى من تميم والاكم جمع أكمة وهى الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله

(٢) الغريان هما بنا آن طويلان يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمى جذيمة الأبرش وسميا غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج فى يوم بؤسه

زَيْدًا وَهُوَ أَخُوكَ ، وَلِاخْتِصَاصِ التَّصْدِيقِ بِهَا وَتَخْصِيصِهَا الْمُضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرُ كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ : فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ : فَهَلْ تَشْكُرُونَ ، وَ: فَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ، لِأَنَّ إِبْرَازَ مَا سَيَتَجَدَّدُ فِي مَعْرِضِ الثَّابِتِ أَدَلُّ عَلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِحُصُولِهِ ، وَمِنْ : أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، وَإِنْ كَانَ لِلثُّبُوتِ ، لِأَنَّ هَلْ أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْهَمْزَةِ ، فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ

زيدا وهو أخوك على نحو أتضرب زيدا وهو أخوك فى أن يكون الضرب واقعا فى الحال (ولاختصاص التصديق بها الخ) اليك قول السكاكى فى ذلك فانه أوضح وأتم قال : ولكون هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء وقد نبهت على أن الاثبات والنفى لا يتوجهان الى الذوات وإنما يتوجهان إلى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك وأنت تعلم أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات لأن الذوات من حيث هى هى ذوات فيما مضى وفى الحال وفى الاستقبال استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه زمانيا أظهر كالأفعال (ادل على كمال العناية بحصوله) من إبقائه على أصله كما فى فهل تشكرون لأنها داخلة على الفعل حقيقة ، وفى فهل أنتم تشكرون لأنها داخلة على الفعل تقديرا لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر (على ذلك) أى على كمال العناية بحصول ما سيتجدد (ولهذا) أى لكون هل أدعى للفعل من

وَلِهٰذَا لَا يَحْسُنُ: هَلْ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا مِنَ الْبَلِيغِ، وَهِيَ قِسْمَانِ، بَسِيطَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ الشَّيْءِ، كَقَوْلِنَا: هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ، وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، كَقَوْلِنَا: هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ *وَالْبَاقِيَةُ لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ فَقَطْ، قِيلَ: فَيُطْلَبُ بِمَا شَرْحُ الِاسْمِ كَقَوْلِنَا: مَا الْعَنْقَاءُ، أَوْ مَاهِيَّةِ الْمُسَمَّى، كَقَوْلِنَا: مَا الْحَرَكَةُ،

الهمزة (لايحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ) لأنه الذى يقصد به الدلالة على الثبوت وإبراز ماسيتجدد فى معرض الموجود . قال السكاكى كما لايحسن نظير قوله .

* لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

من كل أحد (بسيطة الخ) والبساطة والتركيب كما لا يخفى بالنظر لما تدخل عليه فمطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشىء فحسب ومطلوب المركبة هو التصديق بوجود الشىء ووجود شىء له « وبعد » فلا يذهب عليك أن مثل هذا التقسيم قليل الجداء لطالب البلاغة (والباقية) أى من ألفاظ الاستفهام (شرح الاسم) أى بيان مدلول الاسم لغة فتقول ما العنقاء وأنت تطلب مدلوله والمعنى الذى وضع له فى اللغه (أو ماهية المسمى) قال التفتازانى والفرق بين المفهوم من اللفظ بالجملة وبين الماهية التى تفهم من الحد بالتفصيل غير قليل فان كل من خوطب باسم فهم فهما ما ووقف على الشىء الذى يدل عليه الاسم إذا كان عالما باللغة وأما الحد فلا يقف عليه إلا المرتاض بصناعة المنطق فالموجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم

وَتَقَعُ هَلِ الْبَسِيطَةُ فِى التَّرْتِيبِ بَيْنَهُمَا. وَبِمَنِ الْعَارِضُ الْمُشَخِّصُ لِذِى الْعِلْمِ، كَقَوْلِنَا: مَن فِى الدَّارِ؛ وَقَالَ السَّكَاكِىُّ: يُسْئَلُ بِمَا عَنِ الْجِنْسِ تَقُولُ: مَا عِنْدَكَ، أَىْ أَىُّ أَجْنَاسِ الأَشْيَاءِ، وَجَوَابُهُ: كِتَابٌ وَنَحْوُهُ، أَوْ عَنِ

وبحسب الحقيقة وأما المعدومات فلما لم يكن لها إلا المفهومات لم يكن لها حدود إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات موجودة حتى أن ما يوضع فى أول التعاليم من حدود الأشياء التى يبرهن على وجودها فى أثناء العلم إنما هى حدود بحسب شرح الاسم ثم لما أثبت وجودها وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدودا بحسب الذات والحقيقة ثم قال فعلم أن الجواب الواحد جاز أن يكون حدا بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس إلى شخصين وبالقياس إلى شخص واحد فى وقتين (وتقع هل البسيطة فى الترتيب بينهما) يعنى أن مقتضى الترتيب الطبيعى أن يطلب أولا شرح الاسم ثم وجود المفهوم فى نفسه ثم ماهيته وحقيقته لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحال منه طلب وجود ذلك المفهوم ومن لا يعرف أنه موجود استحال منه طلب ماهيته وحقيقته إذ لا حقيقة للمعدوم ولا ماهية له (وبمن الخ) أى يطلب بمن الأمر الذى يعرض لذى العلم فيفيد تشخصه وتعيينه فاذا قلت من فى الدار قيل لك زيد ونحوه مما يفيد تشخصه قال التفتازانى وأما الجواب بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا ونحو : ابن فلان وأخو فلان ، وما أشبه ذلك فانما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه التشخص بحسب انحصار الأوصاف فى الخارج فى شخص وان كانت تلك الأوصاف نظراً الى مفهوماتها كليات (تقول ما عندك) قال السكاكى وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام

الْوَصْفِ، تقُولُ: مَا زَيْدٌ؟ وَجَوَابُهُ: الْكَرِيمُ، وَنَحْوُهُ. وَبِمَنْ عَنِ الْجِنْسِ مِنْ ذَوِي

وفى التنزيل : فما خطبكم . أى أى أجناس الخطوب خطبكم. وفيه : ما تعبدون من بعدى، أى أى من فى الوجود تؤثرونه فى العبادة ، قال : وأما سؤال فرعون ومارب العالمين فهو إما عن الجنس لاعتقاده . لجهله بالله تعالى . أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الأجسام اعتقاد كل جاهل لا نظر له كأنه قال أى أجناس الأجسام هو وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف تنبيها على النظر المؤدى الى معرفته لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب من حوله من جماعة الجهلة فقال لهم ألا تستمعون ثم لما وجده مصرا على الجواب بالوصف إذ قال فى المرة الثانية ربكم ورب آبائكم الأولين استهزأ به وجننه بقوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك فى المرتين غلظ عليهم فى الثالثة فقال ان كنتم تعقلون . وإما عن الوصف طمعاً فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسؤلين مكانه لشهرته بينهم برب العالمين الى درجة دعت السحرة اذ عرفوا الحق ان عقبوا قولهم آمنا برب العالمين بقولهم رب موسى وهرون نفياً لاتهامهم أنهم عنوه وجهله بحال موسى وعلو شأنه اذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس بدليل ما جرى فى ذلك الوقت من قوله أو لو جئتك بشىء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فحين سمع الجواب تعداه عجب واستهزأ وجنن وتفيهق بما تفيهق من قوله لئن اتخذت إلها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال الزمخشرى والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله

الْعِلْمِ، تَقُولُ: مَنْ جِبْرِيلُ؟ أَيْ أَبَشَرٌ هُوَ أَمْ مَلَكٌ أَمْ جِنِّيٌّ. وَفِيهِ نَظَرٌ، وَيُسْئَلُ بِأَيٍّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكَيْنِ فِي أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، نَحْوُ: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا؟ أَيْ أَنَحْنُ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ. وَبِكَمْ عَنِ الْعَدَدِ، نَحْوُ: سَلْ بَنِي

هذا انكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية (تقول من جبريل الى آخره) قال السكاكى: ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون: فمن ربكما ياموسى. أى أملك هو أم بشر ام جنى منكراً لأن يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ذاهباً فى سؤاله هذا الى معنى ألكما رب سواى فأجاب موسى عليه السلام بقوله ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى كأنه قال نعم لنا رب سواك هو الصانع الذى اذا سلكت الطريق الذى بين بايجاده لما أوجده وتقديره إياه على ما قدر واتبعت فيه الخريت الماهر وهو العقل الهادى من الضلال لزمك الاعتراف بكونه ربا وأن لارب سواه وأن العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له (وفيه نظر) قال فى الايضاح لانه اذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه مما يفيد التشخص ولا يصح الجواب بنحو بشر أو جنى «وبعد» فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه الى السماع وربما يؤيد رأى السكاكى بيت الكتاب وهو

أَتَوْا نَارِى فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ ... فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عِمُوا ظَلَامَا

فقد سئلوا بمن وأجابوا بالجنس (ويسئل بأى الخ) قال السكاكى واما أى فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما يقول القائل عندى ثياب فتقول أى الثياب هى فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية قال تعالى حكاية عن سليمان: أيكم يأتينى بعرشها؟ أى الانسى أم الجنى، وقال حكاية عن الكفار: أى الفريقين خير مقاما، أى أنحن أم أصحاب محمد (عن العدد)

إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ. وَبِكَيْفَ عَنِ الحَالِ، وَبِأَيْنَ عَنِ المَكَانِ، وَبِمَتَى عَنِ الزَّمَانِ، وَبِأَيَّانَ عَنِ المُسْتَقْبَلِ. قِيلَ: وَتُسْتَعْمَلُ فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ. وَأَنَّى تُسْتَعْمَلُ تَارَةً بِمَعْنَى كَيْفَ، نَحْوُ: فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ، وَأُخْرَى بِمَعْنَى مِنْ

قال فى المفتاح فاذا قلت كم درهما لك ولم رجلا رأيت فكأنك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا أم كذا وتقول لم درهمك وكم مالك أى لم دانقاً وكم ديناراً وكم ثوبك أى لم شبراً وكم ذراعا وكم زيد ماكث أى كم يوما أو كم شهراً وكم رأيتك أى كم مرة ولم سرت أى كم فرسخا أو كم يوماً ، قال الفرزدق

كَمْ عَمَّةً لَكَ يَاجَرِيرُ وَخَالَةً ... فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي

فيمن(١) روى بنصب المميز (عن الحال) فاذا قيل كيف زيد فجوابه صحيح أو سقيم أو شج أو جذلان وما أشبه ذلك (عن المكان) فاذا قيل أين زيد فالجواب فى الدار أو فى السوق مثلا (عن الزمان) ماضياً كان أو مستقبلا فتقول متى جئت والجواب سحراً مثلا وتقول متى تأتى والجواب بعد شهر (عن المستقبل) فتقول أيان يثمر هذا الغرس والجواب بعد سنة مثلا (قيل) القائل هو على بن عيسى الربعى امام أئمة بغداد فى علم النحو (نحو فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى

---

(١) ويكون الاستفهام على هذا للتهكم أى اخبرنى بعدد عماتك وخالاتك اللاتى كن يخدمننى فقد نسيته . والذى يظهر أن المراد الخبرية وهى قد تنصب المميز

أَيْنَ، نَحْوُ: أَنَّى لَكَ هَذَا * ثُمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الِاسْتِفْهَامِ، كَالِاسْتِبْطَاءِ نَحْوُ: كَمْ دَعَوْتُكَ، وَالتَّعَجُّبِ نَحْوُ: مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الضَّلَالِ، نَحْوُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَالْوَعِيدِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسِيءُ الْأَدَبَ: أَلَمْ أُؤَدِّبْ فُلَانًا، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ، وَالتَّقْرِيرِ بِإِيلَاءِ الْمُقَرَّرِ

موضع الحرث قال التفتازانى ولم يجىء أنى زيد بمعنى كيف هو (كثيراً ما تستعمل فى غير الاستفهام) على سبيل المجاز قال التفتازانى وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحم حوله أحد (نحوكم دعوتك) ومنه بيت السقط

إِلَى مَ وَفِيمَ تَنْقُلُنَا رِكَابٌ ... وَنَأْمُلُ أَنْ يَكُونَ لَنَا أَوَانُ

(والتقرير) أى حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه وإلجائه اليه (بايلاء إلى آخره) أى يشترط أن يكون المقرر به تاليا للهمزة (١) كما مر أن المستفهم عنه هو مايلى الهمزة فتقول أفعلت إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه وتقول أأنت فعلت إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل وتقول أزيداً ضربت إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد ومما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية عن قول نمروذ : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال الشيخ فى دلائل الاعجاز لا شبهة فى أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام

---

(١) أى اذا كان التقرير بالهمزة فانها هى التى تجىء للتقرير بالفعل والفاعل والمفعول بخلاف البواقى فان هل تكون للتقرير بنفس الحكم نحو هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون والأسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو كم آتيناهم من آية بينة ومن الذى ضربته وهكذا

بِهِ الهَمْزَةَ ، كَمَا مَرَّ ؛ وَالْإِنْكَارِ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ

وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان كيف وقد أشاروا الى الفعل فى قولهم أأنت فعلت هذا وقال هو عليه السلام فى جوابهم بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت او لم أفعل (والانكار كذلك) فيشترط ان يلى المنكر الهمزة (١) قال امرؤ القيس

* أَيَقْتُلُنِى وَالمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعِى *

فهذا لانكار الفعل لأنه قال والمشرفى مضاجعى فذكر ما يكون مانعاً من الفعل والمانع إنما يحتاج اليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزاً عنه وقال الله جل شأنه أهم يقتسمون رحمة بك فهذا لانكار الفاعل أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التى لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته وعد الزمخشرى قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى من هذا الضرب على أن المعنى أفأنت تقدر على إكراههم على الايمان وأفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والالجاء أى إنما يقدر على ذلك الله لا أنت وحمل السكاكى تقديم الاسم فى هذه الآيات على البناء

---

(١) يعنى إذا كان الانكار بالهمزة وأما غيرها وان صح مجيئه للانكار لكن لا يجرى فيه هذا التفصيل وهو مثل قولك فماذا يضرك لو فعلت كذا وكيف تؤذى أباك وقوله

* مِنْ أَيْنَ تَدْرِى مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّنَدْ *

العرار نبت طيب الرائحة والرند شجر كذلك

وَمِنْهُ: أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ، أَيْ اللهُ كَافٍ عَبْدَهُ، لِأَنَّ إِنْكَارَ النَّفْيِ نَفْيٌ لَهُ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ؛ وَهَذَا مُرَادُ مَنْ قَالَ إِنَّ الْهَمْزَةَ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ، أَيْ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ لَا بِالنَّفْيِ، وَلِإِنْكَارِ الْفِعْلِ صُورَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ نَحْوُ: أَزَيْدًا ضَرَبْتَ أَمْ عَمْرًا، لِمَنْ يُرَدِّدُ الضَّرْبَ بَيْنَهُمَا، وَالْإِنْكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ، أَيْ

على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر فى نحو أنا ضربت فلا يفيد الا تقوى الانكار. وقال تعالى أغير الله اتخذ وليا فهذا لانكار المفعول فان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا وأما قوله عز وجل أأتخذ أصناما آلهة فالمنكر هو نفس اتخاذ الآلهة فلهذا ولى الفعل (ومنه) أى من مجيء الهمزة للانكار (أليس الله بكاف عبده) ومثله قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وألم يجدك يتيما فآوى وقول جرير فى عبد الملك

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

ولهذا كان مدحا بل قيل انه أمدح بيت قالته العرب (من قال) هو الزمخشرى (أى بما دخله النفى) وحينئذ يحسن أن يقال إن الهمزة للتقرير كما يحسن أن يقال إنها للانكار (لمن يردد الضرب بينهما) أى لمن يدعى أنه ضرب إما زيدا واما عمرا دون غيرهما لأنه اذا لم يتعلق الفعل بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة. ومن هذا الباب قوله تعالى: قل آلذكرين حرم أم الأنثيين اما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، أخرج اللفظ مخرجه اذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الاشياء ثم أريد معرفة عين المحرم مع أن المراد انكار التحريم من أصله وكذا قوله آلله أذن لكم اذ معلوم أن المعنى على انكار أن يكون قد كان من الله تعالى

مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، نَحْوُ: أَعَصَيْتَ رَبَّكَ، أَوْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَحْوُ: أَتَعْصِي رَبَّكَ، أَوْ لِلتَّكْذِيبِ، أَيْ لَمْ يَكُنْ، نَحْوُ: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ، أَوْ لَا يَكُونُ نَحْوُ: أَنُلْزِمُكُمُوهَا، وَالتَّهَكُّمِ نَحْوُ: أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَالتَّحْقِيرِ نَحْوُ: مَنْ هَذَا، وَالتَّهْوِيلِ كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ

اذن فيما قالوه من غير أن يكون هذا الاذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله إلا ان اللفظ أخرج مخرجه اذا كان الأمر كذلك ليكون أشد لنفى ذلك وإبطاله فانه إذا نفى الفعل عما جعل فاعلا له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله (نحو أعصيت ربك) اى لم كان العصيان وما كان ينبغى أن يقع (نحو أتعصى ربك) مثله قولك للرجل يضيع الحق : أتنسى قديم إحسان فلان أتترك صحبته وتتغير عن حالك معه لأن تغير الزمان . وقولك للرجل يركب الخطر أتخرج فى هذا الوقت أتذهب فى غير الطريق أتغرر بنفسك (نحو أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبول البينة ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها لا يكون ذلك ومن هذا الباب قول الشاعر

أَأَتْرُكُ أَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ ... زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذًا لَلَئِيمُ

« هذا » وقد يكون استفهام الانكار الذى بمعنى النفى للتوبيخ أيضا مثل قوله تعالى : وماذا عليهم لو آمنوا بالله ، المعنى أى تبعة عليهم فى الايمان وترك النفاق وهذا للذم والتوبيخ وإلا فكل مصلحة فيه (والتهكم) معطوف على الاستبطاء (كقراءة ابن عباس) فان المعنى عليها أنه لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال

مَنْ فِرْعَوْنُ، بِلَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ وَرَفْعِ فِرْعَوْنُ، وَلِهَذَا قَالَ: إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَالِاسْتِبْعَادِ نَحْوُ: أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ * وَمِنْهَا الْأَمْرُ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صِيغَتَهُ مِنَ الْمُقْتَرِنَةِ بِاللَّامِ، نَحْوُ: لِيَحْضُرْ زَيْدٌ، وَغَيْرِهَا، نَحْوُ: أَكْرِمْ عَمْرًا وَرُوَيْدَ بَكْرًا

من فرعون أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتكبره وتجبره ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ثم عرف حاله بقوله إنه كان عاليا من المسرفين « تكملة » قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجيب جميعا مثل قوله تعالى : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبئ عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ونظيره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقته تولد منه بمعونة القرائن ما يناسب المقام ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ولا ينحصر أيضا شىء منها فى أداة دون أداة بل الحاكم فى ذلك هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب فلا ينبغى أن تقتصر فى ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته من غير أن تتخطاه بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادى (ومنها الأمر) وهو فى اللغة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء (من المقترنة باللام إلى آخره) فى هذا إشارة إلى أن أقسام صيغة الأمر ثلاثة الأول المقترنة باللام الجازمة ويختص بما ليس للفاعل المخاطب

مَوْضُوعَةٌ لِطَلَبِ الْفِعْلِ اسْتِعْلَاءً لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهَا إِلَى ذٰلِكَ الْمَعْنَى، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِهِ، كَالْإِبَاحَةِ، نَحْوُ: جَالِسِ الْحَسَنَ أَوِ ابْنَ سِيرِينَ وَالتَّهْدِيدِ، نَحْوُ: إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَالتَّعْجِيزِ نَحْوُ: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَالتَّسْخِيرِ نَحْوُ: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، وَالْإِهَانَةِ نَحْوُ: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، وَالتَّسْوِيَةِ نَحْوُ: اصْبِرُوا أَوْلَا تَصْبِرُوا، وَالتَّمَنِّي نَحْوُ * أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ

والثانى مايصلح أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة والثالث اسم دال على طلب الفعل وهو عند النحاة من أسماء الأفعال والألوان لغلبة استعمالهما فى حقيقة الأمر أعنى طلب الفعل على سبيل الاستعلاء سماهما النحويون أمرا سواء استعملا فى حقيقة الأمر أو فى غيرها حتى إن لفظ اغفر فى قولنا اللهم اغفر لنا أمر عندهم . وأما الثالث فلما كان اسما لم يسموه أمرا تمييزاً بين البابين (رويد بكرا) رويد اسم فعل بمعنى امهل (وقد تستعمل لغيره) مما يناسب المقام بحسب القرائن نحو (جالس الحسن أو ابن سيرين) قال السكاكى : ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَامَلُومَةٌ ... لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ (١)

أى لاأنت ملومة ولا مقلية ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب أى مهما اخترت فى حقى من الاساءة والاحسان فأنا راض به غاية الرضا فعامليني بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين (نحو ألا أيها الليل) وتمامه

* بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ *

---

(١) تقلى تبغض

الطَّويل أَلاَ انجَلِ * وَالدُّعَاءِ، نحوُ: رَبِّ اغفِرْ لِي، وَالالْتِمَاسِ، كَقَولِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ رُتْبَةً: إفعَلْ، بِدُونِ الاستِعْلاءِ؛ ثُمَّ الأَمْرُ قالَ السَّكَاكِيُّ: حَقُّهُ الفَورُ، لأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ الطَّلَبِ، وَلِتَبَادُرِ الفَهمِ عِندَ الأَمْرِ بِشَيْءٍ بَعدَ الأَمْرِ بِخِلاَفِهِ إِلَى تَغيِيرِ الأَمْرِ الأَوَّلِ دُونَ الْجَمْعِ وَإِرَادَةِ التَّرَاخِي، وَفِيهِ نَظَرٌ * وَمِنهَا النَّهْيُ، وَلَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لاَ الْجَازِمَةُ فِي نَحوِ قَولِكَ لاَ تَفعَلْ، وَهُوَ كَالأَمْرِ فِي الاسْتِعْلاَءِ، وَقَدْ يُستَعمَلُ فِي غَيْرِ طَلَبِ الْكَفِّ أَوِ التَّرْكِ، كَالتَّهدِيدِ، كَقَولِكَ لِعَبْدٍ لاَ يَمتَثِلُ أَمْرَكَ: لاَ تَمتَثِلْ أَمْرِي:

وهو لامرىء القيس. الانجلاء الانكشاف والأمثل الأفضل. يقول ليزل ظلامك بضياء من الصبح ثم قال وليس الصبح بأفضل منك عندى لأنى أقاسى الهموم نهارا كما أعانيها ليلا أو لأن نهارى أظلم فى عينى لازدحام الهموم على حتى حكى الليل. فلما كان الليل لا يصح أن يطلب منه الانجلاء كانت هذه الصيغة للتمنى ولم تجعل للترجى لأن التمنى لما بعد ومن شأن المحب أن يستبعد انجلاء الليل (إلى تغيير الأمر الأول الخ) قال السكاكى فان المولى إذا قال لعبده قم ثم قال له قبل أن يقوم اضطجع حتى المساء يتبادر الفهم الى أنه غير الأمر بالقيام الى الأمر بالاضطجاع لا أنه أراد الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخى أحدهما (وفيه نظر) لأن ذلك غير مسلم عند خلو المقام عن القرائن. فليس مفهوم الأمر إلا الطلب استعلاء والفور والتراخى مفوض الى القرينة (ومنها النهى) وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء (طلب الكف أو الترك) يشير بذلك إلى الخلاف الذى

وَهَذِهِ الأَرْبَعَةُ يَجُوزُ تَقْدِيرُ الشَّرْطِ بَعْدَهَا، كَقَوْلِكَ: لَيْتَ لِي مَالاً أُنْفِقُهُ أَيْ إِنْ أُرْزَقْهُ أُنْفِقْهُ، وَأَيْنَ بَيْتُكَ أَزُرْكَ، أَيْ إِنْ تُعَرِّفْنِيهِ أَزُرْكَ، وَأَكْرِمْنِي أُكْرِمْكَ، أَيْ إِنْ تُكْرِمْنِي أُكْرِمْكَ، وَلَا تَشْتُمْنِي يَكُنْ خَيْرًا لَكَ، أَيْ إِنْ لَا تَشْتُمْنِي يَكُنْ خَيْرًا لَكَ، وَأَمَّا الْعَرْضُ كَقَوْلِكَ: أَلَا تَنْزِلُ تُصِبْ خَيْرًا فَمُوَلَّدٌ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ، وَيَجُوزُ تَقْدِيرُ الشَّرْطِ فِي غَيْرِهَا لِقَرِينَةٍ نَحْوُ: أَمِ

قام بين الأشاعرة والمعتزلة فان الأشاعرة يزعمون أن مقتضى النهى كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده والآخرون ذهبوا إلى أنه ترك الفعل . وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الأصول (الأربعة) يعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهى (يجوز تقدير الشرط بعدها) قال التفتازانى: ووجه ذلك أن كل كلام لابد فيه من حامل للمتكلم عليه والحامل على الكلام الخبرى إفادة المخاطب بمضمونه وعلى الطلبى كون المطلوب مقصود المتكلم إما لذاته أو لغيره يعنى يتوقف ذلك الغير على حصوله وتوقف غيره على حصوله هو معنى الشرط فاذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصلح توقفه على المطلوب جوز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصودا لنفسه ولغيره وان ذكرت بعد ذلك غلب على ظنه كون المطلوب مقصودا لذلك المذكور لا لنفسه فيكون إذن معنى الشرط فى الطلب مع ذكر ذلك الشىء ظاهرا (فمولد من الاستفهام) وليس به لأن التقدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال (النداء) هو طلب إقبال المدعو على الداعى بأحد حروف مخصوصة كأيا وأصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد منزلة البعيد لكونه نائما أو ساهيا حقيقة أو بالنسبة الى الأمر الذى تناديه

اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ، أَيْ إِنْ أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ بِحَقٍّ * وَمِنْهَا النِّدَاءُ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ صِيغَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ، كَالِاغْرَاءِ فِي قَوْلِكَ لِمَنْ

له يعنى انه بلغ من علو الشأن الى حيث أن المخاطب لا يفى بما هو حقه من السعى فيه وان بذل وسعه واستفرغ جهده فكأنه غافل عنه بعيد منه ، وأى والهمزة وأصلهما للقريب وقد يستعملان فى البعيد تنبيها على أنه حاضر فى القلب لا يغيب عنه أصلا كقول الشاعر

أَسُكَّانَ نُعْمَانِ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِيَ سُكَّانُ

وأمايا فقال ابن الحاجب انها حقيقة فى القريب والبعيد لأنها لطلب الاقبال مطلقا وقال الزمخشرى انها للبعيد واستعمالها فى القريب اما لاستبعاد الداعى نفسه عن مرتبة المدعو نحو يا الله واما للتنبيه على عظم الامر وعلو شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك واما للحرص على اقباله كأنه أمر بعيد نحو يا موسى اقبل واما لغير ذلك من الاغراض والمقاصد (كالأغراء) والاستغاثة كقولك يالله من ألم الفراق. والتعجب نحو يا للماء والعشب. والندله والتحير والتضجر كما فى نداء الاطلال والمنازل والمطايا كقوله

* أَيَا مَنَازِلَ سَلْمَى أَيْنَ سَلْمَاكِ *

وقوله

يَا نَاقَ جِدِّي فَقَدْ أَفْنَتْ أَنَاتُكِ بِي ... صَبْرِي وَعُمْرِي وَأَحْلَاسِي وَأَنْسَاعِي (١)

---

(١) الأناة التأنى والاحلاس جمع حلس وهو كساء يطرح على ظهر البعير والانساع جمع نسع وهو ما ينسج للتصدير أى للحزام فى صدر البعير

أَقْبَلَ يَتَظَلَّمُ: يَا مَظْلُومُ ، وَالِاخْتِصَاصِ فِى قَوْلِهِمْ : أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا

والتوجع والتحسر كقوله

فَيَاقَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعَا

وأمثال هذه المعانى كثيرة فى الكلام (والاختصاص) وهو اما فى معرض التفاخر نحو أنا أكرم الضيف أيها الرجل أو التصاغر نحو أنا المسكين أيها الرجل أو لمجرد بيان المقصود بذلك الضمير فكل هذا صورته صورة النداء وليس به لأن أيا وما جعل وصفا له لم يرد به المخاطب بل هو عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه إظهار حرف النداء لأنه لم يبق فيه معنى النداء أصلا فكره التصريح بأداته فقوله أيها الرجل فأى مضموم والرجل مرفوع كما فى النداء لكن مجموعه فى محل النصب على الحال ولذلك قال المصنف أى متخصصا من بين الرجال . وقد يقوم مقام أى اسم منصوب إما معرف باللام نحو نحن العرب أقرى الناس للضيف أو مضاف نحو إنا معاشر الانبياء لا نورث وربما يكون علما كقولك

* بِنَا تَمِيمًا يُكْشَفُ الضَّبَابُ *

قال ابن الحاجب المعرف ليس منقولا عن النداء ونحو أيها الرجل منقول عنه قطعا والمضاف يحتمل الامرين النقل فيكون منصوبا بياء مقدرة وكونه مثل المعرف فيكون منصوبا بتقدير أعنى أو أخص قال الامام المرزوقى فى قول الحماسى

* إِنَّا بَنِى نَهْشَلٍ لَا نُدْعَى لِأَبٍ *

الفرق بين أن ينصب بنى نهشل على الاختصاص وبين أن يرفع على

الرَّجُلُ، أىْ مُتَخَصِّصًا مِنْ بَيْنِ الرِجَالِ . ثمَّ الخبرُ قَدْ يَقعُ مَوْقعَ الإنشَاءِ إمَّا لِلتفَاؤُلِ، أوْ لإظْهَارِ الحِرْصِ فِى وُقُوعِهِ، كما مَرَّ، وَالدُّعاءِ بِصِيغَةِ المَاضِى مِنَ البَلِيغِ يَحْتَمِلُهُمَا، أوْ لِلاحْتِرَازِ عَنْ صُورَةِ الأَمْرِ، أوْ لِحَمْلِ المُخَاطَبِ عَلَى المَطْلُوبِ، بِأَنْ يكُونَ مِمَّنْ لاَ يُحِبُّ أنْ يُكَذَّبَ الطَالِبُ « تَنبيهٌ » الإنشَاءُ كالْخَبَرِ فى كَثِيرٍ مِمَّا ذُكِرَ فِى الأَبْوَابِ الْخَمْسَةِ السَّابِقَةِ فَلْيَعْتَبِرْهُ النَّاظِرُ .

الخبرية هوانه لو جعله خبرا لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم وإذا نصب من من ذلك (قد يقع موقع الانشاء) مجازا (للتفاؤل) كما إذا قيل لك فى مقام الدعاء أعاذك الله من الشبهة وعصمك من الحيرة وحبب إليك التثبت وزين فى عينك الانصاف وأذاقك حلاوة التقوى وأودع صدرك برد اليقين . ليتفاءل بلفظ المضى على عدها من الامور الحاصلة التى حقها الاخبار عنها بافعال ماضية (أو لاظهار الحرص فى وقوعه) لما تقدم من أن الطالب اذا عظمت رغبته فى شىء كثر تصوره اياه فربما يخيل اليه حاصلا فيورد بلفظ الماضى (يحتملهما) أى التفاؤل واظهار الحرص (أوللاحتراز عن صورة الامر) كقول العبد للمولى إذا حول عنه الوجه ينظر المولى إلى ساعة (أو لحمل المخاطب الخ) فتقول لصاحبك الذى لا يحب أن تنسب إلى الكذب تأتينى غدا تحمله أبلغ حمل بألطف وجه على الاتيان

الفصلُ وَالوَصْلُ

أَلْوَصْلُ عَطْفُ بَعْضِ الْجُمَلِ عَلَى بَعْضٍ ، وَالفَصْلُ تَرْكُهُ ، فإِذَا أَتَتْ جُمْلَةٌ بَعْدَ جُمْلَةٍ فالْأُولَى إِمَّا أَنْ يكُونَ لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الإِعْرَابِ، أَوْلَا وَعَلَى الأَوَّلِ ، إِنْ قُصِدَ تَشْرِيكُ الثَّانِيَةِ لَهَا فِي حُكْمِهِ عُطِفَتْ عَلَيْهَا كالْمُفْرَدِ ، فَشَرْطُ كَوْنِهِ مَقْبُولًا بِالْوَاوِ وَنَحْوِهِ(١) أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا

(الفصل والوصل) قال الشيخ الامام فى دلائل الاعجاز : اعلم أن العلم بما ينبغى أن يصنع فى الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتى بتمام الصواب فيه الا الأعراب الخُلَّص والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة فى ذوق الكلام هم بها أفراد وقد بلغ من قوة الامر فى ذلك انهم جعلوه حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لأحراز الفضيلة فيه أحد الا كمل لسائر معانى البلاغة ، وأما بعد ، فان من سنتنا فى هذا الشرح أننا عند الكلام على المبحث الذى تلتحم أجزاؤه وتشتبك كلماته نعمد إلى نظم شرحه فى سمط واحد حتى يكون على ظهر العيس وطرف الثمام فنقول :

مما يكاد يكون معروفا ان فائدة العطف هو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه وإن من الحروف العاطفة ما يفيد هذا القدر فحسب وهو

---

(١) قول المصنف ، ونحوه ، أى نحو الواو ، حشو فاسد لأن هذا الحكم مختص بالواو كما ستقف عليه

جِهَةٌ جَامِعَةٌ، نَحْوُ: زَيْدٌ يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ، أَوْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَلِهَذَا عِيبَ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ

الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معانى مثل ان الفاء توجب الترتيب من غير تراخ وثم توجبه مع تراخ وأو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لاحدهما لا بعينه. ثم العطف اما فى المفردات واما فى الجمل. فالذى فى المفردات يقتضى تشريك الثانى فى إعراب الأول وأنه إذا أشركه فى إعرابه فقد أشركه فى حكم ذلك الاعراب نحو ان المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له شريك له فى ذلك. والذى فى الجمل، فالجمل على ضربين أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الاعراب واذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد إذ لا يكون للجملة موضع من الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد فاذا قلت مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت قد أشركت الثانية فى حكم الأولى وذلك الحكم كونها فى موضع جر بأنها صفة للنكرة قال الشيخ الامام: ونظائر ذلك تكثر والأمر فيها يسهل. الثانى أن تكون الجملة المعطوف عليها عارية الموضع من الأعراب نحو زيد قائم وعمرو قاعد وهذا الضرب هو الذى يدق مذهبه ويغمض أمره وإنما تكون الدقة فى الواو دون غيرها من حروف العطف لأن تلك تفيد مع الاشراك معانى كما علمت فاذا عطفت بواحد منها ظهرت الفائدة فاذا قلت أعطانى فشكرته ظهر بالفاء أن الشكر كان معقبا على العطاء ومسببا عنه وإذا قلت خرجت ثم خرج زيد أفادت ثم أن خروجه كان بعد خروجك وأن مهلة وقعت بينهما واذا قلت: يعطيك أو يكسوك

لاَ وَالَّذِى هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ (١)

وَإِلاَّ فُصِلَتْ عَنْهَا، نَحْوُ: وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ، أَللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، لَمْ يُعْطَفْ أَللهُ يَسْتَهْزِئُ عَلَى إِنَّا مَعَكُمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَقُولِهِمْ، وَعَلَى الثَّانِى إِنْ قُصِدَ رَبْطُهَا

دلت أو على أنه يفعل واحدا منهما لا بعينه. أما الواو فليس لها معنى سوى الاشراك فاذا قلت جاءنى زيد وعمرو لم تفد بالواو شيئا أكثر من اشتراك عمرو فى المجيء الذى أثبته لزيد ولا يتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه. وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا فى قولنا زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت الدقة وثبت الغموض. فنقول:

هذا الضرب ـ وهو ما تكون الجملة الأولى فيه عارية الموضع من الاعراب ـ لا يخلو إما أن تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالاولى ومستغنية بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها بأن كانت مؤكدة لها ومبينة وكانت إذا حصلت لم تكن شيئا سواها، وهذا لا يجوز إدخال العاطف عليه.. وإما أن لا تكون كذلك فاما أن يكون بين الثانية وبين الاولى مناسبة، وهنا يجب

---

(١) قبله

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَا عَنْهَا طِلاَلٌ بِاللِّوَى وَرُسُومُ

وبعده

مَا حُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلاَ غَدَتْ نَفْسِى عَلَى إِلْفٍ سِوَاكِ تَحُومُ

بِهَا عَلَى مَعْنَى عَاطِفٍ سِوَى الْوَاوِ عُطِفَتْ بِهِ، نَحْوُ: دَخَلَ زَيْدٌ فَخَرَجَ عَمْرٌو، أَوْ: ثُمَّ خَرَجَ عَمْرٌو، إِذَا قُصِدَ التَّعْقِيبُ أَوِ الْمُهْلَةُ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ لِلْأُولَى حُكْمٌ لَمْ يُقْصَدْ إِعْطَاؤُهُ لِلثَّانِيَةِ فَالْفَصْلُ، نَحْوُ: وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ، الْآيَةَ، لَمْ يُعْطَفْ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ عَلَى قَالُوا لِئَلَّا (١) يُشَارِكَهُ فِي الِاخْتِصَاصِ بِالظَّرْفِ، لِمَا (٢) مَرَّ، وَإِلَّا (٣) فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا كَمَالُ الِانْقِطَاعِ بِلَا إِيهَامٍ، أَوْ كَمَالُ الِاتِّصَالِ، أَوْ شِبْهُ أَحَدِهِمَا، فَكَذَلِكَ

ذكر العاطف، أولا يكون بينهما مناسبة رأساً، وهنا لايجوز ذكر العاطف. تقرير لهذا المعنى بعبارة أخرى: ان كان بين الجملتين كمال الاتصال أو كمال الانقطاع أو كانت الثانية بمنزلة المتصلة بالأولى أو بمنزلة المنقطعة عنها تعين الفصل وان كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تعين الوصل.. أما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الاسناد أو إلى طرفيه الأول أن تختلف الجملتان خبراً وانشاء لفظا ومعنى كقولهم لا تدن من الأسد يأكلك بالرفع وقول الأخطل

---

(١) فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم وخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا اياهم من حيث لايشعرون مختصا بحال خلوهم إلى شياطينهم وليس كذلك بل هو متصل لا انقطاع له بحال (٢) من كون تقديم الظرف يفيد الاختصاص (٣) أى إن لم يكن للأولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ذلك ولكن قصد اعطاؤه للثانية أيضا

وَإِلاَّ فَالْوَصْلُ مُتَعَيِّنٌ * أَمَّا كَمَالُ الِانْقِطَاعِ فَلِاخْتِلَافِهِمَا خَبَرًا وَإِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنًى ، نحوُ :

وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُو نُزَوِالُهَا فَكُلُّ حَتْفِ امْرِئٍ يَجْرِي بِمِقْدَارِ

وقال رائدهم أرسو نزوالها فكل حتف امرىء يجرى بمقدار (١)

لما كان ارسو انشاء لفظا و معنى و نزاولها خبرا لفظا و معنى لم يعطف عليه ولم يجعل أيضا مجزوما جوابا للأمر لأن الغرض تعليل الأمر بالارساء بالمزاولة والحال فى الجزم بالعكس أعنى يصير الارساء علة للمزاولة . . أو معنى فقط كقولك مات فلان رحمه الله . وقد جعل السكاكى مما نحن فيه قول اليزيدى

مَلَّكْتُهُ حَبْلِى وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِى

وَقَالَ إِنِّى فِى الْهَوَى كَاذِبٌ إِنْتَقَمَ اللهُ مِنَ الْكَاذِبِ

وحمله الامام عبد القاهر على الاستئناف قال لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سائلا قال له فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب فقال أقول انتقم الله من الكاذب . وهو ظاهر « واعلم » ان الفصل إنما يجب فى مثل هذا مالم يكن موهما خلاف المقصود والا وجب الوصل لتعارض المانع والمقتضى

---

(١) الرائد الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ وارسوا من رست السفينة إذا وقفت على المرساة أو من رست أقدامهم فى الحرب أى ثبتت ونزاولها من المزاولة وهى المحاولة والمعالجة فى تحصيل الشىء والضمير للحرب وقيل للسفينة اما جعله للخمر فلا يناسب قوله بعد

إِمَّا نَمُوتُ كِرَامًا أَوْ نَفُوزُ بِهَا فَوَاحِدُ الدَّهْرِ مِنْ كَدٍّ وَأَسْفَارِ

أَوْ مَعْنًى فَقَطْ، نَحْوُ: مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا كَمَا سَيَأْتِي * وَأَمَّا كَمَالُ الِاتِّصَالِ فَلِكَوْنِ الثَّانِيَةِ مُؤَكِّدَةً لِلْأُولَى لِدَفْعِ تَوَهُّمِ تَجَوُّزٍ أَوْ غَلَطٍ، نَحْوُ: لَا رَيْبَ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا بُولِغَ فِي وَصْفِهِ بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ بِجَعْلِ الْمُبْتَدَأِ ذَلِكَ وَتَعْرِيفِ

إذن وليس وراء الفصل الا الوصل ، يحكى أن الصديق رضى الله عنه مر باعرابى فى يده ثوب فقال له الصديق أتبيع هذا فقال لا يرحمك الله فقال له الصديق قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون لا تقل هكذا قل لا ويرحمك الله. ويحكى أن الصاحب بن عباد قال حين سمع من بعض الناس لا وأيدك الله هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ على خدود الملاح . . الثانى أن لا يكون بين الجملتين جامع ومن هنا عابوا أبا تمام فى قوله (١)

لا والذى هو عالم ان النوى صبر وان أبا الحسين كريم

وذلك أنه لامناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما بالآخر وسيأتى الكلام على الجامع . . وأما كمال الاتصال فيكون لأحد أمور ثلاثة ، الاول أن تكون الثانية مؤكدة للأولى والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز أو الغلط وهو قسمان أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد

---

(١) وقد تمحل الناس لتصحيح الوصل فى البيت بأمور منها أن مرارة النوى سبب يقتضى انتجاع أبى الحسين لمكارمه التى تزيل شظف النوى وقد بالغ الطيبى فى استحسانه إشارة إلى أنه جمع بين متضادين هما مرارة النوى وحلاوة كرم أبى الحسين فابرزهما فى معرض التوخى

الخَبَرِ بِاللَّامِ ، جَازَ أَنْ يَتَوَهَّمَ السَامِعُ قَبْلَ التَّأَمُّلِ أَنَّهُ مِمَّا يُرْمَى بِهِ

المعنوى من متبوعه فى افادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى مثل قوله تعالى(١) ألم ذلك الكتاب لاريب فيه فانه لما بولغ فى وصف الكتاب بأنه بلغ الدرجة القصوى من الكمال حيث (٢) جعل المبتدأ لفظة ذلك وأدخل على الخبر حرف التعريف كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن ينظمه فى سلك ماقد يرمى به على سبيل الجزاف من غير تحقق وايقان فأتبعه لاريب فيه نفيا لذلك ، وقد أصيب به المحز ، فوزانه وزان نفسه فى قولك جاءنى زيد نفسه ومثل هذا قوله جل شأنه: كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا ، الثانى مقرر لما أفاده الأول ومن اللطيف فى ذلك قوله تعالى ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ، فصل

---

(١) ذلك على تقدير أن يكون ألم جملة مستقلة وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه جملة ثالثة. وهناك وجوه أخر ذكرها المفسرون. هذا والذى ذكره الشيخ فى دلائل الاعجاز أن قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته . واذن يكون التوكيد لفظيا (٢) وأنت قد علمت أن تعريف المسند اليه بالاشارة يدل على كمال العناية بتمييزه وأنه ربما يجعل ذريعة الى تعظيمة وبعد درجته وان تعريف المسند باللام يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة فمعنى ذلك الكتاب أنه الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص وأنه الذى يستحق ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وكما قال :

جَزَافاً وأُتْبِعَهُ (١) نَفْياً لِذَلِكَ التَوَهُّمِ، فَوِزَانُهُ وِزَانُ نَفْسُهُ فِي جَاءَنِي زَيْدٌ نَفْسُهُ، ونَحْوُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ فِي الْهِدَايَةِ بَالِغٌ دَرَجَةً لَا يُدْرَكُ كُنْهُهَا حَتَّى كَأَنَّهُ هِدَايَةٌ مَحْضَةٌ، وَهَذَا مَعْنَى ذَلِكَ الْكِتَابُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ - كَمَا مَرَّ - الْكِتَابُ الْكَامِلُ، وَالْمُرَادُ بِكَمَالِهِ كَمَالُهُ فِي الْهِدَايَةِ، لِأَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ بِحَسَبِهَا تَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، فَوِزَانُهُ وِزَانُ

إن هذا لكونه مؤكدا للاول نفى أن يكون بشرا ولك (١) أن تقول الذى عليه العرف متى قيل فى حق انسان ماهذا بشرا ماهو بآدمى فى حال التعظيم له والتعجب مما يشاهد منه من حسن الخلق والخلق هو أن يفهم منه انه ملك فوقع قوله ان هذا إلا ملك تأكيداً للملكية ففصل وثانيهما ان تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظى من متبوعه فى اتحاد المعنى مثل قوله تعالى هدى للمتقين فان معناه أنه فى الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كانه هداية محضة وهذا معنى قوله ذلك الكتاب لان معناه كما تقدم الكتاب الكامل والمراد بكماله كماله فى الهداية لان الكتب السماوية بحسبها يتفاوت شأنها فى درجات الكمال . الثانى أن تكون الثانية بدلا من الاولى والمقتضى للابدال أن تكون الأولى غير وافية بتمام المراد وايراده أو كغير الوافية

---

* هم القوم كل القوم يا أم خالد * (١) ولك أن تخرجه من التأكيد وتجعله من باب التبيين قال الشيخ الامام لأنه إذا نفى أن يكون بشرا فقد أثبت له جنس سواه إذ من المحال أن يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل فى جنس آخر واذا كان كذلك كان اثباته ملكا تبيينا لذلك الجنس وتعيينا له

(١) قول المصنف فأتبعه أى أتبع لاريب فيه ذلك الكتاب أى جعل لا ريب فيه تابعاً لذلك الكتاب

زَيْدٌ الثَّانِى فى جَاءَنِى زَيْدٌ زَيْدٌ ، أَوْ بَدَلاً مِنْهَا ، لِأَنَّهَا غَيْرُ وَافِيَةٍ بِتَمَامِ الْمُرَادِ أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَةِ بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ وَالْمَقَامُ يَقْتَضِى اعْتِنَاءً بِشَأْنِهِ لِنُكْتَةٍ ، كَكَوْنِهِ مَطْلُوباً فى نَفْسِهِ أَوْ فَظِيعاً أَوْ عَجِيباً أَوْ لَطِيفاً ، نَحْوُ: أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ التَّنْبِيهُ عَلَى نِعَمِ اللهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِى أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ الْمُعَانِدِينَ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ وَجْهُهُ فِى أَعْجَبَنِى زَيْدٌ وَجْهُهُ لِدُخُولِ الثَّانِى فى الأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

والمقام مقام اعتناء بشأنه إما لكونه مطلوبا فى نفسه أو لكونه فظيعاً أو عجيبا أو لطيفاً أو غير ذلك مما له وجهة استدعاء للاعتناء بشأنه فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد إلى المراد ليظهر بمجموع القصدين اليه فى الأول والثانى أعنى المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشأن وهذا ضربان أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه مثل قوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون فانه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين وقوله أمدكم بانعام وبنين أوفى بتأديته مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين والامداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الأمداد بما يعلمون فوزانه وزان وجهه فى قولك أعجبنى زيد وجهه . قال السكاكى ويحتمل الاستئناف . وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه مثل قوله تعالى اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فان المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمَا

فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَمَالُ إِظْهَارِ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ، وَقَوْلُهُ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ بِالْمُطَابَقَةِ مَعَ التَّأْكِيدِ، فَوِزَانُهُ وِزَانُ حُسْنُهَا فِي أَعْجَبَنِي الدَّارُ حُسْنُهَا، لِأَنَّ عَدَمَ الْإِقَامَةِ مُغَايِرٌ لِلِارْتِحَالِ

أوفى بتأدية ذلك لأن معناه اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ومن ذلك قول القائل

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا ✲ والا فكن فى السر والجهر مسلما

فان المقصود من كلامه هذا اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله ارحل لدلالة ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد ووزان الثانية فى الآية والبيت وزان حسنها فى قولك أعجبتنى الدار حسنها لان معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملابسة. الثالث أن تكون الثانية (١) بيانا للأولى وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف

---

(١) وقد تعطف الجملة التى تصلح بيانا للاولى عليها تنبيها على استقلالها ومغايرتها لها ومن هذا قوله تعالى فى سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم مع الواو وقد قال فى سورة البقرة يذبحون من غير واو فحيث طرح الواو جعل التذبيح تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر

وَغَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَابَسَةِ، أَوْ بَيَانًا لَهَا، لِخَفَائِهَا، نَحْوُ: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى، فَإِنَّ وِزَانَهُ وِزَانُ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ

* أَقْسَمَ بِاللهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ *

وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُنْقَطِعَةِ عَنْهَا فَلِكَوْنِ عَطْفِهَا عَلَيْهَا مُوهِمًا لِعَطْفِهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ قَطْعًا، مِثَالُهُ

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا ... بَدَلًا أُرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

البيان من متبوعه فى افادة الايضاح والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام ازالته مثل قوله تعالى: فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فصل جملة قال عما قبلها لكونها تفسيراً له وتبيينا فوزانه وزان عمر فى قول الاعرابى: أقسم بالله أبو حفص عمر: وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى فلكون عطفها عليه موهما لعطفها على غيرها ويسمى الفصل لذلك قطعا مثاله قول الشاعر

وتظن سلمى أننى أبغى بها ... بدلا أراها فى الضلال تهيم

لم يعطف اراها كى لا يحسب السامع العطف على أبغى ويعد أراها فى الضلال تهيم من مظنونات سلمى فى حق الشاعر وليس هو بمراد بل المراد انه حكم للشاعر عليها بذاك وليس بمستبعد ان يكون قد قطع أراها ليقع جوابا لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف واياك أن ترى الفصل لاجل الوزن فما هوهناك.. وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جوابا عن سؤال اقتضته الأولى فتنزل منزلته فتفصل الثانية

وَيَحْتَمِلُ الِاسْتِئْنَافَ * وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَلِكَوْنِهَا جَوَابًا لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُولَى، فَتُنَزَّلُ مَنْزِلَتَهُ، فَتُفْصَلُ عَنْهَا، كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ. السَّكَّاكِيُّ: فَيُنَزَّلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ، لِنُكْتَةٍ كَإِغْنَاءِ السَّامِعِ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ أَوْ أَنْ لَا يُسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ اسْتِئْنَافًا، وَكَذَا الثَّانِيَةُ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ، لِأَنَّ السُّؤَالَ إِمَّا عَنْ سَبَبِ الْحُكْمِ مُطْلَقًا، نَحْوُ:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ ... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، قال السكاكى: النوع الثانى من الحالة المقتضية للقطع ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فينزل ذلك منزلة الواقع ويطلب بهذا الثانى وقوعه جوابا له فيقطع عن الجواب السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لايصار اليه الا لجهات لطيفة إما لتنبيه السامع على موقعه أو لاغنائه ان يسأل أو لئلا يسمع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو لغير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك ويسمى الفصل لذلك استئنافا وكذا الجملة الثانية أيضا تسمى استئنافا والاستئناف ثلاثة اضرب لأن السؤال الذى تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله

قال لى كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

لما كان فى العادة اذا قيل فلان عليل ان يسأل عن سبب علته وموجب مرضه فيقال ما به وما علته قدر كأنه قيل له ذلك فأتى بقوله سهر دائم جوابا عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال وكذلك قول المعرى

أى مَا بَالُكَ عَلِيلاً أَوْ مَا سَبَبُ عِلَّتِكَ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ، نَحْوُ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فَقِيلَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ؛ وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ، وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهِمَا، نَحْوُ: قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ أَىْ فَمَاذَا قَالَ، وَقَوْلِهِ:

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّنِى فِى غَمْرَةٍ ... صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِى لَا تَنْجَلِى

وَقَدْ غَرِضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِى ... مُعْطٍ حَيَاتِى لِغِرٍّ بَعْدُ مَا غَرِضَا (١)

جَرَّبْتُ دَهْرِى وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ ... لِىَ التَّجَارِبُ فِى وُدِّ امْرِئٍ غَرَضَا

لم يصل جربت بالعطف على غرضت بناء على سؤال ينساق اليه معنى البيت الأول وهو لم تقول ويحك هذا وما الذى اقتضاك أن تطوى كشحك عن الحياة الى هذه الغاية . . وإما عن سبب خاص له كقوله تعالى وما أبرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء فقيل نعم ان النفس لامارة بالسوء وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم كما مر فى باب أحوال الأسناد ان المخاطب إن كان مترددا فى الحكم طالبا له حسن تقويته بمؤكد . . وإما عن غيرهما كقول الشاعر

زعم العواذل انى فى غمرة ... صدقوا ولكن غمرتى لاتنجلى

فانه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل أصدقوا فى ذلك أم كذبوا فاخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قدقيل

---

(١) غرضت : ضجرت

وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَأْتِي بِإِعَادَةِ اسْمِ مَا اسْتُؤْنِفَ عَنْهُ، نَحْوُ: أَحْسَنْتَ إِلَى

له ففصل وطبق بذلك المفصل ومثله قول جندب بن عمار

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ ... بِجَنُوبِ خَبْتٍ عُرِّيَتْ وَأَجَمَّتِ

كَذَبَ الْعَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا ... بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَذَلَّتِ

وقد زاد هنا أمر الاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بان وضع الظاهر موضع المضمر فقال كذب العواذل ولم يقل كذبن وذلك انه لما أعاد ذكر العواذل ظاهرا كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاما مستأنفا من حيث وضعه وضعا لايحتاج فيه الى ماقبله وأتى به مأتى ماليس قبله كلام ومن الحسن البين فى هذا الباب قول الوليد بن يزيد

عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الْخَالِي ... عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ

عَفَاهُ كُلُّ حَنَّانٍ ... عَسُوفِ الْوَبْلِ هَطَّالِ

لما قال عفا من بعد أحوال قدر كأنه قيل له فما عفاه فقال عفاه كل حنان ومثله قول المتنبي

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلًا ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

فانه لما نفى ان يكون الذى يرى به من الدروس والعفاء من الرياح وأن تكون التى فعلت ذلك كان مظنة ان يسأل عن الفاعل . . قال الشيخ الامام واعلم ان الذى تراه فى التنزيل من لفظ قال مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم أعنى مثل قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فاوجس منهم خيفة قالوا

زَيْدٍ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى صِفَتِهِ، نَحْوُ: أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ أَهْلٌ لِذَلِكَ، وَهَذَا أَبْلَغُ، وَقَدْ يُحْذَفُ صَدْرُ الِاسْتِئْنَافِ، نَحْوُ: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ، فِيمَنْ قَرَأَهَا مَفْتُوحَةَ الْبَاءِ، وَعَلَيْهِ: نِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ، عَلَى قَوْلٍ، وَقَدْ يُحْذَفُ كُلُّهُ، إِمَّا مَعَ قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامَهُ، نَحْوُ قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافُ

لا تخف . . لما كان فى العرف والعادة فيما بين المخلوقين اذا قيل لهم دخل قوم على فلان فقالوا كذا ان يقولوا فما قال هو ويقول المجيب قال كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذى يسلكونه و كذلك قوله قال الا تأكلون وقوله قالوا لا تخف « تقسيم آخر للاستئناف » الاستئناف منه مايأتى باعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان ومنه ماينبنى على صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك . وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب « تقسيم ثالث » الاستئناف قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال فيمن قرأ يسبح مبنيا للمفعول ومنه قولهم نعم الرجل أو رجلا زيد وبئس الرجل أو رجلا عمرو على القول بأن المخصوص خبر مبتدا محذوف أى هو زيد كانه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنيا مظهرا أو مضمراً سئل عن تفسيره فقيل هو زيد ثم حذف المبتدا . . وقد يحذف كله ويقام مايدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بنى أسد

زعمتم أن اخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم آلاف

أَوْ بِدُونِ ذَلِكَ، نحوُ: فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ، أَىْ نَحْنُ، عَلَى قَوْلٍ * وَأَمَّا الْوَصْلُ لِدَفْعِ الْإِيهَامِ فَكَقَوْلِهِمْ: لَا وَأَيَّدَكَ اللهُ * وَأَمَّا لِلتَّوَسُّطِ فَإِذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنًى أَوْ مَعْنًى فَقَطْ بِجَامِعٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، وَقَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

أُولَئِكَ أُومِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

التقدير أصدقنا أم كذبنا فقال تقديرا كذبتم والدليل على ذلك قوله لهم إلف وليس لكم الاف ويجوزان يقدر لهم إلف جواب سؤال اقتضاه الجواب المحذوف كأن المتكلم قال كذبتم فقالوا لم كذبنا فقال لهم ألف وقد يحذف ولا يقام شىء مقامه (١) كقوله تعالى نعم الماهدون أى نحن على قول من يجعل المخصوص خبر المبتدأ أى هم نحن « وأما » الوصل للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع وكمال الاتصال فاذا اتفق الجملتان خبرا أو طلبا لفظا ومعنى أو معنى فقط مع جامع بينهما كقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وقوله يخادعون الله وهو خادعهم، هذا فى المتفقتين خبراً لفظا ومعنى، وقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا، وهذا فى المتفقتين انشاء لفظا ومعنى، وكقوله تعالى واذ

---

(١) لك أن تقول الفصل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما فاذا كانت الجملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلا إلا أن يقال ان المصنف استطرد إلى أنواع الجملة المستأنفة ولم يسمه فصلا فليس من هذا الباب

وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، أَىْ لَا تَعْبُدُوا وَتُحْسِنُونَ بِمَعْنَى أَحْسِنُوا أَوْ وَأَحْسِنُوا . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْنَدَيْنِ جَمِيعًا ، نَحْوُ : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطِى وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، بِدُونِهَا ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ

أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا ، فعطف قوله وقولوا على قوله لا تعبدون لأنه بمعنى لا تعبدوا وأما قوله وبالوالدين احسانا فتقديره إما وتحسنون بمعنى وأحسنوا وإما وأحسنوا وهذا أبلغ من صريح الأمر والنهى لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه « والجامع » بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند اليه فى هذه والمسند اليه فى هذه وباعتبار المسند فى هذه والمسند فى هذه جميعاً كقولنا يشعر زيد ويكتب ويعطى ويمنع وقولك زيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير إذا كان عمرو بسبب من زيد وكانا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عرف السامع حال الاول عناه أن يعرف حال الثانى بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو كاتب إذا لم يكونا كذلك و بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو طويل كانا كذلك أولا قال الشيخ فى دلائل الاعجاز اعلم أنه كما يجب أن يكون المحدث عنه فى إحدى الجملتين بسبب من المحدث عنه فى الأخرى كذلك ينبنى أن يكون الخبر عن الثانى مما يجرى مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول فلو قلت

وَعَمْرٌو طَوِيلٌ مُطْلَقاً. «السَّكَّاكِيُّ»: اَلْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِمَّا عَقْلِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَاثُلٌ، فَإِنَّ الْعَقْلَ بِتَجْرِيدِهِ الْمِثْلَيْنِ عَنِ التَّشَخُّصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّعَدُّدَ، أَوْ تَضَايُفٌ كَمَا بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ أَوِ الْأَقَلِّ وَالْأَكْثَرِ، أَوْ وَهْمِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَاثُلٍ كَلَوْنَيْ بَيَاضٍ وَصُفْرَةٍ، فَإِنَّ الْوَهْمَ يُبْرِزُهُمَا فِي مَعْرِضِ الْمِثْلَيْنِ، وَلِذَلِكَ حَسُنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ

زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفا « هذا » وقد قال السكاكى الجامع بين الجملتين إما عقلى أو وهمى أو خيالى فالعقلى أن يكون بينهما اتحاد فى تصور مثل الاتحاد فى المخبر عنه (١) أو فى الخبر أو فى قيد من قيودهما، أو تماثل فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد عن البين، أو تضايف كالذى بين العلة والمعلول والسبب والمسبب أو السفل والعلو والأقل والأكثر فالعقل يأبى أن لا يجتمعا فى الذهن وان العقل سلطان مطاع . والوهمى هو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل نحو أن يكون المخبر عنه فى إحداهما لون بياض وفى الثانية لون صفرة فان الوهم يحتال فى أن يبرزهما فى معرض المثلين وكم للوهم من حيل والا فعليك بقوله

---

(١) ربما تقول ان هذا يشعر بانه يكفى للوصل أن يكون الجامع بين المخبر عنهما فقط أو المخبر بهما فقط وأنت قد قلت آنفا خلاف ذلك فانا نقول كلام السكاكى هنا ليس الا فى بيان الجامع بين الجملتين وأما ان أى قدر من الجامع يجب لصحة الوصل فمفوض الى مكان آخر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

أو تضاد ، كالسواد والبياض والإيمان والكفر ، وما يتصف بها ، كالأبيض والأسود والمؤمن والكافر ، أو شبه تضاد ، كالسماء والأرض والأول والثانى ، فإنه ينزل لهما منزلة التضايف ، ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد ، أو خيالى ، بأن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال سابق ، وأسبابه مختلفة ، ولذلك اختلفت الصور

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

وقل لى ما الذى حسن الجمع بين الشمس وأبى اسحق والقمر هذا التحسين سواه أو بقوله

إذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمع فذو التاج والسقاء والذر واحد

أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والايمان والكفر وكالمتصفات بذلك فى نحو الاسود والأبيض والمؤمن والكافر أو شبه تضاد كالذى بين نحو السماء والارض والسهل والجبل والأول والثانى فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجتهد فى الجمع بينهما فى الذهن ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد والخيال هو أن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك فان جميع ما يثبت فى الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى اليه ويتكرر لديه ولذلك لما لم تكن الاسباب على وتيرة واحدة فيما بين البشر اختلفت الحال

الثَّابِتَةُ فِى الخَيَالِ تَرَتُّباً وَوُضُوحًا ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ المَعَانِى فَضْلُ احْتِيَاجٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الجَامِعِ ، لَاسِيَّمَا الْخَيَالِىُّ ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى مَجْرَى الإِلْفِ وَالْعَادَةِ

فى ثبوت الصور فى الخيالات ترتبا ووضوحا فكم من صور تتعانق فى الخيال وهى فى آخر ليست تتراءى وكم من صور لا تكاد تلوح فى الخيال وهى فى غيره نار على علم . يحكى أن جماعة من ذوى الحرف المختلفة وصفوا الكلام فقال الجوهري أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه فى سمط ألفاظه فحملته نحور الرواة ، وقال الصيرفى خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنه معيار الفصاحة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه ببهرج وقال الصائغ خير الكلام ما أحميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا فى معنى وجيز وقال الحداد أحسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ الروية وأشعلت فيه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الافحام ورققته بغطيس الافهام وقال الخمار أحسن الكلام ماطبخته مراجل العلم وضمنته دنان الحكمة وصفاه رواوق الفهم فتمشت فى المفاصل عذوبته وفى الأفكار رقته وسرت فى تجاويف العقل سورته وحدته وقال البزاز أحسن الكلام ماصدق رقم ألفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم عند طى وقال الكحال أصح الكلام ما سحقته فى منجار الذكاء ونخلته بحرير التميز وكما أن الرمد قذى العين كذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة وأجل رمد الغفلة ببرود اليقظة: ولصاحب علم المعانى فضل احتياج فى هذا الفن إلى التنبه لانواع هذا الجامع والتيقظ لها لا سيما النوع الخيالى فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما تنعقد الاسباب فى استيداع

وَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِى الاِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ،وَالْفِعْلِيَّتَيْنِ

الصور خزانة الخيال فقل لى اذ لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر أنى يستحلى كلام رب العزة مع أهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل ناسقا ذلك النسق:أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت ، لبعد البعير عن خياله فى مقام النظر ثم لبعده فى خياله عن السماء و بعد خلقه عن رفعها وكذا البواقى لكن اذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم فى حاجاتهم جاء الاستحلاء وذلك اذا نظر أن أهل الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشى كانت عنايتهم مصروفة لامحالة الى أكثرها نفعا وهى الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل الا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين الى مأوى يأويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن الا الجبال

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ

فماظنك بالتفات خاطرهم اليها ثم اذا تعذر طول مكثهم فى منزل ــ ومن لاصحاب مواش بذلك ــ كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض الى سواها من عزم الأمور فعند نظره هذا أيرى البدوى اذا أخذ يفتش عما فى خزانة الصور له لايجد صورة الابل حاضرة هناك أولا يجد صورة السماء لها مقارنة أو تعوزه صورة الجبال بعدهما أو لاتصاع اليه صورة الأرض بعدهن؟لا ــ وانما الحضرى حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل أن يقف على ماذكرت ظن النسق بجهله معيبا. هذا اذاقك الله حلاوة العلم واشعر قلبك برد اليقين هو لباب ماقالوه

فى المُضِىِّ وَالمُضَارَعَةِ ، إلاَّ لِمَانِعٍ.

تَذْنِيبٌ

أَصْلُ الحَالِ المُنْتَقِلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ وَاوٍ ، لِأَنَّهَا فى المَعْنَى حُكْمٌ

فى باب الفصل والوصل استخرجناه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين (الا لمانع) كما اذا أريد باحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمر و فانك تقول قام زيد وعمرو قاعد قال السكا كى وعلى هذا قوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون المعنى سواء عليكم أحدثتم الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لانهم كانوا اذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم قال تعالى وإذا مس الناس ضر الآية فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا عن دعوتهم صامتين (تذنيب) لما كانت الحال الواقعة جملة تارة تدخلها الواو وأخرى لا تدخل صار لها فى الصورة حالتا فصل ووصل فناسب أن يذكر ذلك عقب الكلام على الفصل والوصل « وبعد » فقد علمت أن من سنتنا فى شرح هذا الكتاب اننا عند الكلام على المبحث الذى تلتحم أجزاؤه وتشتبك كلماته نعمد إلى نظم شرحه فى سمط واحد حتى يكون هين المتناول سهل المأخذ فنقول : الغرض الآن هو بيان أن الحال إذا وقعت جملة تجىء تارة مع الواو وأخرى بغير واو والكلام فى ذلك مستدع تمهيد قاعدة وهى أن الحال نوعان حال بالاطلاق (١) وحال تسمى مؤكدة ولكل واحد من النوعين أصل فى الكلام ولهما معا نهج فى الاستعمال واحد فأصل الثانى أن يكون وصفا ثابتا نحو هو الحق بينا وزيد أبوك شفيقا وفى التنزيل

---

(١) وهى التى تسمى المنتقلة

عَلى صَاحِبِهَا ، كَالخَبَرِ ، وَوَصْفٌ لَهُ ، كَالنَّعْتِ ، لَكِنْ خُولِفَ هَذَا إِذَا

إنا أنزلناه قرآنا عربيا وأصل الأول أن يكون وصفا غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم المفعول نحو جاء زيد راكبا وضربت اللص مكتوفا ويمتنع أن يقال جاء زيد طويلا أو قصيرا أو اسود أو أبيض اللهم إلا بتأويل . ونهجهما فى الاستعمال أن يأتيا عاريين عن حرف النفى كما يقال هو الحق بينا دون لا خفيا وجاء زيد راكبا دون لا ماشيا . والأصل(١) فى النوعين أن يكونا بغير الواو لوجوه الأول أن اعراب الحال أصلى ليس بتبع ولا مجال للواو فى المعرب بالاصالة لأن الاعراب دال على تعلق معنوى هناك فذلك التعلق يكون مغنيا عن تكلف تعلق آخر الثانى ان حكم الحال مع ذى الحال أبدا نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا تراك إذا الغيت هو فى قولك هو الحق بينا بقى الحق بين وجاء فى قولك جاء زيد راكبا بقى زيد راكب وضربت فى قولك ضربت اللص مكتوفا بقى اللص مكتوف فتجد الحال وذا الحال خبرا ومخبرا والخبر ليس(٢) موضعا لدخول الواو

(١) يؤخذ من ذلك أنه لا وجه للمصنف فى أن يقيد الحال بالمنتقلة لان أصل الحال مطلقا ذلك الا أنه وجب هذا الاصل فى المؤكدة لانها فى معنى ما قبلها والواو تؤذن بالمغايرة(٢) قد يخدش فى هذا أن الأخفش فى طائفة جوز دخول الواو فى خبر كان وأخواتها وأنشدوا

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ إِذَا مَا قَابَلَتْهُ عَيْنُ البَصِيرِ اعْتِبَارُ

وقول الحماسى

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ

وقول الآخر

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ وَكُنْتُ وَقَدْ يَئِسْتُ مِنَ الدُّخُولِ

وقد يجاب بأن أمثال ذلك مما ورد فى على خلاف الاصل تشبيها بالحال

كَانَتْ جُمْلَةً، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالإِفَادَةِ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْبِطُهَا بِصَاحِبِهَا، وَكُلٌّ مِنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرَّبْطِ، وَالأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ، بِدَلِيلِ الْمُفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ، فَالْجُمْلَةُ إِنْ خَلَتْ عَنْ ضَمِيرِ صَاحِبِهَا وَجَبَ فِيهَا الْوَاوُ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ضَمِيرِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالاً عَنْهُ بِالْوَاوِ، إِلاَّ الْمُصَدَّرَةَ بِالْمُضَارِعِ

الثالث أنها فى الحقيقة وصف لذى الحال فلا يدخلها الواو كالنعت فظهر لك أن الأصل فى الجملة اذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو ولكن النظر اليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يبسط العذر فى ان يدخلها ما يربطها بالاولى وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت وإذا تمهد هذا فاعلم أن الجملة التى تقع حالا ضربان خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه وغير خالية أما الاولى فيجب أن تكون بالواو لئلا تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز (١) أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه اذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك جاء زيد ويتكلم عمرو على أن يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده وأما الثانية فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة

---

(١) بأن تكون فاعلا أو مفعولا معرفا أو منكرا مخصصا لا مبتدأ وخبرا ولا نكرة محضة

الْمُثْبَتِ، نَحْوُ: جَاءَ زَيْدٌ وَيَتَكَلَّمُ عَمْرٌو، لِمَا سَيَأْتِي، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَتْ فِعْلِيَّةً وَالْفِعْلُ مُضَارِعٌ مُثْبَتٌ امْتَنَعَ دُخُولُهَا، نَحْوُ: وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ، لِأَنَّ الْأَصْلَ الْمُفْرَدَةُ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ لِمَا

يمتنع ذلك وتارة يترجح أحدهما وتارة يستوى الامران والواو غير مناف للضمير فى افادة الربط فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف فنقول الجملة أما أن تكون فعلية والفعل مضارع مثبت غير منفى وحينئذ تمتنع الواو بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو كقوله

وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي ... يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الْجَوْزَاءُ مَسْمُومُ (١)

وقوله

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي ... أَحْوَذِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيجُ (٢)

وفى التنزيل ولا تمنن تستكثر ، وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى . ويذرهم فى طغيانهم يعمهون . قال المصنف والسبب فى ذلك هو أن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن ذلك الحصول لما جعلت قيدا له وهو العامل فيها والمضارع المثبت كذلك أما دلالته على حصول صفة غير ثابتة فلانه فعل مثبت والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم

---

(١) القتود جمع قتد وهو خشب الرحل المعهود ويسفعه اليوم يلفحه بحره فيغير لونه وأصله تأثير النار وتعليمها ما تصيبه والجوزاء برج تنزله الشمس فى آخر الربيع وحينئذ تهب الرياح الحارة واليوم مسموم ريحه حارة

(٢) الاحوذى الحاذق وميعة الفرس أول جريه وأنشطه والأضريج الفرس الشديد العدو

جُعِلَتْ قَيْدًا لهُ ، وَهُوَ كذَلِكَ ، أَمَّا الْحُصُولُ فَلِكَوْنِهِ فِعْلاً مُثْبَتاً ، وَأَمَّا الْمُقَارَنَةُ فَلِكَوْنِهِ مُضَارِعاً ، وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ نَحْوِ : قُمْتُ وَأَصُكُّ وَجْهَهُ ، وَقَوْلِهِ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا

فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمُبْتَدَإِ ، أَيْ وَأَنَا أَصُكُّ وَأَنا أَرْهَنُهُمْ ، وَقِيلَ الأَوَّلُ شَاذٌّ وَالثَّانِي ضَرُورَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : هِيَ فِيهِمَا لِلْعَطْفِ ، وَالأَصْلُ

الثبوت وأما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعا وهو يصلح للحال / وأما قول ابن همام السلولى .

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا .

« فى رواية من رواه وأرهنهم » وما شبهوه به من قولهم . قمت واصك وجهه فقيل على حذف المبتدأ أى وأنا أرهنهم وأنا أصك فتكون الجملة اسمية وقيل الأول ضرورة والثانى شاذ وقال الشيخ الامام ليست الواو فيهما للحال بل هى للعطف وأرهن واصك بمعنى رهنت وصككت وعدل إلى صيغة المضارع لحكاية الحال كما فى قوله

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لاَ يَعْنِينِي

يبين ذلك أنك ترى الفاء تجىء مكان الواو فى مثل هذا وذلك كنحو ما فى الخبر فى حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبى رافع اليهودى حصنه قال : فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أنى هو من البيت فقلت أبا رافع فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش فكما أن أضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لأنه فى المعنى ماض

وَصَكَكْتُ وَرَهَنْتُ، عُدِلَ عَنْ لَفْظِ المَاضِي إِلَى المُضَارِعِ لِحِكَايَةِ الحَالِ وَإِنْ كَانَ مَنْفِيًّا فالأَمْرَانِ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ: فاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ بالتَّخْفِيفِ، وَنحو: وَمَالَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ، لِدَلَالَتِهِ عَلَى المُقَارَنَةِ، لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا

كذلك يكون أرهنهم معطوفا على الماضى قبله وكما لا يشك فى أن المعنى فى الخبر فأهويت فضربت كذلك يكون المعنى فى البيت نجوت ورهنت. قلنا إن الجملة ان كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو أما ان دخل حرف نفى على المضارع فانه يجوز فيه الامران وذلك مثل قراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان بتخفيف النون (١) وقولهم: كنت ولا أخشى بالذئب وقول مسكين الدارمى

أَكْسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبِيضُ أَبًا ... وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِأَبْ

وقول مالك بن رفيع وكان جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير:

أَتَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ ... فَأَيْنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

أَقَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي ... وَكُنْتُ وَمَا يُنَهْنِهُنِي الْوَعِيدُ

كان فى هذا كله تامة والجملة الداخل عليها الواو فى موضع الحال ولا معنى لجعلها ناقصة وجعل الواو مزيدة وليس مجىء المضارع حالا على هذا الوجه بعزيز فى الكلام الاتراك تقول جعلت أمشى وما أدرى أين أضع رجلى وجعل يقول ولا يدرى وقال أبو الأسود

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى ... وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكُ إِلَّا كَذَلِكَ

---

(١) فانها تكون حينئذ نون رفع وتكون لا للنفى دون النهى والو للحال

دُونَ الْحُصُولِ لِكَوْنِهِ مَنْفِيًّا . وَكَذَا إِنْ كَانَ مَاضِيًا لَفْظًا أَوْ مَعْنًى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ، وَقَوْلِهِ: أَوْجَاؤُكُمْ

وهو شائع كثير . ومثال مجيء المضارع منفيا حالا من غير واو قوله

مَضَوا لا يُرِيدُونَ الرِّمَاحَ وَغَالَهُمْ مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابٌ جَرَيْنَ عَلَى قَدَرِ

وقول أرطاة بن سهية وهو لطيف جدا

إِنْ تَلْقَنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاظِرَةٍ تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفْ جَبْهَةَ الْأَسَدِ

فقوله لا ترى فى موضع حال ومثله فى اللطف قول أعشى همدان وصحب عباد بن ورقاء الى إصبهان فلم يحمده فقال

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَّلَتْنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمِ

وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلًا مَسِيرِي لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمِ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لِارْتِفَاعِ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أَحْجَبُ

وهو كثير إلا أنه لا يهتدى إلى وضعه بالموضع المرضى إلا من كان صحيح الطبع قال المصنف والسبب فى جواز الأمرين هو دلالة المضارع على المقارنة لكونه مضارعا دون الحصول لكونه منفيا أى والمقارنة يناسبها ترك الواو وعدم الحصول يناسبه وجودها « وأما » أن كان الفعل ماضيا لفظا أو معنى فكذلك يجىء بالواو وبغير الواو أما مجيئه بالواو فالكثير الشائع كقولك أتانى وقد جهده السير وقال تعالى انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وقال امرؤ القيس

أَتَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفَتْ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوأَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، وقَوْلِهِ: أَنَّى يكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ، وقوله فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وقوله: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ

وقال

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِتْرِ إِلَّا لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ

هذا فى الماضى لفظا وأما الماضى(١) معنى فمثاله قوله تعالى أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء وقوله انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر وقول كعب

لَا تَأْخُذَنِّى بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِىَّ الْأَقَاوِيلُ

وقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقول الشاعر

بَانَتْ قَطَامِ وَلَمَّا يَحْظَ ذُو مِقَةٍ مِنْهَا بِوَصْلٍ وَلَا إِنْجَازِ مِيعَادِ

وأما بغير الواو فكقوله تعالى أو جاءكم حصرت صدروهم وقول الشاعر

يَمْشُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْوَغَى مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمُ اسْتِبْشَارُ

وقوله:

فَأَبُوا بِالرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ وَأُبْنَا بِالسُيُوفِ قَدِ انْحَنِينَا

وقول الآخر:

مَتَى أَرَى الصُبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ وَاللَّيْلَ قَدْ مُزِّقَتْ عَنْهُ السَرَابِيلُ

وكقوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وقول أمرىء القيس

---

(١) المراد به المضارع المنفى بلم ولما

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَمَّا الْمُثْبَتُ فَلِدَلَالَتِهِ عَلَى الْحُصُولِ، لِكَوْنِهِ فِعْلًا مُثْبَتًا، دُونَ الْمُقَارَنَةِ، لِكَوْنِهِ مَاضِيًا وَلِهَذَا شُرِطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ، وَأَمَّا الْمَنْفِيُّ فَلِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ دُونَ الْحُصُولِ ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ ، وَغَيْرُهَا لِانْتِفَاءٍ مُتَقَدِّمٍ، مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا

فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَأْوَهُ

وقول زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ (١)

وقول الآخر .

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ

قال المصنف والسبب فى أن جاز الأمران فيه اذا كان مثبتا دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيا ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى تقربه الى الحال فيصح وقوعه حالا وظاهر هذا يقتضى وجوب الواو فى المنفى لانتفاء المعنيين لكنه لم يجب فيه بل كان مثله أما المنفى بلما فلأنها للاستغراق وأما المنفى بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت

---

(١) يقول كأن قطع الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج فى كل منزل نزلته هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب فى حال كونه غير محطم لأنه إذا حطم زايله لونه

عِنْدَ الإِطْلَاقِ ، بِخِلَافِ الْمُثْبَتِ ، فَإِنَّ وَضْعَ الفِعْلِ عَلَى إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْعَدَمِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سَبَبٍ ؛ بِخِلَافِ اسْتِمْرَارِ الْوُجُودِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلِكَوْنِهِ مَنْفِيًّا * وَإِنْ كَانَتِ اسْمِيَّةً فَالْمَشْهُورُ جَوَازُ تَرْكِهَا ، بِعَكْسِ مَا مَرَّ فِي الْمَاضِي الْمُثْبَتِ ، نَحْوُ : كَلَّمْتُهُ فُوهُ إِلَى فِيَّ

الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف المثبت فان وضع الفعل على إفادة التجدد وتحقيق هذا ان استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين فى غير هذا العلم « وأما » أن كانت الجملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين وأن مجيء الواو أولى مثال وجود الواو قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم عاكفون فى المساجد وقول الشاعر

لَيَالِيَ يَدْعُونِي الْهَوَى وَأُجِيبُهُ ... وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِ

ومثال تركها ما رواه سيبويه كلمته فوه الى فى ورجع عوده على بدئه فى قول من رفع وبيت الاصلاح

نَصَفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرَهُ ... وَرَفِيقُهُ بِالْغَيْبِ لَا يَدْرِي (١)

وما أنشده أبو على فى الاغفال

وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ ... إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُمَزَّقِ

وقول الآخر .

* مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا لَا يَرْقَأُ *

---

(١) يصف غائصا على الدر يقول إنه بقى غائصا تحت الماء من الصباح الى الظهر ورفيقه الممسك بالحبل على البر لا يدرى

وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوْلَى، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثُّبُوتِ، مَعَ ظُهُورِ الِاسْتِئْنَافِ فِيهَا، فَحَسُنَ زِيَادَةُ رَابِطٍ، نَحْوُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ وقالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ: إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَتْ، نَحْوُ: جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ

قال المصنف أما جواز الأمرين فلعكس ما مر فى الماضى المثبت يعنى دلالة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبوت وأما أن مجىء الواو أولى فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيهالاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط «وقال» الشيخ الامام إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجب الواو كقولك جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع وسبب ذلك أن الجملة لا تترك فيها الواو حتى تدخل فى صلة العامل وتنضم اليه فى الاثبات وتقدر تقدير المفرد فى أن لايستأنف لها الاثبات وهذا مما يمتنع فى نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهومسرع لأنك إذا أعدت ذكر زيد وجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة إعادة إسمه صريحا فى أنك لا تجد سبيلا الى أن تدخل يسرع فى صلة المجىء وتضمه اليه فى الاثبات لأن اعادة ذكره لاتكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بأنه يسرع والا لكنت تركت المبتدأ بمضيعة وجعلته لغوا فى البين وجرى مجرى أن تقول جاءنى زيد وعمرو يسرع أمامه ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاما ولم تبتدىء للسرعة إثباتا وعلى هذا فالاصل والقياس ان لا تجىء الجملة الاسمية الا مع الواو وماجاء بدونه فسبيله سبيل الشىء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ونوع من التشبيه فقولهم فوه الى فى معناه مشافها وقولهم عوده على بدئه معناه ذاهبا فى طريقه الذى جاء منه وأما قوله

يُسْرِعُ أَوْ وَهُوَ مُسْرِعٌ، وَإِنْ جُعِلَ نَحْوُ عَلَى كَتِفِهِ سَيْفٌ حَالاً كَثُرَ

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود والكرم

فلأنه بسبب تقديم الخبر قرب فى المعنى من قولك وجدته حاضرا عنده الجود والكرم وتنزيل الشىء منزلة غيره ليس بعزيز فى كلامهم ويجوز أن يكون جميع ذلك على إرادة الواو كما جاء الماضى على ارادة قد (وبعد) فقد وجب علينا الآن أن نتحفك أيها القارىء بما قاله ذلك الامام فى بيان العلل والأسباب التى اقتضت أن يختلف الأمر بالجمل الواقعة حالا هذا الاختلاف وأن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو وأخرى لا تصلح فيها الواو وثالثة تصلح أن تجىء فيها بالواو وأن تدعها (قال) ما فحواه أن كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت الى الفعل الواقع فى صدرها فضممته إلى الفعل الأول فى إثبات واحد وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبرا فاذا قلت جاءنى زيد يسرع كان بمنزلة جاءنى مسرعا فى أنك تثبت له مجيئا فيه اسراع وتصل أحد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبرا واحدا كأنك قلت جاءنى بهذه الهيئة وإذا قلت جاء زيد وهو مسرع أو وغلامه يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجىء ثم استأنفت خبرا وابتدأت اثباتا ثانيا لما هو مضمون الحال ولهذا احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالأولى بجىء بالواو كما جىء بها فى قولك العلم حسن والجهل قبيح وتسميتنا لها واو حال لا تخرجها عن كونها مجتلبة لضم جملة إلى جملة كالفاء فى جواب الشرط فانها بمنزلة العاطفة فى أنها جاءت لربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها فالجملة فى نحو جاءنى زيد يسرع بمنزلة الجزاء المستغنى عن الفاء لأن من شأنه أن يرتبط بنفسه والجملة فى نحو جاءنى زيد وهو مسرع أو وغلامه

فيها تركها ، نحو* خرجت مع البازى على سواد * ويحسن الترك تارة لدخول حرف على المبتدإ كقوله

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد

يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه بمنزلة الجزاء الذى ليس من شأنه أن يرتبط بنفسه (ثم) قال الشيخ وان جعل نحو على كتفه سيف بتقديم الظرف حالا عن شيء كما فى قولنا جاءنى زيد على كتفه سيف كثر فيها أن تجيء بغير واو كقول بشار

إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها خرجت مع البازى على سواد

يعنى على بقية من الليل وقول أمية .

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا فى رأس غمدان دارا منك محلالا

وقول الآخر .

لقد صبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها فى يديك قضيب

ثم قال والوجه أن يقدر الاسم فى الأمثلة مرتفعا بالظرف فانه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبى الحسن لاعتماده على ما قبله ثم ينبغى أن يقدر ههنا خصوصا أن الظرف فى تقدير إسم الفاعل دون الفعل اللهم الا أن يقدر فعلا ماضيا مع قد (ومن) كلام الشيخ قوله . ومما ينبغى أن يراعى فى هذا الباب أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو فيحسن ذلك ثم تنظر فترى ذلك انما حسن من أجل حرف دخل عليها مثاله قول الفرزدق .

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما بنى حوالى الاسود الحوارد(١)

فانه لولا دخول كأن عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو وقولك عسى

---

(١) الحوارد جمع حورد وهو المجتمع الخلق المهيب المنظر يرى لعزته كالغضبان

وَأُخْرَى لِوُقُوعِ الْجُمْلَةِ الاِسْمِيَّةِ بِعَقِبِ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَاللهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ

﴿ الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ وَالْمُسَاوَاةُ ﴾

السكاكيُّ : أَمَّا الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ فَلِكَوْنِهِمَا نِسْبِيَّيْنِ لَا يَتَيَسَّرُ الْكَلَامُ فِيهِمَا إِلَّا بِتَرْكِ التَّحْقِيقِ وَالتَّعْيِينِ وَالْبِنَاءِ عَلَى أَمْرٍ عُرْفِيٍّ ، وَهُوَ مُتَعَارَفُ الْأَوْسَاطِ ، أَيْ كَلَامُهُمْ فِي مَجْرَى عُرْفِهِمْ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعَانِي ، وَهُوَ لَا يُحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ وَلَا يُذَمُّ ؛ فَالْإِيجَازُ أَدَاءُ

ان تبصرينى وبنى حوالى الاسود . وشبيه بهذا أن تقع حالا بعقب مفرد حال فيلطف مكانها بخلاف مالو أفردت ، كقول ابن الرومى

وَاللهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ

فانه لو قال والله يبقيك لنا برداك تبجيل لم يكن شيئا (الايجاز والاطناب) هو باب رفيع المنزلة شامخ فى الشرف بل هو أنف البلاغة الذى تعطس منه ونابها الذى تفترعنه وقديما تكلم العلماء فيه وأفردوه بالقول والايضاح ولقد أتى المصنف رحمه الله منه بجملة صالحة سنضم اليها ما تسكن اليه النفس ويثلج منه الصدر إن شاء الله (نسبيين) لأن الموجز انما يكون موجزا بالنسبة الى كلام أزيد منه وكذا المطنب إنما يكون مطنبا بالنسبة إلى ما هو أنقص منه (الأوساط) أى الذين لم يرتقوا الى ذروة البلاغة ولم يتدلوا الى حضيض العى والفهاهة (وهو)

المَقْصُودِ بِأَقَلَّ مِنْ عِبَارَةِ المُتَعَارَفِ، وَالإِطْنَابُ أَدَاؤُهُ بِأَكْثَرَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: الإِخْتِصَارُ لِكَوْنِهِ نِسْبِيًّا يُرْجَعُ فِيهِ تَارَةً إِلَى مَا سَبَقَ، وَأُخْرَى إِلَى كَوْنِ المَقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطَ مِمَّا ذُكِرَ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نِسْبِيًّا لَا يَقْتَضِي تَعَسُّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ، ثُمَّ البِنَاءُ عَلَى المُتَعَارَفِ وَالبَسْطِ المَوْصُوفِ رَدٌّ إِلَى الجَهَالَةِ، وَالأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ: المَقْبُولُ مِنْ طُرُقِ التَّعْبِيرِ عَنِ المُرَادِ تَأْدِيَةُ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ نَاقِصٍ عَنْهُ وَافٍ، أَوْ زَائِدٍ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ؛ وَاحْتُرِزَ بِوَافٍ عَنِ الإِخْلَالِ، كَقَوْلِهِ:

وَالعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِ النُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا

أى هذا الكلام الذى هو متعارف الأوساط (الى ما سبق) أى الى اعتبار متعارف الاوساط (مما ذكر) أى مما ذكر فى المقام (ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف) بأن يقال الايجاز قد يكون لكونه أقل من المتعارف وقد يكون لكون المقام خليقا بكلام أبسط من الكلام المذكور « هذا » وقد نصر القوم صاحب المفتاح على المصنف بما لا يسعه شرحنا وليس بطالب البلاغة حاجة وحبذا صنيع المصنف لو كان كفى نفسه مؤنة الاعتراض بعدوله عن كلام السكاكى وقصده لأول وهلة الى ما هو بالبلاغة أمس وبمصنفه أليق (عن الاخلال) وهو أن يكون اللفظ قاصرا عن أداء المعنى كقول الحرث بن حلزة اليشكرى

وَالعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِ النُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا

أراد والعيش الناعم خير فى ظلال النوك — بضم النون وفتحها الحمق —

أَي الناعِمُ وَفِي ظِلَالِ الْعَقْلِ ، وَبِفَائِدَةٍ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَحْوُ :

* وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا * وَعَنِ الْحَشْوِ الْمُفْسِدِ ، كَالنَّدَى فِي قَوْلِهِ

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ

من العيش الشاق فى ظلال العقل . وليس يدل لحن كلامه على هذا فهو من الايجاز المقصر ومن ذلك قول الآخر

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ

يريد ، عاجل ما أشتهى مع القلة أحب اليه من رائثه مع الكثرة ، ومثله قول عروة بن الورد

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نُفُوسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَغَى كَانَ أَعْذَرَا

يعنى إذ يقتلون نفوسهم فى السلم (عن التطويل) وهو أن لا يتعين الزائد فى الكلام كقول عدى بن زيد العبادى من قصيدته التى أولها

أَبُدِّلَتِ الْمَنَازِلُ أَمْ عَيِينَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلِينَا

وهو يذكر غدر الزباء بجذيمة الابرش

وَقَدَّدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمِينَا

فان الكذب والمين واحد ولا يتعين أحدها للزيادة . والتقديد التقطيع والاديم الجلد والرهشان العرقان فى باطن الذراع (فى قوله) أى قول أبى الطيب المتنبى (ولا فضل فيها) يقول : لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت . وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة والصبر دون الندى لأن الشجاع إذا علم علما ليس بالظن أنه يخلد فى الدنيا هان عليه اقتحام الحروب والمعارك لأمنه من الهلاك اذ ذاك فلم يكن هنا فضل وكذا الصابر

وَغيْرِ الْمُفْسِدِ ، كقَوْلِهِ * وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قبْلَهُ *

اذ أيقن بزوال المكروه وبقاء العمر هان عليه صبره لوثوقه بالخلاص وأما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الباذل إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل مالا أبقى له أنى أثق بالتمتع بهذا المال . وعليه قول طرفة بن العبد

فإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وقول مهيار الديلمى

فَكُلْ إِنْ أَكَلْتَ وَأَطْعِمْ أَخَاكَ فَلاَ الزَّادُ يَبْقَى وَلاَ الآكِلُ

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل وعلى كرم الطبع أدل وقد تمحل بعضهم بأن المراد بالندى فى البيت بذل النفس لا بذل المال كما قال مسلم بن الوليد

يَجُودُ بِالنَفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس وان استعمل فعلى وجه الاضافة فأما مطلقا فلا يفيد إلا بذل المال نعم قال ابن جنى ان فى الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ويسهل البوس فلا يظهر لبذل المال كثير فائدة . وهو قريب (لقوله) القائل هو زهير بن أبى سلمى (وأعلم) وتمامه :

* وَلَكِنَّنِى عَنْ عِلْمِ مَافِى غَدٍ عَمِى *

فأنت ترى أن قوله قبله مستغنى عنه إلا أنه غير مفسد فان قلت قد يقال أبصرته بعينى وسمعته بأذنى وضربته بيدى ولا يجعل مثل هذا من الحشو

﴿ المُسَاوَاةُ ﴾ نحوُ : وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ، وقَوْلِهِ :

لوقوعه فى التنزيل مثل . فويل لهم مما كسبت أيديهم قلنا أمثال ذلك انما تقال فى مقام يفتقر إلى التوكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ياهذا لقد كتبت بيمينك هذه وأما قوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم . فمعناه أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر فى القلب ومالا معنى له مقول بالفم لا غير (نحو ولا يحيق) ومن المساواة هذه الابيات المشهورة

وَلَمَّا قَضَيْنا مِنْ مِنًى كلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَى دُهْمِ المَطَايَا رِحَالُنا ... وَلَمْ يَنْظُرِ الغَادِى الَّذِى هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِىِّ الأَبَاطِحُ

ومنها تلك الابيات التى قال فيها الجاحظ لا أعرف شعرا يفضل هذه الأبيات التى لابى نواس

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا ... بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ

مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى ... وَأَضْغَاثُ رَيْحَانٍ جَنِىٌّ وَيَابِسُ

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِى فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ ... وَإِنِّى عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَحَابِسُ

تُدَارُ عَلَيْهَا الرَّاحُ فِى عَسْجَدِيَّةٍ ... حَبَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ

قَرَارَتُهَا كِسْرَى وَفِى جَنَبَاتِهَا ... مَهًا تَدَّرِيهَا بِالْقِسِىِّ الفَوَارِسُ

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وَالإِيجَازُ ضَرْبَانِ ، إِيجَازُ الْقَصْرِ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِحَذْفٍ ، نَحْوُ : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ ، وَلَفْظُهُ يَسِيرٌ ، وَلَا حَذْفَ فِيهِ

فَلِلرِّيَاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

(فانك كالليل) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة يمدح بها أبا قابوس وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . يقول : إنه لا يفوت الممدوح وان أبعد فى الهرب وسار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده ولأن له فى جميع الآفاق مطيعا لأمره يرد الهارب اليه . وقد انتقد الأصمعى النابغة فقال : أما تشبيه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتى بمالا قسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد فلو قال قائل ان قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغا الى ذلك حيث يقول

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَنْقَاءِ أَوْ كَسُمُوِّهَا لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

(نحو ولكم فى القصاص حياة) مثله قول الله جل شأنه فيما يخاطب به نبيه صلى الله عليه وسلم : خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فجمع مكارم الأخلاق بأسرها لأن قوله خذ العفو فالعفو ضد الجهد أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا . والعرف المعروف والجميل من الأفعال . وأعرض عن الجاهلين لا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على مايسوءك منهم . ومن

وَفَضْلُهُ عَلَى مَا كَانَ عِنْدَهُمْ أَوْجَزَ كَلَامٍ فِى هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ، بِقِلَّةِ حُرُوفِ مَايُنَاظِرُهُ مِنْهُ، وَالنَّصِّ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَمَايُفِيدُهُ تَنْكِيرُ حَيَاةٌ مِنَ التَّعْظِيمِ، لِمَنْعِهِ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ

هذا الضرب من الايجاز قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (١) آية حار فى فصاحتها جميع البلغاء . ومثل هذا فى القرآن كثير . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن (٢) وقول الشريف الرضى

مَالُوا إِلَى شُعَبِ الرِّحَالِ وَأَسْنَدُوا أَيْدِى الطِّعَانِ إِلَى قُلُوبٍ تَخْفِقُ

فانه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبر عن ذلك بقوله : أيدى الطعان (فان معناه كثير) لأن المراد به أن الانسان اذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا الى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان ارتفاع القتل حياة لهم (وفضله الخ) يقول ان قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة يفضل ما كان عند العرب أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل من وجوه أحدها أن عدة حروف ماينا ظره منه وهو فى القصاص حياة عشرة فى التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر وثانيها ما فيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى الى الاقتصاص وثالثها ما يفيده تنكير حياة من التعظيم وذلك لمنعهم عما كانو عليه من قتل جماعة بواحد أو النوعية وهى

---

(١) المعنى لما يئسوا من يوسف وإجابته اياهم اعتزلوا الناس خالصين لا يخالطهم أحد يتناجون فى تدبير أمرهم وما ذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيهم

(٢) تمام الحديث قيل وما ذاك قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء

بِوَاحِدٍ ، أَوِ النَّوْعِيَّةِ الْحَاصِلَةِ لِلْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ بِالِارْتِدَاعِ ، وَاطِّرَادِهِ وَخُلُوِّهِ عَنِ التَّكْرَارِ ، وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ ، وَالْمُطَابَقَةِ ؛ وَإِيجَازُ الْحَذْفِ ، وَالْمَحْذُوفُ إِمَّا جُزْءُ جُمْلَةٍ مُضَافٌ نَحْوُ : وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ، أَوْ مَوْصُوفٌ ، نَحْوُ : أَنَا ابْنُ جَلَا . أَىْ رَجُلِ جَلَا ، أَوْ صِفَةٌ نَحْوُ : وَكَانَ وَرَاءَهُمْ

الحياة الحاصلة للقاتل بانكفافه والمقتول بالكف عنه . ورابعها اطراده بخلاف قولهم فان القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره وخامسها سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم وسادسها استغناؤه عن تقدير محذوف . بخلاف قولهم ، فان تقديره القتل أنفى للقتل من تركه وسابعها أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما أطباق وزاد فى الايضاح وجها آخر وهو جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال فى عليه وهناك وجوه أخر قد تمحلها الناس (وإيجاز الحذف) عطف على إيجاز القصر (نحو واسأل القرية) مثله قوله تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل . أى حبه وقوله عز وجل الحج أشهر معلومات . أى وقت الحج وقول الحماسى

إِذَا لَاقَيْتِ قَوْمِى فَاسْأَلِيهِمْ ... كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرَا

هَلَ اعْفُو عَنْ أُصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ ... إِذَا عَسُرَتْ وَاقْتَطِعُ الصُّدُورَا

أراد أنه يقتطع ما فى الصدور من الضغائن والاحن أى يزيل ذلك باحسانه وكريم خصاله . وهذا باب شائع فى كلام العرب وإن كان أبو الحسن الاخفش لا يرى القياس عليه (نحو أنا ابن جلا) هو بعض بيت للعرجى ولفظه

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِى

فالمحذوف جزء جملة موصوف (أى رجل جلا) قال بعضهم فيه نظر

مِلْكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ، أَىْ صَحِيحَةٍ وَنَحْوِهَا ، بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ أَوْ شَرْطٌ ، كَمَا مَرَّ ، أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ ، إِمَّا لِمُجَرَّدِ الِاخْتِصَارِ نَحْوُ : وَإِذَا قِيلَ

لأن رجل ليس جزء جملة بل فضلة على أنه قيل أن جلا اسم علم فلا حذف حينئذ وهو مستند عيسى بن عمر فى أن فعل عنده وزن يمنع من الصرف فلذا لم ينون جلا وقال سيبويه كأنه قال أنا ابن الذى جلا فعلى هذا الوجه يكون حذف الموصول . ومن حذف الموصوف قول البحترى من أبيات يصف بها ايوان كسرى

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ
وَالْمَنَايَا مَوَاثِلٌ وَأَنُو شِرْ وَانَ يُزْجِى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ
فِى انْضِرَارٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى أَصْـ ـفَرَ يَخْتَالُ فِى صَبِيغَةِ وَرْسِ

فقوله على أصفر أى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال (ونحوها) كسليمة أو صالحة (بدليل ما قبله) وهو قوله تعالى فأردت أن أعيبها فانه يدل على أن الملك كان انما يأخذ الصحيحة . ومن حذف الصفة قول الحماسى

كُلُّ امْرِىءٍ سَتَئِيمُ مِنْـهُ الْعُرْسُ أَوْ مِنْهَا يَئِيمُ (١)

أراد كل امرىء متزوج اذ المعنى لا يصح إلا بهذا « وبعد » فهذا الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ولا يكاد يقع فى الكلام إلا نادرا لمكان استبهامه (كما مر) عند قوله فى باب الانشاء

---

(١) أى أما أن يموت الرجل فتبقى أمرأته أيما أو توت امرأته فيبقى الرجل أيما وفى المثل . كل ذات بعل ستئيم

لهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أَيْ أَعْرِضُوا بِدَلِيلِ مَا بَعْدَهُ، أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ، أَوْ لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذْهَبٍ مُمْكِنٍ، مِثَالُهُمَا: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ نَحْوُ: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أَيْ وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، بِدَلِيلِ مَا بَعْدَهُ، وَإِمَّا جُمْلَةٌ مُسَبَّبَةٌ

وهذه الاربعة يجوز تقدير الشرط بعدها . ومن حذف الشرط قولهم الناس مجزيون باعمالهم ان خيراً فخير وان شرا فشر (بدليل ما بعده) وهو قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ومن هذا الباب قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أى لكان هذا القرآن وقوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أى ألستم ظالمين بدليل قوله تعالى بعد ان الله لا يهدى القوم الظالمين (أو لتذهب نفس السامع كل مذهب) فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا وهو يجوز أن يكون الامر أعظم منه بخلاف ما لو ذكر فانه يتعين وربما يسهل أمره عنده ألا ترى أن المولى اذا قال لعبده والله لئن قمت اليك وسكت تزاحمت عليه من الظنون المعترضة للوعيد مالا يتزاحم لو نص من مؤاخذته على ضرب من العذاب وكذلك اذا قال المتبجح لو رأيتنى شابا وسكت جالت الافكار له بمالم تجل به لو أتى بالجواب (أو غير ذلك) كالمسند اليه والمسند والمفعول كما مر وكالمضاف اليه كقوله تعالى وكل فى فلك يسبحون وكذلك كل ما قطع عن الاضافة معنى لا لفظا . وكالصلة مثل قولهم جاء بعد اللتيا والتى وكجواب القسم مثل قوله تعالى والفجر وليال عشر

عَنْ مَذْكُورٍ، نَحْوُ: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ، أَيْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، أَوْ سَبَبٌ لِمَذْكُورٍ نَحْوُ: فَانْفَجَرَتْ، إِنْ قُدِّرَ فَضَرَبَهُ بِهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ فَإِنْ ضَرَبْتَ بِهَا فَقَدِ انْفَجَرَتْ، أَوْ غَيْرُهُمَا نَحْوُ: فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ

الآية التقدير ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك قوله بعد ألم تر كيف فعل ربك بعاد إلى قوله سوط عذاب وجواب لما كقوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين الآية التقدير كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب ومما يتصل بهذا مايجىء بعد أفعل كقولنا الله أكبر أى من كل شىء وعليه قول البحترى

اللهُ أَعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى ... وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ

وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمِ ... وَأَجَلُّ قَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

(نحو ليحق الحق) ومنه قول أبى الطيب المتنبى

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

أى فسءنا (نحو فانفجرت) الآية فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ومثله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين أى فاختلفوا بدليل قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (ويجوز أن يقدر الخ) فيكون المحذوف جزء جملة هى شرط كقوله تعالى فالله هو الولى أى إن أرادوا وليا بحق والفاء فى مثل قوله فانفجرت تسمى فاء فصيحة وظاهر كلام الزمخشرى أن تسميتها فصيحة انما هى على التقدير الثانى وظاهر كلام السكاكى على العكس وقيل إنها فصيحة على التقديرين والمشهور فى تمثيلها قوله

عَلَى مَا مَرَّ، وَإِمَّا أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ نَحْوُ: أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ، يُوسُفُ، أَيْ إِلَى يُوسُفَ لِأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيَا فَفَعَلُوا فَأَتَاهُ وَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفُ: وَالْحَذْفُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَنْ لَا يُقَامَ شَيْءٌ مُقَامَ الْمَحْذُوفِ كَمَا مَرَّ وَأَنْ يُقَامَ، نَحْوُ: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ، أَيْ فَلَا تَحْزَنْ وَاصْبِرْ؛ وَأَدِلَّتُهُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا أَنَّ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ نَحْوُ: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِمَا نَحْوُ: وَجَاءَ رَبُّكَ، أَيْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا

(على ما مر) فى مبحث الاستئناف من أنه على حذف المبتدأ والخبر فى قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف (نحو أنا أنبئكم الخ) مثله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى المعنى فضربوه بها فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحى الله الموتى وقوله اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ التقدير ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ثم كأن سائلا سأل فماذا قالت فقيل قالت ياأيها الملأ. ومثال هذا النوع من الايجاز لا يكاد يوجد إلا فى كلام الله الذى تقطعت على بلاغته أعناق العتاق السبق وونت عنها خطى الجياد القرح (نحو حرمت عليكم الميتة) فان العقل يدل على الحذف إذ الأحكام إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان والمقصود الأظهر من هذه الاشياء المذكورة فى الآية تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان فدل على تعيين المحذوف (عليهما) أى على الحذف والتعيين (نحو وجاء ربك) ما أحسن ما

الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْعَادَةُ عَلَى التَّعْيِينِ نحوُ: فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِى حُبِّهِ ، لِقَوْلِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، وَفِى مُرَاوَدَتِهِ ، لِقَوْلِهِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَفِى شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهُمَا ، وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِى ، لِأَنَّ الْحُبَّ الْمُفْرِطَ لَا يُلَامُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ فِى الْعَادَةِ ، لِقَهْرِهِ إِيَّاهُ ؛ وَمِنْهَا الشُّرُوعُ فِى الْفِعْلِ نحوُ: بِسْمِ اللهِ ، فَيُقَدَّرُ مَا جُعِلَتِ التَّسْمِيَةُ مَبْدَأً لَهُ ؛ وَمِنْهَا الِاقْتِرَانُ كَقَوْلِهِمْ لِلْمُعْرِسِ : بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ ، أَىْ أَعْرَسْتَ * وَالْإِطْنَابُ إِمَّا بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ ، لِيُرَى الْمَعْنَى فِى صُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتَمَكَّنَ

ارتآه صاحب الكشاف فى هذه الآية الكريمة وما أليقه بالأسلوب البليغ قال إن هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (لا يلام صاحبه عليه) وانما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه (ومنها) أى من أدلة تعيين المحذوف (الاقتران) أى اقتران الكلام بالفعل (بالرفاء والبنين) فاقتران هذا الكلام لاعراس المخاطب دل على أن التقدير بالرفا والبنين أعرست . والرفاء الالتئام والاتفاق تقول رفأت الثوب أرفؤه إذا أصلحت ماوهن منه (ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين) فيكون كعرض الحسناء فى لباسين (أو ليتمكن فى النفس) فان المعنى اذا ألقى مبهما تاقت نفس السامع الى معرفته مبينا فتتوجه الى مايرد بعد ذلك فاذا ألقى كما تشتهى تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم

فِي النَّفْسِ فَضْلَ تَمَكُّنٍ، أَوْ لِتَكْمُلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ، نَحْوُ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، فَإِنَّ اشْرَحْ لِي يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحٍ لِشَيْءٍ مَّا لَهُ، وَصَدْرِي يُفِيدُ تَفْسِيرَهُ، وَمِنْهُ بَابُ نِعْمَ، عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، إِذْ لَوْ أُرِيدَ الِاخْتِصَارُ لَكَفَى نِعْمَ زَيْدٌ، وَوَجْهُ حُسْنِهِ سِوَى مَا ذُكِرَ إِبْرَازُ الْكَلَامِ فِي مَعْرِضِ الِاعْتِدَالِ وَإِيهَامُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ؛ وَمِنْهُ التَّوْشِيعُ، وَهُوَ أَنْ

(أو لتكمل لذة العلم به) فان الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس الى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم اذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم . ومما يواخي ذلك ما في قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام قال صاحب الكشاف السبب في أن العذاب يأتيهم من الغمام أن الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (ومنه) أي من الايضاح بعد الابهام (حسنه) أي حسن باب نعم (في معرض الاعتدال) نظرا الى الاطناب من وجه حيث لم يقل نعم زيد والى الايجاز من وجه حيث حذف المبتدأ الذي هو صدر الاستئناف (وايهام الجمع بين المتنافيين) الايجاز والاطناب والجمع بين المتنافيين من الأمور الغريبة المستطرفة التي يظهر في النفس عند

يُؤْتَى فِي عَجُزِ الْكَلَامِ بِمُثَنًّى مُفَسَّرٍ بِاسْمَيْنِ ثَانِيهِمَا مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ نَحْوُ: يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصْلَتَانِ الْحِرْصُ وَطُولُ الْأَمَلِ وَإِمَّا بِذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنْزِلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ نَحْوُ: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى * وَإِمَّا بِالتَّكْرِيرِ لِنُكْتَةٍ

وجدانها تأثر عجيب (ويشب معه خصلتان) فلو أريد الاختصار لقيل ويشب معه الحرص وطول الأمل لكنه أبهم أولا ثم أوضح لما سبق ويسمى هذا توشيعا لأن التوشيع فى اللغة لف القطن المندوف فكأنه جعل التعبير عن المعنى الواحد بالمثنى المفسر باسمين بمنزلة لف القطن بعد الندف . ومن هذا قول الشاعر

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا ... شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ

فَمَازِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ شَعْرٍ وَظُلْمَةٍ ... وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَوَجْهِ حَبِيبِ

وقول البحترى

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ ... أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودِ

فِي حُلَّتَيْ حِبَرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى ... وَشْيَانِ وَشْيُ رُبًى وَوَشْيُ بُرُودِ

وَسَفَرْنَ فَامْتَلَأَتْ عُيُونٌ رَاقَهَا ... وَرْدَانِ وَرْدُ جَنًى وَوَرْدُ خُدُودِ

نحو (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) (١) ومن هذا الباب

---

(١) أتذكر أن شيخنا الامام رحمه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة

كتأكيد الإنذار فى : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال أفرد جبريل وميكال بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر (كتأكيد الانذار) وكزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كما فى قوله تعالى وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم إنما هذه الدنيا متاع وزيادة التوجع والتحسر كما فى قوله

فيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ ... مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا

وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ ... وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعَا

وقد يكرر ما قد بعد بسبب طول فى الكلام كما فى قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم وقوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقول الشاعر

أن المعنى ليس كما يقول المفسرون من أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر أو غيرها وإنما المعنى أن الله جل شأنه لما أمر بحفظ الصلوات والمثابرة عليها كان للناس أن يتوهموا أن تأدية الصلاة على أى وجه وأية حال كافية عند الله فبين لنا سبحانه أن الصلاة لا تكفى الا إذا كانت وسطى - فضلى - وذلك بأن تكون مستصحبة بالفراغ من شواغل الدنيا والتوجه لله والخشوع له واستحضار عظمته واستشعار هيبته . وعلى ذلك لا تكون مما نحن فيه كما هو ظاهر

وَفِي ثُمَّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ * وَإِمَّا بِالْإِيغَالِ ، فَقِيلَ هُوَ

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيبُهَا

وقول الحماسى

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَاشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً وَنَأْيَ حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ

وَإِنَّ امْرَأً دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمُ

وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعلق كالذى جاء فى سورة الرحمن من قول الله سبحانه فبأى آلاء ربكما تكذبان لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى (وفى ثم دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ) كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك والسر فى ذلك أن أصل ثم الدلالة على تراخى الزمان لكنها قد تجىء لمجرد التدرج فى درج الارتقاء من غير اعتبار التراخى والبعد بين تلك الدرج وان الثانى بعد الأول فى الزمان وذلك اذا تكرر الأول بلفظه نحو والله ثم والله ثم والله (وإما بالايغال) وأصله من قولهم أوغل فى الأمر إذا أبعد الذهاب فيه . سئل الأصمعى من أشعر الناس فقال من ينقضى كلامه قبل انقضاء القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى قيل نحو من . قال ذو الرمة حيث يقول

قِفِ الْعِيسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةَ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ الْمُسَلْسَلِ

فتم كلامه بالرداء ثم قال المسلسل فزاد به شيئا ثم قال

أَظُنُّ الَّذِي يُجْدِي عَلَيْكَ سُؤَالُهَا دُمُوعًا كَتَبْذِيرِ الْجُمَانِ الْمُفَصَّلِ

فتم كلامه بالجمان ثم قال المفصل فزاد شيئا . قيل ونحو من . قال الأعشى حيث يقول

خَتْمُ الْبَيْتِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا ، كَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وَتَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

فتم كلامه بيضرها فلما احتاج الى القافية قال وأوهى قرنه الوعل فزاد معنى قال السائل وكيف صار الوعل مفضلا على كل ماينطح قال لأنه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره (فى قولها) أى قول الخنساء فى مرثية أخيها صخر . فلم ترض أن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا (فى قوله) أى قول امرىء القيس . فانه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج اليها جاء بزيادة حسنة فى قوله لم يثقب لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون (كأن عيون الخ) الجزع الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض يشبه به عيون الوحش قال الأصمعى الظبى والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضها وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلنا كثرت العيون عندنا ومن هذا النوع قول زهير

كَأَنَّ فُتَاةَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ

فان حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الاحمر إلا مالم يحطم وقول امرىء القيس

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ تَقُولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّ بِأَثْأَبِ

وَقِيلَ لَا يَخْتَصُّ بِالشِّعْرِ وَمُثِّلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَإِمَّا بِالتَّذْيِيلِ، وَهُوَ تَعْقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ ضَرْبَانِ: ضَرْبٌ لَمْ يُخْرَجْ مُخْرَجَ الْمَثَلِ نَحْوُ: ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ، عَلَى وَجْهٍ

التشبيه تم عند قوله هزيز الريح وزاد بقوله مر بأثأب لأنه أخبر به عن شدة حفيف الفرس وللريح فى أغصان الأثأب حفيف شديد، والأثأب شجر. وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةَ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ

وكان يقول قاتله الله أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل (ومثل بقوله تعالى الخ) فان قوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لامحالة لكن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب فى الرسل. وكتب بعض الكتاب: نبو الطرف من الوزير دليل على تغير الحال عنده ولاصبر على الجفاء ممن عود الله منه البر وقد استدللت بازالة الوزير إياى عن المحل الذى كان يحلنيه بتطوله على ما سؤت له ظنا بنفسى وما أخاف عتبا لأنى لم أجن ذنبا فان رأى الوزير أن يقومنى لنفسى ويدلنى على ما يراد منى فعل. تم كلامه بقوله يقومنى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسى معنى (وإما بالتذييل) وللتذييل فى الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا وينبغى أن يستعمل فى المواطن الجامعة والمواقف الحافلة لان تلك المواطن تجمع البطىء الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة والجيد الخاطر فاذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن اللقن وصح للكليل البليد (لم يخرج مخرج المثل) لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ما قبله (على وجه) وهو أن يراد وهل يجازى ذلك

وضَرْبٌ أُخْرِجَ مُخْرَجَ المَثَلِ ، نحوُ : وقُلْ جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقاً . وهُوَ أيْضاً إمَّا لِتأْكِيدِ مَنْطُوقٍ، كهذِهِ الآيةِ، وإمَّا لِتأْكِيدِ مَفْهُومٍ ، كقَوْلِهِ :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لاَ تَلُمُّهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

الجزاء قال الزمخشرى وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب . فعلى هذا يكون من الضرب الثانى ومن الاول قول الحماسى

فَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ ... وَعَلاَمَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وقول أبى الطيب

وَمَا حَاجَةُ الأَظْعَانِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى ... إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ

وقوله أيضا

تُمْسِي الأَمَانِيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ ... فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي

وقول ابن نباتة السعدى

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أُؤَمِّلُهُ ... تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلاَ أَمَلِ

قيل نظر فيه إلى قول أبى الطيب وقد أربى عليه فى المدح والادب مع الممدوح حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئاً (نحو وقل جاء الحق الآية) ومن هذا قول الحطيئة

نَزُورُ فَتًى يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ ... وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَكَارِمِ يُحْمَدِ

(كقوله) أى قول النابغة الذبيانى من قصيدة يخاطب بها الملك النعمان

*وَإِمَّا بِالتَّكْمِيلِ، وَيُسَمَّى الِاحْتِرَاسَ أَيْضًا، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ، كَقَوْلِهِ:

ابن المنذر. فأنت ترى أن صدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه. ومعنى البيت ظاهر ومما ينظر اليه قول بعضهم

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً ... أَرَادَ لَهَا أَوْ شَكَّتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا

وهو معنى طرقه الشعراء كثيرا (بما يدفعه) وهذا الدافع قد يكون فى وسط الكلام وقد يكون فى آخره فالأول كقول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي (١)

لما كان المطر قد يفضى بالديار إلى الفساد تحرز عن ذلك بقوله غير مفسدها ولم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة فى قوله

أَلَا يَا اسْلَمِي يَادَارَمَيَّ عَلَى الْبِلَا ... وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها. ومن هذا الضرب قول الرمادى فى وصف فرس

قَامَتْ قَوَائِمُهُ لَنَا بِطَعَامِنَا ... غَضًّا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمِنْدِيلِ

فقوله غضا احتراس عجيب إذ لو لم يذكر لتوهم أنهم ينقلون عليه أزوادهم وقول نافع بن خليفه الغنوى

رِجَالٌ إِذَا لَمْ تَقْبَلِ الْحَقَّ مِنْهُمُ ... وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

---

(١) الديمة المطر يدوم وتهمى تسيل

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

ونحو : أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِمَّا بِالتَّتْمِيمِ

وقول الآخر

لَوْ أَنَّ عِزَّةَ خَاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا

فقوله عند موفق تكميل لطيف ، والثانى كقوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع لهم ولهذا عدى الذل بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعدية بعلى لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم . ومنه قول ابن الرومى فيما كتب به إلى صديق له . أنى وليك الذى لا يزال تنقاد اليك مودته عن غير طمع ولا جزع وإن كنت لذى الرغبة مطلبا ولذى الرهبة مهربا ومثله قول الحماسى

رَهَنْتُ يَدِي بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشَّكُورِ مَزِيدُ

وكذا قول كعب بن سعد الغنوى

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبُ

فانه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن ذلك عن ضعف وخور فأزال ذلك بقوله إذا ما الحلم زين أهله ومعلوم أن الحلم لا يزين أهله إلا عند القدرة عليه . ولما كان كونه حليما فى حال يحسن فيها الحلم يوهم أنه فى تلك الحال ليس مهيبا لما به من البشر وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والوقار نفى ذلك بقوله . مع الحلم فى عين العدو مهيب فهو تكميل آخر . ومن هذا أيضا قول السموأل

وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَا يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِفَضْلَةٍ، لِنُكْتَةٍ كَالْمُبَالَغَةِ، نَحْوُ: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ، فِي وَجْهٍ، أَيْ مَعَ حُبِّهِ *وَإِمَّا بِالِاعْتِرَاضِ، وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مَعْنًى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةٍ سِوَى دَفْعِ الْإِيهَامِ، كَالتَّنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ ... وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتليهم (كالمبالغة) وكالدلالة على تقليل المدة فى قوله تعالى. سبحان الذى أسرى بعبده ليلا. ذكر ليلا والاسراء لا يكون إلا بالليل للدلالة على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل لأن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية (فى وجه أى مع حبه) أى مع اشتهاء الطعام والحاجة اليه. أما إذا جعل الضمير لله أى على حب الله كما قال الفضيل بن عياض فلا يكون مما نحن فيه لأنه لتأدية أصل المراد. وهذا الوجه بعيد كما لايخفى. ومن هذا الباب قول زهير

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمًا ... يَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

فقوله على علاته تتميم جميل. وقول الآخر

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِي ... أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ

قوله على ما ترين من كبرى تتميم أصحاب المحز (سوى دفع الايهام) أى الذى ذكر فى التكميل (كالتنزيه) وكتخصيص أحد المذكورين بزيادة التوكيد فى أمر علق بهما كقوله تعالى. ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك، فقوله أن اشكر لى تفسير

سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ، وَالدُّعَاءِ فِي قَوْلِهِ :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدَاحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تُرْجُمَانِ

وَالتَّنْبِيهِ فِي قَوْلِهِ

وَاعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا

لوصيناوقوله حملته اعتراض بينهما ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصاوتذكيرا لحقها العظيم مفردا وكالمطابقة مع الاستعطاف فى قول أبى الطيب

وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْرَأَيْتِ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتِ فِيهِ جَهَنَّمَا

فقوله ياجنتى اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف . وكبيان السبب لأمر فيه غرابة كما فى قول ابن ميادة

فَلَاهَجْرُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَبْدُو لَنَا فَنُكَارِمُهْ

فنن قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال وفى اليأس راحة نبين سببه (ويجعلون لله البنات الخ) فقوله سبحانه جملة لكونه بتقدير الفعل وقعت فى أثناء الكلام لأن قوله ولهم ما يشتهون معطوف على قوله لله البنات . والنكتة فيه تنزيه الله سبحانه وتقديسه عما ينسبون اليه (فى قوله) أى قول عوف بن محلم الشيبانى يشكو كبره وضعفه . فقوله وباغتها جملة معترضة بين اسم إن وخبرها لقصد الدعاء والواو فى مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ومثل هذا قول أبى الطيب

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

فقوله وحاشاك دعاء حسن فى موضعه (واعلم الخ) فقوله فعلم المرء ينفعه اعتراض بين اعلم ومفعوله والمعنى أن المقدورآت لا محالة وإن وقع فيه تأخير وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر وهذا البيت أنشده أبو على الفارسى

وَمِمَّا جَاءَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ، فَإِنَّ قَوْلَهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ، وَقَالَ قَوْمٌ: قَدْ تَكُونُ النُّكْتَةُ فِيهِ غَيْرَ مَا ذُكِرَ، ثُمَّ جَوَّزَ بَعْضُهُمْ وُقُوعَهُ آخِرَ جُمْلَةٍ لَا تَلِيهَا جُمْلَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِهَا فَيَشْمَلُ التَّذْيِيلَ، وَبَعْضَ صُوَرِ التَّكْمِيلِ، وَبَعْضُهُمْ كَوْنَهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ

ولم يعزه إلى أحد (وهو) أى والاعتراض نفسه الواقع بين الكلامين أكثر من جملة (أيضا) كما أن الكلام الذى وقع الاعتراض فى أثنائه أكثر من جملة (بيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله) لأن الغرض الاصلى من الأتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض. فالنكتة فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا به والتنفير عما نهوا عنه (وقال قوم الخ) يقول غفر الله له إن قوما ذهبوا إلى أن الاعتراض لا تقيد فائدته بما ذكر بل يجوز أن تكون دفع توهم ما يخالف المقصود وهؤلاء افترقوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعا فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بل يجوز أن يقع فى آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من التكميل مالا محل له من الاعراب جملة كان أو أكثر من جملة. وفرقة تشترط فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا فى أحد الموقعين ومن التكميل ما كان واقعا فى أحدهما ولا محل له من الاعراب جملة كان أو أقل أو

فَيَشْمَلُ بَعْضَ صُوَرِ التَّتْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ * وَإِمَّا بِغَيْرِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَوِ اخْتُصِرَ لَمْ يُذْكَرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ يُثْبِتُهُمْ ، وَحَسَّنَ ذِكْرَهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ تَرْغِيباً فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَلَامٍ آخَرَ مُسَاوٍ لَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ * يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُودَدٌ * وَقَوْلِهِ

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

أكثر (وإما بغير ذلك) معطوف على قوله إما بالايضاح بعد الابهام (كقوله) أى قول أبى تمام من أبيات يرثى بها أبا الحسين محمد بن الهيثم . وتمام البيت

* وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيِّ عَذْرَاءَ نَاهِدِ *

فأنت ترى أن هذا المصراع إيجاز بالنسبة إلى بيت المعذل بن غيلان

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

لمساواته له فى أصل المعنى وقلة حروفه والبيت إطناب بالنسبة اليه ، وكذا بيت الشماخ

إِذَا مَارَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

فانه ايجاز بالنسبة لقول بشر بن أبى خازم

إِذَا مَاالْمَكْرُمَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَصَّرَ مُبْتَغُوهَا عَنْ مَدَاهَا

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ، وَقَوْلُ الْحَمَاسِيِّ

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

الفنُّ الثانى عِلمُ البيان

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ فِى

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُشْرِينَ عَنْهَا سَمَا أَوْسٌ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

وشعر بشر إطناب بالنسبة اليه « قال » ويقرب من هذا الباب قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقول السموأل

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

(وهو علم الخ) قد مهد السكاكى لهذا النوع من علوم البلاغة بمقدمات هى بالعلوم النظرية أليق وللبليغ بغيرها عنها غنية ولكن لا محيص أيها القارىء عن شرحها بما ينظر للأسلوب العربى فنقول . البيان علم يعرف به ابراز المعنى الواحد فى صور مختلفة وتراكيب متفاوتة بالزيادة والنقصان فى وضوح الدلالة عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه ثم مما يكاد يكون معروفا ان ابراز المعنى الواحد فى صور مختلفة غير ممكن بالدلالة اللغوية . وهى التى يسمونها الدلالة الوضعية . لأن من المحال أن يتطرق الكمال والنقصان اليها فان السامع للفظ إما أن يكون عالما بكونه موضوعا لمسماه أو لا يكون فان كان عالما به عرف مفهومه بتمامه وان لم يكن عالما به لم يعرف منه شيئا ألبتة . فالألفاظ فى دلالتها اللغوية إما أن تفيد مسمياتها بالكمال أو لا تفيد شيئا منها فأما أن تفيد افادة ناقصة فذلك غير معقول مثاله

وُضُوحِ الدِّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَدِلَالَةُ اللَّفْظِ إِمَّا عَلَى تَمَامِ مَا وُضِعَ لَهُ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ، أَوْ عَلَى خَارِجٍ عَنْهُ، وَتُسَمَّى الْأُولَى وَضْعِيَّةً، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخِيرَتَيْنِ

اذا أردت تشبيه زيد بالأسد فى الشجاعة فان أفدت هذا المعنى بالدلالة اللغوية وقلت زيد يشبه الأسد فى الشجاعة فقد أفدت مقصودك بألفاظ دالة عليه دلالة لغوية وهذه الأفادة تمتنع من تطرق الزيادة والنقصان اليها لأنك اذا نقصت فى هذه الألفاظ شيئا فقد نقصت من المعنى لا محالة وان زدت فيها فقد زدت فى المعنى لا محالة وان أقمت مقام كل لفظ منها ما يرادفه امتنع ان تزداد تلك الافادة قوة بسبب ذلك لأن السامع إذا عرف كونها موضوعة بازاء مفهومات الألفاظ الأول كان فهمه منها كفهمه من تلك الألفاظ الأول وان لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى . وأما الدلالة العقلية فلأجل أن حاصلها عائد الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه من اللوازم ثم اللوازم كثيرة وهى تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة لاجرم صح ابراز المعنى الواحد فى صور كثيرة وصح فى تلك الصور أن يكون بعضها أكمل من بعض فى افادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أنقص وأضعف . . .

اذا عرفت هذا فنقول : دلالة اللفظ على المعنى اما أن تكون وضعية أو عقلية فالوضعية كدلالة الألفاظ على المعانى التى هى موضوعة بازائها وذلك كدلالة السماء والأرض والجدار والحائط على مسمياتها ولا شك فى كونها وضعية وإلا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع وأما العقلية فاما على ما يكون داخلا فى مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذى هو جزء مفهوم البيت ولا شك فى كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بازاء حقيقة مركبة ولا يكون متناولا لأجزائها وإما على ما يكون خارجا عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط فانه لما امتنع انفكاك سقف عن الحائط عادة كان اللفظ المفيد

عَقْلِيَّةً ، وَتَخْتَصُّ الأُولَى بِالْمُطَابَقَةِ ، والثانيةُ بالتضمُّنِ ، وَالثَّالِثَةُ بِالالْتِزَامِ وَشَرْطُهُ اللُّزُومُ الذِّهْنِيُّ ، وَلَوْ لِاعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِ بِعُرْفٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْإِيرَادُ الْمَذْكُورُ لَا يَتَأَتَّى بِالْوَضْعِيَّةِ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِ الْأَلْفَاظِ لَمْ يَكُنْ بعضُها أوضحَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كُلٌّ وَاحِدٍ دَالًّا عَلَيْهِ وَيَتَأَتَّى بِالْعَقْلِيَّةِ ، لِجَوَازِ أَنْ تَخْتَلِفَ مَرَاتِبُ اللُّزُومِ فِي الْوُضُوحِ ، ثُمَّ اللَّفْظُ الْمُرَادُ بِهِ لَازِمُ مَا وُضِعَ لَهُ إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِرَادَتِهِ

لحقيقة السقف مفيدا للحائط بواسطة دلالة الأول فتكون هذه الدلالة عقلية والقوم قد اصطلحوا على تسمية الأولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التضمن والثالثة بدلالة الالتزام ، قال المصنف : وشرط الالتزام اللزوم الذهنى بين الموضوع له والخارج عنه يعنى أن يكون حصول ما وضع اللفظ له فى الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون نسبة الخارج اليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجة ولا يشترط فى هذا اللزوم أن يكون مما يثبته العقل بل يكفى أن يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب إما لعرف عام أو لغيره لامكان الانتقال حينئذ من المفهوم الاصلى الى الآخر قال : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز وإلا فكناية . . . وهذا مبنى على ما سيجىء أول باب الكناية من ان الانتقال فى المجاز والكناية كليهما إنما هو من الملزوم الى اللازم وأن ما ذكره السكاكى من أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ليس بصحيح اذ لادلالة للازم من حيث أنه لازم على الملزوم

فَمَجَازٌ، وَإِلاَّ فَكِنَايَةٌ، وَقُدِّمَ عَلَيْهَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزْءِ مَعْنَاهَا، ثُمَّ مِنْهُ مَايُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ، فتعيَّنَ التعرُّضُ لَهُ، فَانْحَصَرَ فِي الثَّلَاثَةِ.

﴿التشبيهُ﴾

التَّشْبِيهُ الدِّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَعْنًى، وَالمُرَادُ هَهُنَا

والالتزام انما هو الدلالة على لازم المسمى لاعلى ملزومه. قال: وقدم المجاز على الكناية لان معناه كجزء معناها أى لان المراد فى المجاز هو اللازم فقط لقيام القرينة على عدم ارادة الملزوم وفى الكناية يجوز أن يراد اللازم والملزوم جميعا. قال: ثم من المجاز مايبنى على التشبيه. وهو الاستعارة. فتعين التعرض له فانحصر المقصود من علم البيان فى الثلاثة. التشبيه والمجاز والكناية. هذا ما أمكن أن نثبته فى هذا المقام وهو بعد موضع نظر (١) (التشبيه) اعلم أن التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وان تعقيب المعانى به لاسيما قسم التمثيل منه يكسيها أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من أقدارها ويشب من نارها ويضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها ويستثير لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا ويقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فان كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل فى النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للالف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح وأقضى له بغر المواهب والمنائح وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب

---

(١) وذلك لأمور منها أنه ليس يصحيح قولهم إن الاختلاف بالوضوح والخفاء غير ممكن فى الدلالة الوضعية ولقد شنع شيخنا الامام حفظه الله على هذا القول بما يؤيده الحس وينصره العقل وليس فى وسعنا اثبات ذلك الآن وربما أثبتناه فى مكان آخر ان شاء الله، وأمور أخرى نبه عليها القوم فيما كتبوا فانظرها ثمت ان شئت.

وأجدر. وان كان ذما كان مسه أوجع وميسمه ألذع ووقعه أشد وحده أحد وان كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر. وان كان افتخارا كان شأوه أبعد وشرفه أجد ولسانه ألد . وان كان اعتذاراً كان الى القبول أقرب وللقلوب أخلب وللسخائم أسل ولغرب الغضب أفل وفى عقد العقود أنفث وعلى حسن الرجوع أبعث . وان كان وعظا كان أشفى للصدر وأدعى الى الفكر وأبلغ فى التنبيه والزجر وأجدر بأن يجلى الغباية ويبصر الغاية ويبرىء العليل ويشفى الغليل . وهكذا الحكم اذا استقريت فنون القول وضروبه وتتبعت أبوابه وشعوبه. وان أردت أن تعرف ذلك فانظر الى قول البحترى

دَانٍ عَلَى أَيْدِى العُفَاةِ وَشَاسِعٌ ... عَنْ كُلِّ نِدٍّ فِى النَّدَى وَضَرِيبِ
كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِى العُلُوِّ وَضَوْءُهُ ... لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

أو قول ابن لنكك :

إِذَا أَخُو الْحُسْنِ أَضْحَى فِعْلُهُ سَمِجًا ... رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّوَرِ
وَهَبْهُ كَالشَّمْسِ فِى حُسْنٍ أَلَمْ تَرَنَا ... نَفِرُّ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرَرِ

أو قول ابن الرومى :

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخِلَّاءِ سَمْحًا ... وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ الْعَطَاءِ
فَغَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْـ ... ـنِ وَيَأْبَى الْإِثْمَارَ كُلَّ الإِبَاءِ

أو قول أبى تمام :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

وقوله أيضا :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِى الْحَىِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

مَالَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَارَةِ التحْقِيقِيَّةِ وَالاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ

فإنى رَأَيْتُ الشَمْسَ زِدتَ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وفكر فى حالكَ وحال المعنى معك وأنت فى البيت الأول لم تنته الى الثانى ثم قسها على الحال وقد وقعت عليه وتأملت طرفيه فانك تعلم بعد ما بين حالتيك وشدة تفاوتهما فى تمكن المعنى لديك وتحببه إليك ونبله فى نفسك وتوفيره لأنسك وتحكم لى بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت وكذلك فتعهد الفرق بين أن تقول أرى قوما لهم بهاء ومنظر وليس هناك مخبر وتقطع الكلام وبين أن تتبعه قول ابن خلكان

فِى شَجَرِ السَرْوِ مِنهُمْ مَثَلٌ لَهُ رُوَاءٌ وَمَا لَهُ ثَمَرُ

وانظر الى المعنى فى الحالة الثانية كيف يورق شجره ويثمر ويفتر ثغره ويبسم وكيف تشتار الأرى من مذاقه كما ترى الحسن فى شارته هذا ولذلك أسباب وعلل فمنها ما يحصل للنفس من الانس باخراجها من خفى إلى جلى كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة أو باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كما قيل : ما الحبيب الا للحبيب الاول . أو مما لم تعلمه إلى ما هى به أعلم كالانتقال من المعقول الى المحسوس فانك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ حتى لاتدع فى النفوس منزعا نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر يوم كأقصر ما يتصور . فلا يجد السامع له من الانس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهيم (١) القطا وقول ابن المعتز

بُدِّلْتُ مِنْ يَوْمِ كَظِلِّ حَصَاةِ لَيْلاً كَظِلِّ الرُّمْحِ غَيْرَ مُوَاتِ

وقول الآخر

ظَلِلْنَا عِنْدَ بَابِ أَبِى نَعِيمٍ بِيَوْمٍ مِثْلِ سَالِفَةِ الذُّبَابِ (٢)

(١) جمع ابهام

(٢) هى ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قلت الترقوة

وكذا تقول فلان إذا هم بالشيء لم يزل ذلك عن ذكره وقلبه وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه ولم يشغله عنه شيء ثم لا ترى فى نفسك له هزة ولا تصادف لما تسمعه أريحية حتى إذا قلت

* إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ * (١)

امتلأت نفسك سرورا وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك . ومن الدليل على أن للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنه لو كان الرجل مثلا على طرف نهر فى وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل من سعيه على شيء فأدخل يده فى الماء وقال انظر هل حصل فى كفى من الماء شيء . فكذلك أنت فى أمرك . كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول المجرد . ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة نحو أن يعطيك من الزند بايرائه شبه الجواد والذكى والنجح فى الأمور وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى ومن القمر الكمال بعد النقصان كما قال أبو تمام (٢)

لَهَفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِما ... لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَصِيرَ شَمَائِلَا

لَغَدَا سُكُونُهُمَا حِجًى وَصِبَاهُمَا ... حِلْمًا وَتِلْكَ الأَرْيَحِيَّةُ نَائِلَا

إِنَّ الْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ ... أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلَا

والنقصان بعد الكمال كقول أبى العلاء المعرى

---

(١) الشطر لسعد بن ناشب وتمامه

وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

(٢) يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد

وَالتجْرِيد، فَدَخَلَ فِيهِ نحوُ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَسَدٌ، وَقَوْلِه تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ

وَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعَيْشَ فَابغِ تَوَسُّطًا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ

تُوَقَّى الْبُدُورُ النَّقْصَ وَهْىَ أَهِلَّةٌ وَيُدْرِكُهَا النُّقْصَانُ وَهْى كَوَامِلُ

وتتفرع من حالتى كماله ونقصه فروع لطيفة فمن ذلك قول ابن بابك

وَأَعَرْتَ شَطْرَ الْمُلْكِ ثَوْبَ كَمَالِهِ وَالْبَدْرُ فِى شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَكْمُلُ

قاله فى الاستاذ أبى على وقد استوزره فخر الدولة بعد وفاة الصاحب وأبا العباس الضبى وخلع عليهما وقول أبو بكر الخوارزمى

أَرَاكَ إِذَا أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا مُقِيماً وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا

فَمَا أَنْتَ إِلاَّ الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغَبَّ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على الوجه الذى يحب فان الاغباب أن يتخلل وقتى الحضور وقت يخلو منه وانما يصلح لأن يراد أن القمر اذا نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر فى بعض الليالى دون بعض وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار« وبعد » فهذا الضرب من البيان على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ فى الابداع والاحسان والاتساع فى طرق البيان وان يضع الكلام بعيد المرام قريبا من الافهام ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يشبه الجواد بالبحر والشجاع بالأسد والحسن بالشمس وما ماثل ذلك مما اشتهر أمره وجرى لذلك مجرى الحقيقة وانما هو يدق ويلطف حتى يأتيك بما يخلب القلوب ويرقص الهام وحتى يخرج مثله عن طوق البشر جميعا (التجريد) سيمر بك فى البديع (فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد)

وَالنظَرُ هٰهُنَا فِي أَرْكَانِهِ، وَهِيَ طَرَفَاهُ ووجهُهُ وأداتُهُ، وَفِي الغرَضِ منهُ وَفِي أَقْسَامِهِ : طَرَفَاهُ إِمَّا حِسِّيَّانِ، كَالْخَدِّ وَالْوَرْدِ، والصَّوْتِ الضَعِيفِ وَالهَمْسِ، والنَّكْهَةِ والعَنْبَرِ، والرِّيقِ والخَمْرِ، وَالْجِلْدِ النَاعِمِ وَالْحَرِيرِ أَوْ عَقْلِيَّانِ، كالعِلْمِ وَالْحَيَاةِ، أو مُخْتَلِفَانِ، كالْمَنِيَّةِ والسَّبُعِ، والعِطْرِ وخُلُقٍ كريمٍ، وَالمُرَادُ بِالحِسِّيِّ المُدْرَكُ هُوَ أَوْ مَادَّتُهُ بِاحْدَى الحَوَاسِّ الخَمِس

وسيأتى آخر التشبيه تحقيق ذلك ان شاء الله (كالخد والورد) والقامة والرمح والقد والغصن والفيل والجبل، يعنى حيث يشبه الأول بالثانى فى جميع ذلك وقس على هذا ما يأتى (والهمس) وهو الصوت الذى أخفى حتى كأنه لا يخرج عن فضاء الفم (والنكهة) هى ريح الفم (كالمنية والسبع) فالمشبه وهو المنية عقلى والمشبه به وهو السبع حسى (والعطر وخلق كريم) فالمشبه وهو العطر محسوس بالشم والمشبه به وهو الخلق عقلى قال الرازى اعلم أن تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما واذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا وللأصل فرعا وهو غير جائز ولذلك لو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور والمسك بالطيب فقال الشمس كالحجة فى الظهور والمسك كخلق فلان فى الطيب كان سخيفا من القول أما ما جاء فى الكلام البليغ من هذا الجنس فوجهه ان يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على المبالغة وذلك مثل قول البحترى

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

الظَّاهِرَةِ ، فدَخَلَ فيهِ الخيَالِيُّ ، كما فِي قَوْلِهِ :

وَكأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيـــق إذَا تصوَّبَ أوْتَصَعَّدْ

أعلامُ ياقُوتٍ نُشِرْ نَ على رِماحٍ من زَبَرْجَدْ

وَبالْعَقْلِيِّ ماعدَا ذَلِكَ ، فدخلَ فيهِ الوَهْمِيُّ ، أَيْ ماهُوَ غَيْرُ مُدْرَكٍ بهاولو أُدْرِكَ لكانَ مُدْرَكاً بِهَا ، كما فِي قَوْلِهِ *وَمَسْنُونَهُ زُرْقٌ كأنياب أَغْوَالِ*

كما سيأتى قريبا (الخيالى) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحس لكن هيئته التركيبية لم توجد . والتشبيه متى كان كذلك كان مصبوغا بالحسن مكسيا روع الاعجاب (وكأن الخ) محمر الشقيق يراد به شقائق النعمان وهو ورد أحمر فى وسطه سواد وانما أضيف الى النعمان لأنه حمى أرضا كثر فيها ذلك وتصوب مال إلى أسفل وتصعد مال إلى أعلى ومثله قول بعضهم فى النيلوفر (١)

كُلُّنَا بَاسِطُ الْيَدِ نَحْوَ نِيلُوفَرٍ نَدى

كَدَبَابِيسِ عَسْجَدِ قُضْبُهَا مِنْ زَبَرْجَدِ

وقول أبى الغنائم الحمصى

خَودٌ كَأَنَّ بَنَانَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمُزَرَّدْ

سَمَكٌ مِنَ الْبِلُّورْ فِي شَبَكٍ تَكَوَّنَ مِنْ زَبَرْجَدْ

(كما فى قوله ومسنونة) وعليه قوله تعالى. طلعها كأنه رؤس الشياطين وصدر البيت

* أيَقْتُلُنى وَالمشْرَفِيُّ مُضَاجِعِى *

---

(١) هو البشنين نبت معروف

وما يُدْرَكُ بالوُجْدَانِ كاللَّذَّةِ والْأَلَم : وَوَجْهُ ما يَشْتَرِكانِ فيهِ تحقيقاً أو تَخْيِيلاً، وَالْمُرَادُ بالتخْييلِ نحوُ مافى قَوْلِهِ

وَكأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وهو لامرىء القيس من القصيدة التى مطلعها

* أَلاَ عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي *

والمشرفى نسبة إلى مشارف الشام وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية والمسنونة المحددة المصقولة يريد السهام (نحو ما فى قوله وكأن) نحوه كل مالا يمكن وجوده فى المشبه به الا على تأويل ومن هذا قول أبى طالب الرقى

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالزَّمَانُ كأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد فيقال اسود النهار فى عينى وأظلمت الدنيا على جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبه به ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفا وإتماما للصفة وذلك أن الغزل يدعى القسوة على من لم يعرف العشق والقلب القاسى يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده أصلا فى الكدرة والسواد فقاس عليه ومنه قول ابن بابك

وَأَرْضٍ كأَخْلاَقِ الْكَرِيمِ قَطَعْتُهَا وقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السِمَاكَ فأَبْصَرَا

لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك توهمه حقيقة فقابل بين سعة الأرض التى هى سعة حقيقية وأخلاق الكريم وكذا قول التنوخى فى قطعة وهى قوله

أَمَا تَرَى البردَ قَدْوَافَتْ عَسَاكِرُهُ وَعَسْكَرَ الحرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا

فَانَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الحاصِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْيَاءَ مُشْرِقَةٍ بيضٍ فى جَوَانبِ شَىْءٍ مُظْلِمٍ أَسْوَدَ ، فَهِىَ غيرُ مَوْجُودَةٍ فِى المُشبَّهِ بِهِ الاَّ عَلَى طَرِيقِ التَخْيِيلِ ، وَذَلِكَ أنَّهُ لَمَّا كَانَتِ البِدْعَةُ وكلُّ مَا هُوَ جَهْلٌ تَجعَلُ صاحِبَهَا كَمَنْ يَمْشِى فِى الظُّلْمَةِ فلاَ يهتَدِى للطَّرِيقِ وَلاَ

فَالْأَرْضُ تَحْتَ ضَرِيبِ الثَّلْجِ تَحْسَبُهَا ... قَدْ أُلْبِسَتْ حَبَكاً أَوْ غُشِّيَتْ وَرِقَا

فَانْهَضْ بِنَارٍ إِلى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا ... فِى العَيْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا

جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلاَ ... بَرْدًا فَصِرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشِقَا

المقصود فانهض بنار الى فحم فانه لما كان يقال فى الحق إنه منير واضح لائح فتستعار له أوصاف الاجسام المنيرة وفى الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين لهما إنارة واظلام وابيضاض واسوداد فشبه النار والفحم بهما ومما حسن من هذا الباب ما كتب به الصاحب إلى القاضى أبى الحسن وقد أهدى له الصاحب عطر الفطر

يَا أَيُّهَا القَاضِى الَّذِى نَفْسِى لَهُ ... مَعْ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَهْ

أَهْدَيْتُ عِطْراً مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ ... فَكَأَنَّمَا أُهْدِى لَهُ أَخْلاَقَهْ

فالعادة أن يشبه الثناء بالعطر وقد عكس كما ترى وذلك على ادعاء أن ثناءه أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وأنه قد صار أصلا حتى اذا قيس نوع من العطر عليه فقد بولغ فى صفته بالطيب وجعل له فى الشرف والفضل على جنسه أوفر نصيب ومما حقه ان يعد فى هذا الباب قول القائل

كَأَنَّ انْتِضَاءَ البَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ ... نَجَاءٌ مِنَ الْبَأْسَاءِ بَعْدَ وُقُوعِ

يَأْمَنُ أَنْ يَنالَ مَكْرُوهاً شُبِّهَتِ البِدْعَةُ بِهَا ، ولَزِمَ بِطَرِيقِ العَكْسِ أن تُشْبَّهَ السُّنَّةُ وكلُّ ما هُوَ عِلْمٌ بالنُّورِ ، وَشَاعَ ذلك حَتَّى تُخَيِّلَ أَنَّ الثَّانِيَ مِمَّا لَهُ بَيَاضٌ وإشراقٌ ، نَحْوُ: أَتَيتُكُمْ بِالحَنِيفِيَّةِ البَيْضَاءِ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِكَ: شَاهَدْتُ سَوادَ الكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ ، فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَينَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَينَ الِابْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذى ينحسر عنه الغمام والشبه بين البأساء والغمام والظلماء من طريق العقل لا من طريق الحس ذكر هذا الامام عبد القاهر ، هذا واليك ما قبل البيت

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٍ كالثَّقِيلِ تَقْذَى بِهِ الْعَيْنُ وَتَأْبَى حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ

وبعده

مُشْرِقَاتٌ كَأَنَّهُنَّ حِجَاجٌ تَقْطَعُ الْخَصْمَ وَالظَّلَامُ انْقِطَاعُ
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ خِيمَةُ وَشْيٍ وَكَأَنَّ الْجَوْزَاءَ فِيهَا شَرَاعُ

والأبيات للقاضى أبى القاسم التنوخى شيخ له القدح المعلى فى الأدب ومن جيد شعره — وهو مما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أثبتناه —

وَلَيْلَةٍ مُشْتَاقٍ كَأَنَّ نُجُومَهَا قَدِ اعْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى وَهْىَ نُوَّمُ
كَأَنَّ عُيونَ السَّاهِرِينَ لطُولِهَا إِذَا شَخَصَتْ لِلْأَنْجُمُ الزُّهْرِ أَنْجُمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاحِكٌ يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

بِبَيَاضِ الشَّيْبِ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ، أَوْ بِالْأَنْوَارِ مُؤْتَلِقَةً بَيْنَ النَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخُضْرَةِ، فَعُلِمَ فَسَادُ جَعْلِهِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ كَوْنَ الْقَلِيلِ مُصْلِحاً وَالْكَثِيرِ مُفْسِداً، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ

(أو بالأنوار) جمع نور بفتح النون وهو الزهر (مؤتلقة) لامعة «وبعد» فقد علمت من كلام المصنف أن التأويل فى البيت هو تخييل ما ليس بمتلون متلونا. وإن تأولت فى البيت أنه أراد معنى قولهم إن سواد الظلام يزيد النجوم حسنا وبهاء كان له مذهب وذلك أنه لما كان وقوف العاقل على بطلان الباطل وعوار البدعة يزيد الحق نبلا فى نفسه وحسنا فى مرآة عقله جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك إلا أنه على ذلك لا يخرج من أن يكون خارجا عن الظاهر أن يمثل المعقول فى ذلك بالمحسوس كما فعل البحترى فى قوله

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْنٍ جِوَارُهَا ... خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيَّبِ (١)

وَحُسْنُ دَرَارِيِّ النُّجُومِ بِأَنْ تُرَى ... طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ

(فعلم الخ) قد علمت أن وجه الشبه هو مايشترك فيه الطرفان وحينئذ يكون معنى قولهم النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ان الكلام لا يستقيم ولا ينتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الاعراب والترتيب الخاص كما لا يجدى الطعام ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه ما لم يصلح بالملح أما ماتخيله بعضهم من أن معناه أن القليل من النحو مغن والكثير مفسد كما يفسد الملح الطعام إذا كثر فيه فتخريف وقول هراء وذلك أنه لا تتصور الزيادة والنقصان

---

(١) الأصفار جمع صفر بمعنى خال

القِلَّةَ وَالْكَثْرَةَ، بِخِلَافِ الْمِلْحِ . وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ حَقِيقَتِهِمَا، كَمَا

فى جريان أحكام النحو فى الكلام فقولنا كان زيد ذاهباً لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر وهذا إن وجد فقد حصل النحو وتمتنع الزيادة عليه وان لم يحصل كان الكلام فاسدا لا يفيد السامع فائدة بل يضره لوقوعه فى عمياء وهجوم الوحشة عليه فقول أبى بكر الخوارزمى

* وَالْبُغْضُ عِنْدِى كَثْرَةُ الْإِعْرَابِ *

كلام لا تحصل منه على طائل لما علمت . ولعلهم يريدون بكثرة النحو استعمال الوجوه الغريبة والأقوال الضعيفة ونحو ذلك مما يفسد الكلام. هذا ومما هو فاسد لعدم اشتراك الطرفين فى وجه الشبه قول ابن شرف القيروانى

غَيْرِى جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقَبُ فِيكُمُ فَكَأَنَّنِى سَبَّابَةُ الْمُتَنَدِّمِ

حكى أنه لما أنشده ابن رشيق وقال له هل سمعت هذا المعنى قال ابن رشيق سمعته وأخذته وأفسدته أما الأخذ فمن النابغة الذبيانى حيث يقول

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ[1] وَهْوَ طَائِعُ

لَكَلَّفْتَنِى ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِى الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ[2]

وأما الافساد فلأن سبابة المتندم أول شىء يتألم منه فلا يكون المعاقب غير الجانى وهذا بخلاف بيت النابغة فان المكوى من الابل يألم وما به عر ألبتة وصاحب العر لا يألم جمله (وهو إما غير خارج الخ) هذا تقسيم آخر لوجه الشبه وأصله للسكاكى حذاه المصنف فيه حذو القذة بالقذة ويعجبنى قول الشيخ التفتازانى فى شرحه المطول إن امثال هذه التقسيمات

---

(١) الأمة الدين (٢) العر الجرب

فى تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بِآخَرَ فى نَوْعِهما أَوْ جِنْسِهِمَا، أَوْخَارِجٌ صِفَةٌ، إِمَّا حَقِيقِيَّةٌ حِسِّيَّةٌ، كَالْكَيْفِيَّاتِ الْجِسْمِيَّةِ، مِمَّا يُدْرَكُ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ وَالْمَقَادِيرِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا يَتَّصِلُ بِها، أَوْ بِالسَّمْعِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ

التى لا تتفرع على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى وكأن هذا ابتهاج من السكاكى باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فلله در الامام عبد القاهر واحاطته بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء فانه لم يزد فى هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها هذا والبلغاء قاطبة برآء من التشبيه فى مفهوم داخل فى الحقيقة وليس وجه الشبه عندهم إلا المعانى القائمة بالطرفين وليس الجنس والنوع عندهم إلا الأخص والأعم فأمثال هذا التقسيم من تفلسف السكاكى والبهتان العظيم (حقيقية) أى موجودة فى الطرفين لا باقياس إلى شيء (الالوان) كتشبيه الخد بالورد والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار (والاشكال) نحو أن يشبه الشيء اذا استدار بالكرة فى وجه وبالحلقة فى وجه آخر (والمقادير) كتشبيه العظيم الجثة بالجبل والفيل وتشبيه الناقة بالقصر (والحركات) كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسهم السديد ومن تأخذه الاريحية فيهتز بالغصن تحت البارح (وما يتصل بها) كالحسن والقبح والضحك والبكاء وغيرذلك (الاصوات) كتشبيه صوت الجهورى بالرعد وتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج وتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازى كما قال

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا كُلَّ سُحْرَةٍ ... صِيَاحَ الْبَوَازِى مِنْ صَرِيفِ اللَّوَائِكِ (١)

---

(١) السحرة السحر واللوائك جمع لائكة من اللوك وهو المضغ

والضَّعِيفَةِ، والَّتِي بَيْنَ بَيْنَ، أَوْ بالذَّوْقِ مِنَ الطُّعُومِ، أَوْ بالشَّمِّ مِنَ الرَّوَائِحِ أَوْ باللَّمْسِ مِنَ الْحَرَارَاةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ وَالْخُشُونَةِ وَالمَلَاسَةِ وَاللِّينِ وَالصَّلَابَةِ وَالْخِفَّةِ والثِّقَلِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا، أَوْ عَقْلِيَّةٌ كَالْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْغَضَبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الغَرَائِزِ، وإِمَّا إضافيةٌ كَإِزَالَةِ الْحِجَابِ فِي تَشْبِيهِ الْحُجَّةِ بِالشَّمْسِ، وَأَيضاً

(الطعوم) كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر (الروائح) كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور (من الحرارة الخ) كتشبيه القيظ بفيح جهنم واللين الناعم بالخز والخشن بالمسح والخفيف بالريش والبارد بالثلج وهكذا (وما يتصل بها) كالبلة والجفاف واللزوجة والهشاشة واللطافة والكثافة وغير ذلك (أو عقلية) هو معطوف على حسية (النفسانية) أى المختصة بذوات الانفس الناطقة (من الذكاء) كتشبيه الذكى بإياس (والعلم) كتشبيه العالم بالخليل (والغضب) كتشبيه الغضوب بالمغربى (والحلم) كتشبيه الحليم بمعاوية أو الاحنف أو معن بن زائدة (وسائر الغرائز) كالكرم تقول فلان كأنه كعب بن مامة أو هرم بن سنان أو حاتم طيء والشجاعة نحو فلان كأنه عنترة والبخل تقول هذا كأنه صبى أو كلب من كلاب بنى زياد والجبن نحو هذا كأنه صافر (إضافية) أى نسبية يتوقف تعقلها على تعقل الغير (كازالة الحجاب الخ) فان الازاله أمر اضافى يتعقل فيما بين المزيل والمزال (وأيضا) هذا تقسيم آخر، يقول: وجه الشبه اما واحد أو غير واحد والواحد اما حسى أو عقلى وغير الواحد اما بمنزلة الواحد لكونه مركبا بأن يكون هيئة منتزعة انتزعها العقل من عدة أمور. أو متعدد غير مركب بأن ينظر الى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين فى

إمَّا واحِدٌ ، وَإمَّا بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ ، لِكَوْنِهِ مُرَكَّباً مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ ، وَإمَّا مُتَعَدِّدٌ كَذَلِكَ ، أَوْ مُخْتَلِفٌ ، والحِسِّيُّ طَرَفَاهُ حِسِّيَّانِ لَا غَيْرُ ، لِامْتِنَاعِ أَنْ يُدْرَكَ بِالحِسِّ مِنْ غَيْرِ الحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَالْعَقْلِيُّ أَعَمُّ ، لِجَوَازِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ التَّشْبِيهُ بِالْوَجْهِ العَقْلِيِّ أَعَمُّ ، فَإنْ قِيلَ : هُوَ مُشْتَرَكٌ فِيهِ ، فَهُوَ كُلِّيٌّ ، والحِسِّيُّ لَيْسَ

كل منها ليكون كل منها وجه شبه . والذى بمنزلة الواحد اما حسى أو عقلى والمتعدد اما حسى أو عقلى أو مختلف (لاغير) فلا يجوز أن يكونا معا عقليين أو أحدهما (لامتناع الخ) فان وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين موجود فيهما وكل ما يؤخذ من العقلى ويوجد فيه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس لأن المدرك بالحس لا يكون الا جسما أو قائما بالجسم (أعم) يعنى يجوز أن يكون طرفاه عقليين وأن يكونا حسيين وأن يكون أحدهما حسيا والآخر عقليا (لجواز الخ) بل كل محسوس فله أوصاف بعضها حسى وبعضها عقلى (أعم) فكل طرفين يتحقق فيهما التشبيه بوجه حسى يتحقق فيهما بوجه عقلى ولا عكس (فان قيل) هذا اشارة الى إشكال أورده السكاكى على كون وجه الشبه قد يكون حسيا وهاك عبارته . وههنا نكتة لابد من التنبه لها وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى وذلك أنه متى كان حسيا وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجودا فى الطرفين وكل موجود فله تعين فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع ان يكون هو بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت وهو استلزامه اذا

بكلي ، قلنا: المراد أن أفراده مدركة بالحس ، فالواحد الحسي كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس فيما مر ، والعقلي كالعراء عن الفائدة والجرأة والهداية واستطابة النفس في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه ، والرجل الشجاع بالأسد ، والعلم بالنور والعطر بخلق كريم ؛ والمركب الحسي فيما طرفاه مفردان كما في قوله

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معا وهكذا في أخواتها بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئا واحدا ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد فيلزم أن يكون أمر كليا مأخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعين لكن ما هذا شأنه فهو عقلي ويمتنع ان يقال فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين في الطرفين فان المثلين متشابهان فمعهما وجه تشبيه فان كان عقليا كان المرجع في وجه الشبه العقل في المآل وان كان حسيا استلزم أن يكون مع المثلين مثلان آخران وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل « قال » المصنف انا نعترف بصحة هذ الاشكال غير أن المراد بكون وجه الشبه حسيا أن تكون افراده مدركة بالحس كالسواد فان افراده مدركة بالبصر وان كان هو في نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس نقول وهذا ضرب من التسامح (والخفاء) يعني خفاء الصوت (فيما مر) يعني في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخمر والجلد الناعم بالحرير (وقد لاح) هو لابي قيس بن الاسلت وقيل لاحيحة بن الجلاح والاول شاعر جاهلي

مِنَ الْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّوَرِ الْبِيضِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصِّغَارِ الْمَقَادِيرِ فِى الْمَرْأَى عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ إِلَى الْمِقْدَارِ الْمَخْصُوصِ ، وَفِيمَا طَرَفَاهُ مُرَكَّبَانِ كَمَا فِى قَوْلِ بَشَّارٍ

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

مِنَ الْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ هَوِىِّ أَجْرَامٍ مُشْرِقَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ مُتَنَاسِبَةِ

مجيد أسلم ابنه عقبة بن أبى قيس (ملاحية) هى عنب أبيض فى حبه طول وهو فى البيت بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر قال ابن قتيبة لاأعلم هل التشديد فى البيت ضرورة أو لغة فيه (نورا) تفتح نوره (كما فى قول بشار) مثله مافى قول أبى طالب الرقى

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقِ

من الهيئة الحاصلة من تفرق اجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير فى المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة . . وبيت بشار من قصيدة يمدح بها ابن هبيرة يقول فيها

إِذَا كُنْتَ فِى كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِى لَا تُعَاتِبُهْ

فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ وَأَىُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

(مثار النقع) النقع الغبار ومثار من أثار الغبار هيجه (تهاوى كواكبه) أى يتساقط بعضها أثر بعض والاصل تتهاوى حذفت إحدى التاءين (من الهيئة) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه وذلك لأن الشاعر كما قال

المِقْدَارِ مُتَفَرِّقةٍ فى جَوانِبِ شَىْءٍ مُظْلِمٍ ، وفيما طَرَفاهُ مُخْتلفانِ كما مَرَّ فى تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ؛ وَمِنْ بَدِيعِ المُرَكَّبِ الحِسِّىِّ مَا يَجِىءُ فى الهَيْئاتِ الَّتى تَقَعُ عَلَيها الحَرَكَةُ ، وَيَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُما أَنْ يُقْرَنَ بِالحَرَكةِ

الشيخ الامام لم يقصد تشبيه النقع بالليل من جانب والسيوف بالكواكب من جانب بل عمد الى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من الاغماد وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ولم يقتصر على أن يريك لمعانها فى أثناء العجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله

تَبْنِى سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ ... سَقْفاً كَوَاكِبُهُ البِيضُ المَبَاتِيرُ

وهذه الزيادة . وهى افادة هيئة السيوف فى حركاتها ، زادت التشبيه تفصيلا لأنها لا تقوم فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة وذلك أن تعلم أن لها فى حال احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها فى الضرب اضطرابا شديدا وحركات بسرعة ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ويصدم بعضها بعضا ثم إن أشكال السيوف مستطيلة فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله تهاوى فان الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها فى تهاويها تدافع وتداخل ثم إنها بالتهاوى تستطيل أشكالها فأما إذا لم تزل عن أماكنها فهى على صورة الاستدارة (فى تشبيه الشقيق) وتشبيه النيلوفر الذى ذكرناه ثمت (ومن بديع الخ) أصل هذا الكلام للامام عبد القاهر رحمه الله قال : اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات

غَيْرُها مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ، كالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ كما فى قَوْلِه

* وَالشَّمْسُ كالْمِرْآةِ فى كَفِّ الأَشَلْ * مِنَ الْهَيْئَةِ الحاصلةِ منَ الِاسْتِدَارَةِ مَعَ الْإِشْرَاقِ وَالحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ الْمُتَّصِلَةِ مَعَ تَمَوُّجِ الْإِشْرَاقِ حَتَّى يُرَى الشُّعَاعُ كأَنَّهُ يَهُمُّ بأَنْ ينْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِ

والهيئة المقصودة فى التشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما . والثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها فمن الأول قول ابن المعتز :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التى تراها للشمس إذا أنعمت التأمل ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة فى يد الأشل لأن حركته تدوم وتتصل ويكون منها سرعة وبدوام الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس فانك ترى شعاعها كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى تراه إلى انقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة الى الوسط ومثل هذا التشبيه وان صور فى غير المرآة قول المهلبى الوزير

والشَّمْسُ مِنْ مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ ... مُشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ

كَأَنَّهَا بُوتَقَةٌ أُحْمِيَتْ ... يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبُ

وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكل بشكل البوتقة فى الاستدارة وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بان ينبسط حتى يفيض من

الدَّائِرَةِ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى الِانْقِبَاضِ، وَالثَّانِي أَنْ تُجَرَّدَ الْحَرَكَةُ عَنْ غَيْرِهَا، فَهُنَاكَ أَيْضًا لَابُدَّ مِنِ اخْتِلَاطِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فَحَرَكَةُ الرَّحَى وَالسَّهْمِ لَا تَرْكِيبَ فِيهَا، بِخِلَافِ حَرَكَةِ الْمُصْحَفِ فِي قَوْلِهِ:

جوانبها لما فى طبعه من النعومة ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ومن عجيب ذلك قول الصنوبرى

كَأَنَّ فِي غُدْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظُلِّمْنَ تُمَطْ[1]

أراد ما يبدو فى صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها فينقلها من التقوس الى الاستواء وذلك أشبه شىء بالحواجب إذا امتدت لأن للحاجب كما لا يخفى تقويسا ومده ينقص من تقويسه ومن لطيف ذلك أيضا قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض

بَكَرَتْ تُعِيرُ الْأَرْضَ ثَوْبَ شَبَابِ رَجِيبَةٌ[2] مَحْمُودَةُ الْإِسْكَابِ

نَثَرَتْ أَوَائِلُهَا حَيًا[3] فَكَأَنَّهُ نَقْطٌ عَلَى عَجَلٍ بِبَطْنِ كِتَابِ

وأما الوجه الثانى وهو أن تجرد هيئة الحركة من كل وصف يكون فى

---

(١) يصف أرضا بالطيب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح فتبدو على صفحات غدرانها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد

(٢) يريد سحابة

(٣) الحيا المطر

وَكَأَنَّ البَرْقَ مُصْحَفُ قَارِئٍ فَانْطِبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحَا

وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِى هَيْئَةِ السُّكُونِ، كما فى قَوْلِهِ فِى صِفَةِ الْكَلْبِ

الجسم فهناك أيضا لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له كان يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل ونحو ذلك وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبعاض الجسم اليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر فحركة الرحى والدولاب وحركة السهم لا تركيب فيها لأن الجهة واحدة ولكن فى حركة المصحف فى قول ابن المعتز:

وكان البرق مصحف قار(١) فانطباقا مرة وانفتاحا

تركيبا لأنه يتحرك فى الحالتين الى جهتين فى كل حالة الى جهة ومن لطيف ذلك قول الاعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الامواج بها

تَقِصُ السَّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كما يَنْزُو الرُّبَاحُ خَلَالَهُ كَرَعُ

الرباح الفصيل والكرع ماء السماء شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه وذلك أن الفصيل إذا نزا ولاسيما فى الماء وحين يعتريه مايعترى المهر ونحوه من الحيوانات التى هى فى أول النشء كانت له حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين فى الأخرى فلا يثبته الطرف مرتفعا حتى يراه منحطا متسفلا ويهوى مرة نحو الرأس ومرة نحو الذنب وذلك أشبه شىء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموج «قال» وكما يقع التركيب فى هيئة الحركة قد يقع فى هيئة السكون فمن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلا

---

(١) بحذف الهمزة والأصل قارئ

* يُقعِى جُلُوسَ البَدَوِىِّ المُصْطَلِى * مِنَ الهَيْئَةِ الحَاصِلَةِ مِنْ مَوْقِعِ

فَلَمَّا طَغَى مَاؤُهُ فى البِلاَ دِ وَغَصَّ بِهِ كُلُّ وَادٍ صَدِ

نَرَى الثَّوْرَ فِى مَتْنِهِ طَافِياً كَضَجْعَةِ ذِى التَّاجِ فِى المَرْقَدِ

وقول المتنبى فى صفة الكلب

يُقْعِى جُلوسَ البَدَوِىِّ المُصْطَلَى بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لم تُجْدَلِ (١)

لم ينل التشبيه حظاً من الحسن إلا بأن فيه تفصيلا من حيث كان بكل عضو من الكلب فى إقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات فى حكم أشكال مختلفة تؤلف فيجىء منها صورة خاصة ومن لطيف هذا الجنس قول الشاعر فى صفة المصلوب

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفحَتَهُ يَومَ الوَدَاعِ الَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ

أَوْ قَائِمٌ مِنْ نُعَاسٍ فِيهِ لُوثَتُهُ مُوَاصِلٌ لِتَمَطِّيهِ مِنَ الكَسَلِ

والتفصيل فيه أنه شبهه بالمتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه فنظر الى هذه الجهات الثلاث ولو اقتصر على أنه كالمتمطى كان قريب التناول لأن هذا القدر يقع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداء لأنه من حد الجملة وشبيه بهذا فى الاستقصاء قول ابن الرومى

كَأَنَّ لهُ فى الجَوِّ حَبْلاً يَبُوءُهُ اذا ما انْقَضَى حَبْلٌ أُتِيحَ لَهُ حَبْلُ

يُعَانِقُ أَنْفَاسَ الرِّيَاحِ مُوَدِّعاً وَدَاعَ رَحِيلٍ لاَ يُحَطُّ له رَحْلُ

---

(١) الاقعاء الجلوس والاصطلاء الاستدفاء بالنار وبأربع مجدولة فالمجدولة المفتولة يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد وإنما هى كذلك

كُلِّ عُضْوٍ فى إِقْعَائِهِ ، وَالْعَقْلىُّ كَحِرْمَانِ الِانْتِفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِعٍ مَعَ تَحَمُّلِ التَعَبِ فى اسْتِصْحَابِهِ فى قوْلِهِ تَعالَى: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ مِنْ

فاشتراطه ان يكون له بعد الحبل الذى ينتهى ذرعه حبل آخر يخرج من بوع الاول اليه كقوله . مواصل لتمطيه من الكسل . فى استيفاء الشبه والتنبيه على استدامته لانه اذا كان لا يزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (كحرمان (١) الانتفاع الخ) فانه منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض وذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهى الاسفار التى هى أوعية العلوم وان الحمار جاهل بما فيها وكذا فى جانب المشبه (واعلم) قال الشيخ الامام قد يجىء بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها فيقع الخطأ لكونه أمرا منتزعا من جميعها كقوله

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

فانه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به الى الثانى على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه لكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر فى التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء

---

(١) وكالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذى هو على عكس ما قدر فى قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه . السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الأرض

مُتَعَدِّدٍ فَيَقَعُ الْخَطَأُ لِوُجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنْ أَكْثَرَ ، كَمَا إِذَا انْتُزِعَ مِنَ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

لِوُجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنَ الْجَمِيعِ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ التَّشْبِيهُ بِاتِّصَالِ ابْتِدَاءٍ مُطْمِعٍ بِانْتِهَاءٍ مُؤْيِسٍ . وَالْمُتَعَدِّدُ الْحِسِّيُّ كَاللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ فِي تَشْبِيهِ فَاكِهَةٍ بِأُخْرَى . وَالْعَقْلِيُّ كَحِدَّةِ النَّظَرِ وَكَمَالِ الْحَذَرِ

مؤيس وذلك يتوقف على البيت كله فان قيل هذا يقتضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويكدر تشبيها واحدا لأن الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين وإن احداهما لا تدوم. قلنا الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس كما مر وكون الشىء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما وليس فى قولنا يصفو ويكدر أكثر من الجمع بين الصفتين ونظير البيت قولنا يصفو ثم يكدر لافادة الترتيب المقتضى ربط أحد الوصفين بالآخر وقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ما ذكر بأمرين أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب والثانى أنه اذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى افادة ما كان يفيده قبل الحذف فاذا قلنا زيد كالاسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى افادة معناه أفاد ذلك الشيخ الامام رحمه الله (باتصال) أى باعتبار اتصال الخ فالباء هنا مثلها فى قولك نجرت

وَإِخْفَاءِ السِّفَادِ فِي تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْغُرَابِ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الطَّلْعَةِ وَنَبَاهَةِ الشَّأْنِ فِي تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ الشَّبَهُ مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ لِاشْتِرَاكِ الضِّدَّيْنِ فِيهِ ثُمَّ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ بِوَاسِطَةِ تَمْلِيحٍ أَوْ تَهَكُّمٍ، فَيُقَالُ لِلْجَبَانِ: مَا أَشْبَهَهُ بِالْأَسَدِ، وَلِلْبَخِيلِ: هُوَ حَاتِمٌ.. وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَأَنَّ وَمِثْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا، وَالْأَصْلُ فِي نَحْوِ الْكَافِ أَنْ يَلِيَهُ الْمُشَبَّهُ بِهِ، وَقَدْ يَلِيهِ غَيْرُهُ، نَحْوُ: وَاضْرِبْ لَهُمْ

بالقدوم أى بواسطته (السفاد) نزو الذكر على الأنثى (نباهة الشأن) شرفه واشتهاره (ينتزع الشبه من نفس التضاد) أى يجعل التضاد وسيلة لجعل الشيء وجه شبه (فيه) أى فى التضاد (تمليح) أى اتيان بشيء مليح يستظرف عند السامع « هذا » وهناك مذهب آخر للتضاد ذكره بعضهم قال قد يشبه أحد الضدين بالآخر إذا كان احدهما أظهر كما يقال العسل فى حلاوته كالصبر فى مرارته وأنشد لابن المهدى يعتذر للمأمون

لَئِنْ جَحَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ ... إِنِّي لَفِي اللُّؤْمِ أَحْصَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ

(ومافى معناه) كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما (وقد يليه غيره) وذلك حيث يكون المشبه به مركبا كقوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح اذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره بل المراد تشبيه حالها فى نضرتها وبهجتها ومايتعقبها من الهلاك والفناء

مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ . وَقَدْ يُذْكَرُ فِعْلٌ يُنْبِيءُ عَنْهُ كَمَا فِي عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا، إِنْ قَرُبَ، وَحَسِبْتُ، إِنْ بَعُدَ* وَالْغَرَضُ مِنْهُ فِي الْأَغْلَبِ يَعُودُ إِلَى الْمُشَبَّهِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِمْكَانِهِ ، كما فى قَوْلِه :

فَإِنْ تَفُقِ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن ومما هو بين فى هذا قول لبيد

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَتَغْدُو بَلَاقِعُ

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية (ينبىء عنه) أى عن التشبيه (كما فى علمت الخ) قال بعضهم فى كون هذا الفعل منبئا عن التشبيه نظر للقطع بانه لادلالة للعلم والحسبان على ذلك وانما يدل عليه علمنا بأن أسدا لايمكن حمله على زيد تحقيقا وانه انما يكون على تقدير اداة التشبيه سواء ذكر الفعل أولم يذكر ولو قيل انه ينبىء عن حال التشبيه من القرب والبعد لكان أصوب (بيان امكانه) وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه كما فى قول أبى الطيب يمدح سيف الدولة فان تفق الأنام البيت اراد انه فاق الانام فى الاوصاف الفاضلة الى حد يطل معه أن يكون واحداً منهم بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الانسان وهذا أعنى ان يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل الى أن يصير كأنه ليس منها أمر غريب يفتقر من يدعيه الى اثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجىء الى اثبات وجوده فى الممدوح فقال فان المسك بعض دم الغزال أى ولايعد فى الدماء لما فيه من الاوصاف الشريفة التى لايوجد شىء منها فى الدم وخلوه من الاوصاف التى لها كان الدم دما فابان ان لما ادعاه أصلا فى الوجود

أَوْ حَالِهِ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بِآخَرَ فِي السَّوَادِ، أَوْ مِقْدَارِهَا، كَمَا فِي تَشْبِيهِ بِالْغُرَابِ فِي شِدَّتِهِ، أَوْ تَقْرِيرُهَا، كَمَا فِي تَشْبِيهِ مَنْ لَا يَحْصُلُ مِنْ سَعْيِهِ عَلَى طَائِلٍ بِمَنْ يَرْقُمُ عَلَى الْمَاءِ، وَهٰذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ

على الجملة فان قلت أين التشبيه فى البيت قلنا يدل البيت عليه ضمنا وان لم يدل عليه تصريحا (كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السواد) اذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه (أو مقدارها) أى أو بيان مقدار حال المشبه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان (فى تشبيهه) أى الثوب الأسود (فى شدته) أى شدة السواد (أو تقريرها) هو معطوف على بيان أى تقرير حال المشبه فى نفس السامع وتقوية شأنه لديه (الاربعة) بيان الامكان وبيان الحال وبيان المقدار والتقرير (تقتضى الخ) ومن هنا ضعف قول البحترى

عَلَى[1] بَابِ قِنَّسْرِينَ وَاللَّيْلُ لَاطِخٌ جَوَانِبَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمِدَادِ

وذاك أن المداد ليس من الأشياء التى لا مزيد عليها فى السواد كيف ورب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أحرى ولهذا قال ابن الرومى

حِبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ يَسِيلُ لِلْإِخْوَانِ أَيَّ سَيْلٍ

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل فكأنه نظر الى قول

---

(١) على باب متعلق بما فى البيت قبله وهو

وليلتنا والراح عجلى تحثها فنون غناء للزجاجة حاد

أى كان مع حبيبته فى ادارة الكؤس واستماع الغناء طول الليل على باب قنسرين

يكونَ وَجْهُ الشَّبَهِ فى المُشَبَّهِ بِهِ أَتَمَّ وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ، أَوْ تَزْيينُهُ، كَمَا فى تَشْبِيهِ وَجْهٍ أَسْوَدَ بِمُقْلَةِ الظَّبْيِ، أَوْ تَشْوِيهُهُ، كَمَا فى تَشْبِيهِ وَجْهٍ مجْدُورٍ بِسَلْحَةٍ جَامِدَةٍ قَدْ نَقَرَتْهَا الدِّيَكَةُ، أَوِ اسْتِطْرَافُهُ، كَمَا فى تَشْبِيهِ فَحْمٍ فيهِ جَمْرٌ مُوقَدٌ بِبَحْرٍ مِنَ المِسْكِ مَوْجُهُ الذهبُ، لِإِبْرَازِهِ فى صُورَةِ المُمْتَنِعِ عَادَةً؛ وَللاِسْتِطْرَافِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ المُشَبَّهُ بِهِ نَادِرَ الْحُضُورِ فِي الذِّهْنِ، إِمَّا مُطْلَقًا كَمَا مَرَّ، وَإِمَّا عِنْدَ حُضُورِ المشبهِ كَمَا فِي قَوْلِه

وَلَازَوَرْدِيَّةٍ تَزْهُو بِزُرْقَتِهَا ... بين الرِّياضِ على حُمْرِ اليَوَاقِيتِ

كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا ... أَوَائِلُ النارِ فى أَطرافِ كِبريتِ

العامة فى الشىء الاسود هو كالنقس(١) ثم تركه للقافية الى المداد (أو تزيينه) عطف على بيان امكانه وقد أشار ابن الرومى الى التزيين والتشويه فى قوله

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَحلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَعِبْ قُلْتَ ذا قَيءُ الزنابيرِ

(كما مر) فى تشبيه فحم فيه جمر موقد (كما فى قوله ولازوردية) فأنت ترى أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب وانما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج فاذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى نارهما ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريرا قال أنشد عدى بن الرقاع

---

(١) النقس المداد الذى يكتب به

وَقَدْ يَعودُ إِلَى المشبَّهِ بِهِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا إِيهامُ أَنَّهُ أَتَمُّ مِنَ المُشَبَّهِ وَذَلِكَ فى التَّشْبيهِ المَقْلُوبِ ، كَقَوْلِهِ :

وَبَدَا الصَّباحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

---

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فاعْتَادَهَا *

فلما بلغ الى قوله

* تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

رحمته وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابى جلف جاف فلما قال

* قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

استحالت الرحمة حسدا فهل كانت رحمته فى الاولى والحسد فى الثانية الا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبه وحين أتمه صادفه قد ظفر باقرب صفة من أبعد موصوف . وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر وهو أنه أراك شبها لنبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر . هذا وقوله ولازوردية أى ورب بنفسجة شبيهة باللازورد - الحجر المعروف والأكثر أن يقال زهى الرجل فهو مزهو أى تكبر وقد يقال زها يزهو وحمر اليواقيت يعنى الأزهار والشقائق الحمر والبيتان لابن الرومى (كقوله وبدا الصباح) فان الشاعر وهو محمد بن وهيب قصد ايهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء

وَالثَّانِي بَيانُ الِاهْتِمامِ بِهِ ، كَتَشْبِيهِ الجامِعِ وَجْهاً كالْبَدْرِ فِي الإِشْراقِ وَالِاسْتِدارَةِ بالرَّغِيفِ، وَيُسَمَّى هَذا اظْهارَ المَطْلُوبِ، هَذا اذا أُرِيدَ إِلْحاقُ

واعلم ان هذا وان كان فى الظاهر يشبه قولهم لاأدرى أوجهه أنور أم الصبح وغرته أضوأ أم البدر وقولهم اذا أفرطوا نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ونحو ذلك من وجوه المبالغة فان فى الاول خلابة وشيئا من السحر ليس فى الثانى وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ويوهم انه احتشد له واجتهد فى تشبيه يفخم به أمره فيوقع المبالغة فى نفسك من حيث لاتشعر ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها لانه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لايشفق من خلاف مخالف وتهكم متهكم والمعانى اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب فكانت كالنعمة لاتدركها المنة وكالغنيمة من حيث لاتحتسب وفى قوله حين يمتدح فائدة شريفة وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بمالا يوجد الافيمن هو كامل فى الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وقصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس بالاصغاء اليه والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده (ويسمى هذا اظهار المطلوب) قال السكاكى ولايحسن المصير اليه الا فى مقام الطمع فى تسنى المطلوب كما يحكى عن الصاحب رحمه الله ان قاضى سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفننا فأخذ يمدحه حتى قال ✲ وعالم يعرف بالسجزى ✲ وأشار للندماء أن ينظموا على اسلوبه ففعلوا واحدا بعد واحد الى ان انتهت النوبة الى شريف فى البين فقال ✲ اشهى الى النفس من الخبز ✲ فامر الصاحب أن يقدم له مائدة

النَّاقِصِ، حَقِيقَةً أَوِ ادِّعَاءً، بِالزَّائِدِ، فَإِنْ أُرِيدَ الجمعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِى أَمْرٍ فَالْأَحْسَنُ تَرْكُ التَّشْبِيهِ إِلَى الْحُكْمِ بالتشابُهِ، احْتِرَازًا مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ، كَقَوْلِهِ:

تَشَابَهَ دَمْعِى اذْ جَرَى وَمُدَامَتِى ... فَمِنْ مِثْلِ مَافِى الْكَأْسِ عَيْنِى تَسْكُبُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلَتْ ... جُفُونِى أَمْ مِنْ عَبْرَتِى كُنْتُ أَشْرَبُ

وَيجوزُ التشبيهُ أيضاً، كَتَشْبِيهِ غُرَّةِ الفَرَسِ بِالصُّبْحِ، وَعَكْسِهِ مَتَى أُرِيدَ ظُهُورُ

(فان أريد الجمع بين شيئين فى أمر) يعنى من غير قصد الى أن أحدهما ناقص فى ذلك والآخر زائد (كقوله تشابه) ومما هو حسن فى هذا المعنى قول الصاحب بن عباد

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْرُ ... وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

والبيتان لابى اسحاق الصابى ويقال أسبل الدمع والمطر اذا هطل أى سال كثيرا وأسبلت السماء كذلك (ويجوز التشبيه أيضا) يعنى عند ارادة الجمع بين شيئين فى أمر . قال الشيخ فى أسرار البلاغة : جملة القول انه متى لم يقصد ضرب من المبالغة فى اثبات الصفة للشىء ولم يقصد الا ايهام فى الناقص انه كالزائد اقتصر على الجمع بين الشيئين فى مطلق الصورة والشكل واللون أو جمع وصفين على وجه يوجد فى الفرع على حدة أو قريب منه فى الاصل فان العكس يستقيم فى التشبيه ومتى أريد شىء من ذلك لم يستقم (كتشبيه غرة الفرس بالصبح وعكسه) مثله تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة كما قال ابن المعتز

مُنيرٍ فى مُظْلِمٍ أَكْثَرَ مِنْهُ. وَهُوَ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ إِمَّا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ، وَهُمَا غَيْرُ مُقَيَّدَيْنِ، كَتَشْبِيهِ الْخَدِّ بِالْوَرْدِ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ: هُوَ كَالرَّاقِمِ

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ دِينا رٌ جَلَتْهُ حَدائِدُ الضَّرَّابِ

وعكسه متى قصدالى مستدير يتلألأ ويلمع ثم خصوص فى جنس اللون يوجد فى المرآة المجلوة والدينار المتخلص من حمى السكة كما يوجد فى الشمس وان عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجرمين فانه ليس شيء من ذلك بمنظور اليه فى التشبيه وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز

وَاللَّيلُ كَالْحُلَّةِ السَّوْدَاءِ لاَحَ بِهِ مِنَ الصَّباحِ طِرَازٌ غَيْرُ مَرْقُومِ (١)

فانه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديدا (متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه) يعنى ولم يرد المبالغة فى وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ونحو ذلك اذلو أريد شيء من هذا لوجب جعل الغرة مشبها والصبح مشبهاً به (لتشبيه الخد بالورد) ومن هذاقوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن قال الزمخشرى لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا

(كقولهم هو كالراقم على الماء) فان المشبه هو الساعى المقيد بأن لا

---

(١) به أى فيه والضمير لليل

عَلَى المَاءِ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ، كَقَوْلِهِ: وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ، وَعَكْسِهِ، وَإِمَّا تَشْبِيهُ

يحصل من سعيه على طائل والمشبه به هو الراقم المقيد بان رقمه على الماء لان وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين. هذا ومما طرفاه مقيدان قولهم هو كمن يجمع سيفين فى غمد وقولهم هو كمبتغى الصيد فى عرينة الاسد وقولهم هو كالحادى وليس له بعير وقول الشاعر

إِنِّى وَتَزْيِينِي بِمَدْحِي مَعْشَرًا كَمُعَلِّقٍ دُرًّا عَلَى خِنْزِيرِ

فان المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً فمتعلق التزيين أعنى قوله بمدحى داخل فى المشبه والمشبه به من يعلق درا بقيد ان يكون تعليقه اياه على خنزير فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته وهو ان كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لان الشىء غير قابل للتزيين فالواو فى قوله وتزيينى بمعنى مع اذ لا يمكن ان يقال انى كذا وان تزيينى كذا لانه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيينى لا يقال تقديره انى كمعلق درا على خنزير وان تزيينى بمدحى معشرا كتعليق در على خنزير لانه لا يتصور ان يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعلق درا على خنزير بل لا بد ان يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشرا (أو مختلفان) أى احدهما مقيد والآخر غير مقيد (كقوله والشمس كالمرآة) فان المشبه هو الشمس على الاطلاق والمشبه به هو المرآة بقيدانها فى كف الاشل (وعكسه) أى تشبيه المرآة فى كف الاشل بالشمس (واما تشبيه مركب بمركب) ويجب فى هذا ان يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة

مُرَكَّبٍ بِمُرَكَّبٍ كَمَا فِي بَيْتِ بَشَّارٍ ، وَإِمَّا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُرَكَّبٍ ،

حاصلة من عدة أمور قال الزمخشرى ان العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها واعلم ان هذا القسم ضربان احدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقوله

غَدَا وَالصُّبْحُ تحتَ اللَّيلِ بَادٍ كَطِرْفٍ أَشْهَبٍ مُلْقَى الْجِلَالِ

فان الجلال فيه فى مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئاً وكقول الآخر

كَأَنَّمَا الْمِرِّيخُ وَالْمُشْتَرِى قُدَّامَهُ فِي شَامِخِ الرِّفْعَهْ

مُنْصَرِفٌ بِاللَّيلِ عَنْ دَعْوَةٍ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعَهْ

فان المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ولو قيل كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفاً من القول والثانى ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر غير أن الحالة تتغير ومثاله قوله

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقِ

فانه لو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط ازرق كان تشبيهاً صحيحاً لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً وعجبا من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية (كما فى بيت بشار) وهو قوله

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

كَمَا مَرَّ، مِنْ تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ، وَإِمَّا تَشْبِيهُ مُرَكَّبٍ بِمُفْرَدٍ، كَقَوْلِهِ:

يَا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ

تَرَيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَى فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ

وَأَيْضاً إِنْ تَعَدَّدَ طَرَفَهُ فَإِمَّا مَلْفُوفٌ، كَقَوْلِهِ:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

وقد سبق شرحه ومثله فى ذلك قول البحترى

تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ صُعُودَ البَرْقِ فِي الغَيْمِ الجَهَامِ (١)

لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق بل مقصوده الهيئة الحاصلة من مخالطة أحد الشيئين بالآخر (من تشبيه الشقيق) اى وهو مفرد بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهو مركب من عدة أمور (كقوله يا صاحبى) البيتان لأبى تمام من قصيدة يمدح بها المعتصم . قوله تقصيا أبلغا أقصى نظريكما بالمبالغة فى تحديق النظر وقوله تصور أصله تتصور حذفت التاء وشابه خالطه والربى جمع ربوة وهى المكان المرتفع وقوله فكأنما هو مقمر معناه أن النبات من شده خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه الى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر (ملفوف) وهو ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها (كقوله) أى قول امرىء القيس يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور . فقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف(٢) البالى إذ ليس فى اجتماعهما

---

(١) الجهام السحاب لا ماء فيه ويصعدن فيه أى فى الفرس المحجل

(٢) الحشف أردأ التمر ووصفه بالبالى تأكيدا

أو مفروقٌ ، كقولهِ :

النَّشرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنَا نيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الأَوَّلُ فَتَشْبِيهُ التَّسْوِيَةِ ، كَقَوْلِهِ :

صُدْغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي كِلاَهُمَا كَاللَّيَالِي

وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِي فَتَشْبِيهُ الْجَمْعِ ، كَقَوْلِهِ :

هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ فى أسرار البلاغة إنه إنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن للجمع فائدة فى عين التشبيه (أو مفروق) وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر كقول المرقش الأكبر

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

النشر الرائحة والعنم شجر أحمر لين الأغصان يشبه به أكف الجوارى المخضبة . ومنه قول أبى الطيب

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالاَ

(الأول) أى المشبه (الثانى) أى المشبه به (كقوله) أى قول البحترى من قصيدة أولها

بَاتَ نَدِيماً لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحِ

كأنما يبسم البيت فقد شبه ثغر أغيده كما ترى بثلاثة أشياء ومنضد منظم والبرد هو حب الغمام والأقاح جمع أقحوان نور يتفتح كالورد وأوراقه

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحِ

وَ بِاعْتِبَارِ وَجْهِهِ إِمَّا تَمْثِيلٌ ، وَهُوَ مَا وَجْهُهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، كَمَا مَرَّ ، وَقَيَّدَهُ السَّكَاكِيُّ بِكَوْنِهِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ مَثَلِ الْيَهُودِ بِمَثَلِ الْحِمَارِ ، وَإِمَّا غَيْرُ تَمْثِيلٍ ، وَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَأَيْضًا إِمَّا مُجْمَلٌ ، وَهُوَ مَالَمْ

فى شكلها أشبه شيء بالأسنان فى اعتدالها. هذا ومن تشبيه الجمع قول الصاحب ابن عباد فى وصف أبيات أهديت اليه

أَتَتْنِيَ بِالْأَمْسِ أَبْيَاتُهُ تُعَلِّلُ رُوحِي بِرَوْحِ الْجِنَانِ

كَبَرْدِ الشَّبَابِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ وَظِلِّ الْأَمَانِ وَنَيْلِ الْأَمَانِي

وَعَهْدِ الصِّبَا وَنَسِيمِ الصَّبَا وَصَفْوِ الدِنَانِ وَرَجْعِ القِيَانِ

ومنه قول امرىء القيس

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الغَمَامِ وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ القَطْرْ

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرْ

إلا أن فيه شوبا من القصد الى هيئة الاجتماع (كما مر) من نحو تشبيه المرآة فى كف الاشل والتشبيه فى بيت بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى) واليك عبارته . اعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل كالذى فى قوله

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

يُذْكَرْ وَجْهُهُ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، نَحْوُ: زَيْدٌ أَسَدٌ، وَمِنْهُ خَفِيٌّ لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: هُمْ كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يُدْرَى

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

فان تشبيه الحسود الذى يحرم القول بالنار التى لاتمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس الا فى أمر متوهم له وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه فى القول مع علمك بتطلبه اياه عسى أن يتوصل به الى نفثة مصدور من قيامه اذ ذاك مقام أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك وانه كما ترى منتزع من عدة أمور وكالذى فى قوله

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتَهُ فِي الصِّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

فان تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان الغرس المونق بأوراقه ونضرته ليس الا فيما يلازم كونه مهذب الاخلاق مرضى السيرة حميد الفعال لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل اليه وكمال استحسان حاله وإنه كما ترى أمر تصورى لاصفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور (ومنه خفى) قال الشيخ الامام: وأما ما يدق ويغمض حتى يحتاج فى استخراجه الى فضل روية ولطف فكرة فنحو قول كعب الاشقرى وقد أوفده المهلب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس فسأله فى آخر القصة قال فكيف كان بنو المهلب فيهم(١) قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى

---

(١) أى فى القوم المحاربين

أَيْنَ طَرَفَاهَا، أَىْ هُمْ مُتَنَاسِبُونَ فِى الشَّرَفِ، كَمَا أَنَّهَا مُتَنَاسِبَةُ الْأَجْزَاءِ فِى الصُّورَةِ. وَأَيْضًا مِنْهُ مَا لَمْ يُذْكَرْ فِيهِ وَصْفُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصْفُ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَحْدَهُ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصْفُهُمَا، كَقَوْلِهِ:

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ ... عَنِّى وَعَاوَدَهُ ظَنِّى فَلَمْ يَخِبِ

كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيِّقُهُ ... وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِى الطَّلَبِ

أين طرفاها فهذا كما ترى ظاهر الامر فى فقره الى فضل الرفق به والنظر ألا ترى انه لايفهمه حق فهمه الامن له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة انتهى كلام الشيخ وأصل المثل لفاطمة بنت الخرشب الانمارية احدى المنجبات فى الجاهلية سألها أبو سفيان أى بنيك أفضل فقالت الربيع لابل عمارة لابل أنس الفوارس ثكلتهم ان كنت أدرى أيهم أفضل هم كالحلقة الى آخره أخذه كعب الاشقرى ووصف به بنى المهلب (كما أنها) أى الحلقة المفرغة (متناسبة الأجزاء فى الصورة) فيمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة (منه) أى من المجمل (كقوله) أى قول أبى تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين

سَتُصْبِحُ الْعِيسُ بِى وَاللَّيْلُ عِنْدَ فَتًى ... كَثِيرِ ذِكْرِ الرِّضَى فِى سَاعَةِ الْغَضَبِ

قوله صدقت معناه أعرضت وقوله ريقه معناه أوله وأحسنه يقال فعله فى روق شبابه وريقه أى أوله وأصابه ريق المطر وريق كل شىء أفضله. فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه والوصفان

وَإِمَّا مُفَصَّلٌ ، وَهُوَ مَا ذُكِرَ وَجْهُهُ ، كَقَوْلِهِ :

وَثَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَدْمُعِي كَاللَّآلِي

وَقَدْ يُتَسَامَحُ بِذِكْرِ مَا يَسْتَتْبِعُهُ مَكَانَهُ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْكَلَامِ

دالان على وجه الشبه أعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه (كقوله وثغره) مثله قول أبى بكر الخالدى

يَاشَبِيهَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالاَ

وَشَبِيهَ الغُصْنِ لِيناً وَقَوَامًا وَاعْتِدَالاَ

أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَسِيماً وَمَلاَلاً

زَارَنَا حَتَّى إِذَا مَا سَرَّنَا بِالقُرْبِ زَالاَ

وقول ابن الرومى

يَاشَبِيهَ البَدْرِ فِي الْحُسْـــنِ وَفِي بُعْدِ المَنَالْ

جُدْ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْـــرَةُ بِالْمَاءِ الزُّلاَلْ

(وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه) قال السكاكى : اعلم أنه ليس يلتزم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ماهو به بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنعمت فيه النظر لم تجده إلا شيئاً مستتبعاً لما يكون وجه التشبيه فى المآل فلا بد من التنبيه عليه من ذلك قولهم فى الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها أو تكرارها ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوفة ولا مما تشتبه معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها وتشمئز عنها النفس: هى كالعسل

الفَصِيحِ : هُوَ كالْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ، فَإِنَّ الْجَامِعَ فِيهِ لَازِمُهَا، وَهُوَ مَيْلُ الطَّبْعِ ، وَأَيْضاً إِمَّا قَرِيبٌ مُبْتَذَلٌ ، وَهُوَ مَا يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ إِلَى

فى الحلاوة وكالماء فى السلاسة وكالنسيم فى الرقة وقولهم فى الحجة المطلوب بها قلع الشبهة متى صادفوها معلومة الأجزاء يقينية التأليف قطعية الاستلزام هى كالشمس فى الظهور فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة والظهور لوجه الشبه على أن وجه الشبه فى المثل هناك شيء غيرها وذلك لازم الحلاوة وهو ميل الطبع اليها ومحبة النفس ورودها عليها ولازم السلاسة والرقة وهو افادة النفس نشاطاً والاهداء إلى الصدر انشراحاً والى القلب روحاً فشأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الشهى الذى يلذ طعمه فتهش النفس له و يميل الطبع اليه ويحب وروده عليه أو كشأنها مع الماء الذى ينساغ فى الحلق وينحدر فيه أجلب انحدار للراحة ومع النسيم الذى يسرى فى البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه فيفيدان النفس نشاطا ويهديان إلى الصدر انشراحاً والى القلب روحاً ولازم الظهور وهو ازالة الحجاب فشأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلمة فى كونهما معهما كالمحجوبين وانقلاب حالهما إلى خلاف ذلك مع الحجة إذا بهرت والشمس إذا ظهرت وتسامحهم هذا لايقع الا حيث يكون التشبيه فى وصف اعتبارى كالذى نحن فيه وأقول يشبه ان يكون تركهم التحقيق فى وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا (وأيضا اما قريب) اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة كما قيل غير معرفته من طريق التفصيل فكلام المصنف هنا وان كاد يكون مفهوما فان لتمام البيان فائدة لاينكرها المميز وذلك أتم للغرض وأشفى للنفس فنقول : إن الشبه إما قريب يقع فى الوهم من أول النظر

الْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَدْقِيقِ نَظَرٍ ،لِظُهُورِ وَجْهِهِ فِي بَادِيءِ الرَّأْيِ،لِكَوْنِهِ أَمْرًا جُمْلِيًّا،فَإِنَّ الْجُمْلَةَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ، أَوْ قَلِيلَ التَّفْصِيلِ مَعَ غَلَبَةِ

واما غريب لاينزع اليه الخاطر إلابعد تثبت وتذكر وفكر للنفس وتحريك للوهم فالقريب مثل ما إذا أخطرت بالبال استدارة الشمس ونورها وقعت المرآة المجلوة فى قلبك وترآى لك الشبه منها فيها وكذلك إذا نظرت الى الوشى منشوراً وتطلبت لحسنه ونقشه واختلاف الاصباغ فيه شبها حضرك ذكر الروض ممطوراً مفترا عن أزهاره متبسما عن أنواره وكذلك إذا نظرت الى السيف الصقيل عند سله وبريق متنه لم يتباعد عنك أن تذكر لمعان البرق وان كان هذا أقل ظهوراً وأما الغريب فهو مثل تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق فى قول كشاجم

أَرِقْتَ أَمْ نِمْتَ لِضَوْءِ بَارِقِ مُؤْتَلِقٍ مِثْلِ فُؤَادِ الْعَاشِقِ

كَأَنَّهُ إِصْبَعُ كَفِّ السَّارِقِ

وان أردت أن تعلم السبب فى سرعة بعض الشبه الى الفكر واباء بعض أن يكون له ذلك الاسراع فان ههنا ضربين من العبرة أولهما انا نعلم ان الجملة ابداً اسبق الى النفوس من التفصيل وأنك تجد الرؤية نفسها لاتصل بالبديهة الى التفصيل ولكنك ترى بالنظر الاول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند اعادة النظر ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء وقالوا لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل وهكذا الحكم فى السمع وغيره من الحواس فانك تدرك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية مالم تدرك فى الاولى فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشيء من بين جملة يريد تميزه مما اختلط به ومن يروم

الاجمال كمن يريد أخذ الشيء جزافا وجرفا وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجمل أبدا تسبق إلى الذهن وتقع فى الخاطر أولا وترى التفاصيل مغمورة فيما بينها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة بالتذكر ويتفاوت الحال فى الحاجة الى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكلما كان أوغل فى التفصيل كانت الحاجة الى التوقف والتذكر أكثر والفقر الى التأمل والتمهل أشد واذ قد عرفت هذه العبرة فالاشتراك فى الصفة اذا كان من جهة الجملة على الاطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحو ان كلا الشيئين أسود او أحمر فهو يقل عن أن يحتاج فيه الى قياس وتشبيه فان دخل فى التفصيل شيئا نحو ان هذا السواد صاف براق والحمرة دقيقة ناصعة احتجت بقدر ذلك الى ادارة الفكر وذلك مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح والورد فان زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ازداد الأمر قوة فى اقتضاء الفكر وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك فى قول غيلان

وَسِقْطٍ كَعَيْنِ الدِيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْضِعِهَا وَكْرَا

والعبرة الثانية أن مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته فى النفس أن يكثر دورانه على العيون ويدوم تردده فى مواقع الأبصار وأن تدركه الحواس فى كل وقت او فى أغلب الأوقات وبالعكس وهو أن من سبب بعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته فى النفس قلة رؤيته وأنه مما يحس على طريق الندرة واذ كان ذلك كذلك بان منه أن كل شبه رجع الى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر ابدا فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالضد من هذا وفى الغاية القصوى من مخالفته فالتشبيه المردود اليه غريب نادر بديع ثم ان التفصيل وان

حُضُورِ الْمُشَبَّهِ بِهِ فِي الذِّهْنِ ، إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمُشَبَّهِ ، لِقُرْبِ الْمُنَاسَبَةِ كَتَشْبِيهِ الْجَرَّةِ الصَّغِيرَةِ بِالْكُوزِ فِي الْمِقْدَارِ وَالشَّكْلِ ، أَوْ مُطْلَقًا

كانت دقائقه لا تكاد تضبط إلا أن الأغلب الأعرف منها وجهان أحدهما أن تأخذ بعضا وتدع بعضا كما فعل امرؤ القيس فى قوله

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فعزل الدخان عن السنا وأثبته مفردا كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة فيما شبه وذلك قوله

لَهَا حَدَقٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِجُفُونِ

والثانى أن تنظر من المشبه فى أمور لتعتبرها كلها وتطلبها فى المشبه به كاعتبارك فى تشبيه الثريا بالعنقود الأنجم أنفسها والشكل واللون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة فى القرب ثم اعتبارك فى العنقود المنور من الملاحية مثل ذلك «وبعد» فان تاقت نفسك الى شىء من الشرح لعبارة المصنف فاليك ذلك . قوله أو قليل التفصيل معطوف على أمرا جمليا وقوله لقرب المناسبة يعنى بين المشبه والمشبه به وقوله أو مطلقا معطوف على قوله عند حضور المشبه وقوله لتكرره علة لغلبة المشبه به مطلقا وقوله لمعارضة الخ يعنى وإنما كانت قلة التفصيل فى وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحس سببا لظهوره المؤدى الى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة لأن قرب المناسبة فى الصورة الأولى والتكرار على الحس فى الثانية يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه الى المشبه به فيصير وجه الشبه كأنه أمر جملى لا تفصيل فيه فيصير سببا للابتذال وقوله كما مر يعنى فى تشبيه البنفسج بنار

لِتَكَرُّرِهِ عَلَى الْحِسِّ ، كَالشَّمْسِ بِالْمِرْآةِ الْمَجْلُوَّةِ ، فِي الِاسْتِدَارَةِ

الكبريت وقوله لكونه وهميا الخ فالوهمى كتشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال والخيالى كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد والعقلى كتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا وقد مر ذلك فانت ترى أن كلا سبب لندرة حضور المشبه به فى الذهن وقوله أو لقلة معطوف على قوله لكونه وهميا وقوله فالغرابة فيه أى فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل وقوله من وجهين فأحد الوجهين كثرة التفصيل وثانيهما قلة تكرره على الحس . هذا ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز

كَأَنَّ وَضُوءَ الصُّبْحِ يَسْتَعْجِلُ الدُّجَى نُطِيرُ غُرَابًا ذَا قَوَادِمَ جُونِ (١)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضا لأن تلك الفرق من الظلمة يقع فى حواشيها من حيث تلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل فيها فى العين كشكل قوادم اذا كانت بيضاء وتمام التدقيق والسحر فى هذا التشبيه فى شىء آخر وهو ان جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها أن تتمهل فى حركتها ثم لما بدأ بذلك أولا اعتبره فى التشبيه آخرا فقال نطير غرابا ولم يقل غرابا يطير مثلا وذلك أن الغراب وكل طائر اذا كان واقعا هادئا فى مكان فأزعج وأخيف وأطير منه

---

(١) قوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشرة فى كل جناح والجون بالضم جمع جون بالفتح والمراد به هنا الأبيض

وَالاسْتِنَارَةِ، لِمُعَارَضَةِ كُلٍّ مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّكْرَارِ التَّفْصِيلَ، وَإِمَّا بَعِيدٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ بِخِلَافِهِ، لِعَدَمِ الظُّهُورِ، إِمَّا لِكَثْرَةِ التَّفْصِيلِ، كَقَوْلِهِ: وَالشَّمْسُ

أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه وأعجل وأمد له وأبعد لأمده فان تلك الفزعة التى تعرض له من تنفيره أو الفرحة التى تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته مما دعته الى أن يستمر حتى يغيب عن الأفق ويصير الى حيث لا تراه العيون وليس كذلك اذا طار عن الاختيار لأنه يجوز حينئذ أن يصير الى مكان قريب من مكانه الأول وأن لايسرع فى طيرانه بل يمشى على هيئة ويتحرك حركة غير المتعجل واعلم أن هذا الأمر وهو التفصيل يتفاوت حاله فمنه ما يبلغ من كرم الموقع ولطف التأثير فى النفس مبلغا لا يدرك شأوه ومنه مادون ذلك ويبين هذا بالمقابلة فأنت إذا قابلت قول بشار كأن مثار النقع البيت بقول المتنبى

يَزُورُ الْأَعَادِى فِى سَمَاءِ عَجَاجَةٍ ... أَسِنَّتُهُ فِى جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

أو قول عمرو بن كلثوم

تَبْنِى سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ ... سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبِيضُ الْمَبَاتِيرُ

وجدت لبيت بشار من الفخامة والنبل والرفعة والشرف مالا يوجد لصاحبيه ذاك لأن كلا منهما وان راعى التفصيل فى التشبيه الا أنه اقتصر على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف فى أثناء العجاجة بخلاف بشار فانه لم يقتصر على ذلك كما بيناه فيما تقدم وكذلك تجد قول ابن المعتز فى الآذريون

مَدَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ ... فِيهَا بَقَايَا غَالِيَهْ

أعلى وأفضل من قوله

كالمرآة في كف الأشل، أو ندور حضور المشبه به، إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما مر، وإما مطلقا لكونه وهميا أو مركبا خياليا أو عقليا كما مر، أو لقلة تكرره على الحس، كقوله والشمس كالمرآة، فالغرابة فيه من وجهين، والمراد بالتفصيل أن تنظر في أكثر من وصف، ويقع على وجوه، أعرفها أن تأخذ بعضا وتدع بعضا، كما في قوله:

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

وأن تعتبر الجميع، كما مر، من تشبيه الثريا، وكلما كان التركيب

وطاف بها ساق أديب بمبزل كخنجر عيار صناعته الفتك[1]

وحمل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق في قرارتها مسك

ذاك لأن السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بازائه الغالية والمسك فيه أمران أحدهما أنه ليس بشامل لها والثاني أنه لم يستدر في قعرها بل ارتفع منه حتى أخذ شيئا من سمكها من كل الجهات وله في منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية في جوانب المدهن إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع وقوله في قراراتها مسك يبين الامر الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال فيها مسك ولم يشترط أن يكون في القرارة وأما الثاني فلا يدل عليه كما يدل قوله بقايا غالية لأن من شأن المسك والشيء اليابس اذا حصل في شيء مستدير له قعر أن يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب

---

(١) يصف الخمر: المبزل ما يصفى به الشراب والآذريونة وردله أوراق حمر في وسطة سواد له نبو وارتفاع وقد يكون أصفر

مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرَ كَانَ التَّشْبِيهُ أبعدَ، وَالْبَلِيغُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ لِغَرَابَتِهِ، وَلِأَنَّ نَيْلَ الشَّيْءِ بعدَ طَلَبِهِ أَلَذُّ، وَقَدْ يُتَصَرَّفُ فِي الْقَرِيبِ بِمَا يَجعلهُ غَرِيباً كقوله :

الارتفاع الذى فى سواد الآذريونة بخلاف الغالية فانها رطبة ثم تؤخذ بالاصابع فلا بد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه (والبليغ ما كان من هذا الضرب) لا يقال عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علمنا مذموم لأنا نقول التعقيد كما سبق له سببان الأول سوء ترتيب الألفاظ والثانى اختلال الانتقال من المعنى الاول الى المعنى الثانى الذى هو المقصود باللفظ والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعانى على بعض فان المعانى الشريفة لا بد فيها فى غالب الامر من بناء ثان على أول ورد تال الى سابق قال الشيخ وهل شىء أحلى من الفكرة اذا استمرت وصادفت نهجا قويما وطريقة تنقاد وتبينت لها الغاية فيما ترتاد . قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة . وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالاعداء ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان قرعه « وبعد » فادا أعدت الحلبات لجرى الجياد ونصبت الاهداف ليعرف فضل الرماة فى الابعاد والسداد فرهان العقول التى تستبق ونضالها التى تمتحن قواها فى تعاطيه هو الفكر والروية والاستنباط (ولأن نيل الشىء بعد طلبه ألذ) ولذلك ضرب المثل لكل مالطف موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال القطامى

وَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ ... مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي

(وقد يتصرف فى القريب بما يجعله غريبا) وهذا على وجوه منها أن

لَمْ تَلقَ هَذَا الوَجْهَ شَمْسُ نَهارِنا إلاَّ بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

وَقَوْلِهِ

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِباً لو لم يكن للثَّاقِباتِ أفُولُ

ويُسمَّى هَذَا التَّشْبِيهَ المَشْرُوطَ: وَباعْتِبَارِ أَدَاتِهِ إِمَّامُؤَكَّدٌ وَهُوَ

يكون كقول أبى الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

وقول الآخر

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ يُوشَعُ

فان تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل لكن كل واحد من حديث الحياء فى الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى الثانى أخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبيه بالأول قول الآخر

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرَتْ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا

ومنها أن يكون كقول الوطواط

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات أفول

وقوله

مَهَا الْوَحْشِ إِلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الْخَطِّ إِلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ (١)

---

(١) يصف النساء بسعة العيون وطول القدود

مَاحُذِفَتْ أَدَاتُهُ ، مِثْلُ : وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَمِنْهُ نحوُ :

وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بِالغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ المَاءِ

وقوله

يَكَادُ يُحْكِيكَ صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِباً لَوْ كَانَ طَلْقَ المُحَيَّا يُمْطِرُ الذَّهَبَا

وَالْبَدْرُ لَوْلَمْ يَغِبْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَالْأُسْدُ لَوْلَمْ تُصَدْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

وهذا يسمى التشبيه المشروط ومنها أن يكون كقوله

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنِّيهَا

وقول ابن بابك

أَلَا يَا رِيَاضَ الْحَزْنِ مِنْ أَبْرَقِ الحِمَى نَسِيمُكِ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكِ مُنْتَحَلْ

حَكَيْتِ أَبَا سَعْدٍ فَنَشْرُكِ نَشْرُهُ وَلَكِنْ لَهُ صِدْقُ الهَوَى وَلَكِ المَلَلْ

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

كما يزداد بذلك لطفا وغرابة كقول امرئ القيس

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (١)

(والريح تعبث بالغصون) البيت لابن خفاجه الأندلسي وعبث الريح بالغصون

---

(١) شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر وشبه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول وعدوه بارخاء الذئب وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجمع بين أربعة تشبيهات كما ترى والارخاء ضرب من عدو الذئب والتقريب وضع الرجلين موضع اليدين في العدو

أَوْ مُرْسَلٌ، وَهُوَ بِخِلَافِهِ، كَمَا مَرَّ. وَبِاعْتِبَارِ الْغَرَضِ إِمَّا مَقْبُولٌ، وَهُوَ الْوَافِي بِإِفَادَتِهِ، كَأَنْ يَكُونَ الْمُشَبَّهُ بِهِ أَعْرَفَ بِوَجْهِ الشَّبَهِ فِي بَيَانِ الْحَالِ، أَوْ أَتَمَّ شَيْءٍ فِيهِ فِي إِلْحَاقِ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ، أَوْ مُسَلَّمَ الْحُكْمِ فِيهِ، مَعْرُوفَهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ، فِي بَيَانِ الْامْكَانِ، أَوْ مَرْدُودٌ، وَهُوَ بِخِلَافِهِ

عبارة عن إمالتها إياها والأصيل هو الوقت بعد العصر الى الغروب يوصف بالصفرة ويعد من أطيب الاوقات كالسحر قال

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصِيلُهُ ... وَوَجْهِي كِلَا لَوْنَيْهِمَا مُتَنَاسِبُ

قال الأبيوردى

لَيَالِيهِ أَسْحَارٌ وَفِيهِ هَوَاجِرٌ ... كَمَا خَضِلَتْ وَالشَّمْسُ تَنعُسُ آصَالُ

فذهب الأصيل صفرته وشعاع الشمس فيه وقوله على لجين الماء فاللجين الفضة أى على ماء كالفضة فى البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار

كَأَنَّمَا أَدْهَمُ الاظْلَامِ حِينَ نَجَا ... مِنْ أَشْهَبِ الصُّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ

وقول الشريف الرضى

أَرْسَى النَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَرِحَتْ ... حَوَامِلُ الْمُزْنِ فِي أَجْدَاثِكُمْ تَضَعُ

وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تُرْضِعُهُ ... عَلَى قُبُورِكُمُ الْعَرَّاضَةُ الْهُمَعُ (١)

(وهو بخلافه) أى ما ذكر أداته وصار مرسلا من التأكيد المستفاد من حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو المشبه به (كما مر) من الأمثلة المذكور فيها أداة التشبيه (وهو بخلافه) أى القاصر عن إفادة

---

(١) الأجداث القبور والعراضة السحاب ذو الرعد والبرق والهمع الماطرة

﴿ خَاتِمَةٌ ﴾ أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّشْبِيهِ فِي قُوَّةِ الْمُبَالَغَةِ بِاعْتِبَارِ ذِكْرِ

الغرض (تكملة) ذهب بعض الناس الى أنه لا فرق بين نحو قولك رأيت أسدا يرمى وبين قولك زيد أسد وأن الثانى استعارة كالأول وليس بتشبيه والصواب بمعزل عن ذلك قال الامام عبد القاهر مافحواه : انه اذا جرى فى الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه كان ذلك على وجهين أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته كقولك عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ووردنا بحرا وأنت تريد الممدوح وهذا تقول فيه انه استعارة لاتتحاشى بتة . والثانى . أن يكون المشبه مذكورا مقدرا وحينئذ فالمشبه به ان كان خبرا أو منزلا منزلته يعنى أن يكون خبر كان وان ومفعولا ثانيا لباب علمت وحالا فالوجه أن هذا يسمى تشبيها ولا تطلق عليه الاستعارة لأن المشبه به اذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعا لاثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه فاذا قلت زيد أسد فقد وضعت كلامك فى الظاهر لاثبات معنى الاسد لزيد واذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لاثبات شبه من الاسد له فيكون اجتلابه لاثبات التشبيه فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها إذ كان إنما جاء ليفيده بخلاف الحالة الأولى فان المشبه به فيها لم يجتلب لاثبات معناه للشيء كما اذاقلت جاءنى أسدو رأيت أسدا فان الكلام فى ذلك موضوع لاثبات المجيء واقعا من الاسد والرؤية واقعة منك عليه لا لاثبات معنى الاسد لشيء فلم يكن ذكر المشبه به لاثبات التشبيه وكان قصد التشبيه أمرا مطويا فى النفس مكنونا فى الضمير لا يعلم الا بعد الرجوع الى شيء من النظر والتأمل واذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما فى الاصطلاح والعبارة بأن تسمى إحداهما

أَرْكَانِهِ كُلِّهَا أَوْبَعْضِهَا حَذْفُ وَجْهِهِ وَأَدَاتِهِ، فَقَطْ، أَوْ مَعَ حَذْفِ الْمُشَبَّهِ

تشبيها والأخرى استعارة . ثم قال : فان أبيت الا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم فان حسن دخول أدوات التشبيه لايحسن اطلاقه وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك زيد الاسد وهو شمس النهار فانه يحسن أن يقال زيد كالاسد وخلته شمس النهار وان حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب فى إطلاقه وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك زيد أسد فانه لايحسن أن يقال زيد كأسد ويحسن أن يقال كأن زيداً أسد ووجدته أسدا وان لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان اطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لايلائم المشبه به كقولك فلان بدر يسكن الارض وهو شمس لا تغيب وكقوله

شَمْسٌ تَأَلَّقُ وَالفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَنَّا وَبَدْرٌ وَالصُّدُودُ كُسُوفُهُ

فانه لا يحسن دخول الكاف ونحوه فى شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته كقولك هو كالبدر الا أنه يسكن الارض وكالشمس إلا انها لاتغيب وكالشمس المتألقة الاأن الفراق غروبها وكالبدر الا أن الصدود كسوفه . وقد يكون فى الصفات التى تجيء فى هذا النحو والصلات التى توصل بها ما يحيل تقدير اداة التشبيه فيه فيقرب حينئذ من القبيل الذى تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه وذلك مثل قول أبى الطيب

أَسَدٌ دَمُ الأَسَدِ الهِزَبْرِ خِضَابُهُ مَوتٌ فَرِيصُ المَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ(١)

فانه لا سبيل الى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت لما فى ذلك من

---

(١) الفريص جمع فريصة وهى لحمة بين الثدى والكتف ترعد من الفزع

ثُمَّ حَذْفُ أَحَدِهِمَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِغَيْرِهِمَا .

التناقض لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه وكذا قول البحترى

وَبَدْرٌ أَضاءَ الْأَرْضَ شَرْقاً وَمَغْرِباً وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمُ

ان رجع فيه إلى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كالبدر لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفا بما ليس فيه فظهر أنه انما أراد أن يثبت من الممدوح بدرا له هذه الصفة العجيبة التى لم تعرف للبدر فهو مبنى على تخييل انه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة فالكلام موضوع لا لاثبات الشبه بينهما ولكن لاثبات تلك الصفة فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت لم تقصد اثبات كونه رجلا لكن اثبات كونه متصفا بما ذكرت فاذا لم يكن اسم المشبه به فى البيت مجتلبا لأثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم من كون الاسم مجتلباً لأثبات الشبه فالكلام فيه مبنى على أن كون الممدوح بدرا أمر قد استقر وثبت وإنما العمل فى إثبات الصفة الغريبة وكما يمتنع دخول الكاف فى هذا ونحوه يمتنع دخول كأن وحسبت لاقتضائهما أن يكون الخبر والمفعول الثانى أمرا ثابتا فى الجملة إلا أن كونه متعلقا بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا كأن زيدا منطلق أو خلاف الظاهر كقولنا كأن زيدا أسد والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة فدخول كأن وحسبت عليها كالقياس على المجهول وأيضا هذا النحو اذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعى حدوث شىء هو من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى.

الحقيقة والمجاز

وَقَدْ يُقَيَّدَانِ بِاللُّغَوِيَّيْنِ * الحَقِيقَةُ الكَلِمَةُ المُسْتَعْمَلَةُ فِيمَا وُضِعَتْ

هذا إذا كان المشبه به خبرا عن المشبه أو منزلا منزلته كما علمت أما ان لم يكن كذلك نحو قولهم رأيت به أسدا ولقيني منه أسد فلا يسمى استعارة (١) لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى على ما يدعى أنه مستعار له إما باستعماله فيه أو باثبات معناه له والاسم فى مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ولأنه يجىء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن أنه استعارة كقوله تعالى . لهم فيها دار الخلد . إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هى نفسها دار الخلد وكقول الشاعر:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ وَلاَ يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

فانه لا يتصور فيه التشبيه وإنما المعنى أنه ليس ببخيل . ولايسمى تشبيها أيضا لأن المشبه به لم يجتلب فيه لأثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب المفتاح تشبيها (الحقيقة والمجاز) الحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الشىء إذا أثبته أو فعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشىء يحق إذا ثبت أى المثبتة أو الثابتة فى موضوعها الأصلى والمجاز مفعل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولا (وقد يقيدان باللغويين) ليتميزا عن الحقيقة والمجاز العقليين والأكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم خروج الشرعى والعرفى

---

(١) سيأتى أن هذا النوع يسمى تجريدا

لهُ فِي اصْطِلاحِ التَّخَاطُبِ ، وَالْوَضْعُ تَعْيِينُ اللَّفْظِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنًى بِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ الْمَجَازُ ، لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ ، دُونَ الْمُشْتَرَكِ ، وَالْقَوْلُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ لِذَاتِهِ ظَاهِرُهُ فَاسِدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَّاكِيُّ . وَالْمَجَازُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

(فى اصطلاح التخاطب) احترزوا بذلك عن المجاز الذى استعمل فيماوضع له لا فى اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً (لأن دلالته بقرينة) وحينئذ لا يسمى التعيين فيه وضعاً (دون المشترك) وهو ما وضع لمعنيين أو أكثر وضعا متعدداً وإنما لم يخرج عن الحد لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم الدلالة على أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك فالقرء مثلا عين مرة ليدل بالاستقلال على الطهر ومرة أخرى ليدل كذلك على الحيض فاذا استعمل فى أحدهما واحتيج الى القرينة المعينة للمراد لم يضر ذلك فى كونه حقيقة (والقول الخ) رأى عباد بن سليمان الصيمرى أن دلالة الألفاظ على معانيها لا تحتاج الى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضى دلالة كل لفظ على معناه لذاته فذهب المصنف وكثير من العلماء الى فساد هذا الرأى لاقتضائه أن يمتنع نقله الى المجاز وجعله علما ووضعه للمتضادين كالجون للأسود والأبيض والناهل للعطشان والريان فان ما بالذات لا يزول بالغير ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . أما السكاكى فانه تأول هذا القول وقال انه تنبيه على ما عليه أئمة علمى الاشتقاق والتصريف من أن للحروف فى أنفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك مستدعية أن العالم بها اذا أخذ فى تعيين شىء منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة كالفصم بالفاء الذى هو

أَمَّا الْمُفْرَدُ فَهُوَ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ فِي اصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ عَلَى وَجْهٍ يَصِحُّ مَعَ قَرِينَةِ عَدَمِ إِرَادَتِهِ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَلَاقَةِ لِيَخْرُجَ الْغَلَطُ وَالْكِنَايَةُ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا لُغَوِيٌّ وَشَرْعِيٌّ وَعُرْفِيٌّ خَاصٌّ

حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين والقصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين وكالثلم بالميم الذى هو حرف خفيف للخلل فى الجدار والثلب بالباء الذى هو حرف شديد للخلل فى العرض وكالزفير بالفاء لصوت الحمار والزئير بالهمز الذى هو شديد لصوت الاسد وماشاكل ذلك وان للتركيبات كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص أيضا فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف وفى ذلك نوع تأثير لانفس الكلم فى اختصاصها بالمعانى « وبعد » فهذا التأويل خلاف المصحح نقله عن عباد فان المنقول عنه أن المناسبة كافية فى دلالة اللفظ على المعنى فلا يحتاج الى الوضع يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما فى القافة ويعرفه غيره منه . وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكى (فى اصطلاح التخاطب) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازا فانه وان كان مستعملا فيما وضع له فى الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب (فلا بد من العلاقة) ليتحقق الاستعمال على وجه يصح (ليخرج الغلط والكناية) يقول إن قولنا على وجه يصح ليخرج الغلط كما تقول خذ هذا الفرس مشيرا الى كتاب وقولنا مع قرينة عدم ارادته لتخرج الكناية لأنها مستعملة فى غير ما وضع له مع جواز ارادة ما وضع له (وكل منهما لغوى) أما الحقيقة فلأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية وان كان

أَوْ عَامٌّ ، كَأَسَدٍ لِلسَّبُعِ وَالرَّجُلِ الشُّجَاعِ ، وَصَلَاةٍ لِلْعِبَادَةِ الْمَخْصُوصَةِ وَالدُّعَاءِ ، وَفِعْلٍ لِلَّفْظِ وَالْحَدَثِ ، وَدَابَّةٍ لِذِي الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْمَجَازُ مُرْسَلٌ ، إِنْ كَانَتِ الْعَلَاقَةُ غَيْرَ الْمُشَابَهَةِ ، وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا تُطْلَقُ

الشارع فشرعية والا فعرفية والعرفية ان تعين صاحبها نسبت اليه كقولنا فقهية ونحوية والا بقيت مطلقة وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذى به وقع التخاطب وكان اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له فى ذلك الاصطلاح إن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى وان كان اصطلاح الشرع فشرعى والا فعرفى عام أو خاص : الحقيقة اللغوية كأسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى السبع المخصوص أما فى الرجل الشجاع فمجاز لغوى والحقيقة الشرعية كصلاة اذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة أما فى الدعاء فمجاز شرعى والحقيقة العرفية الخاصة كفعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة أما فى الحدث فمجاز عرفى خاص والعرفية العامة كدابة إذا استعملها المخاطب بالعرف العام فى ذى الأربع أما فى الانسان فمجاز عرفى عام (مرسل) سموه كذلك لارساله عن التقييد بعلاقة المشابهة (وإلا فاستعارة) فالاستعارة على هذا هى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى لعلاقة المشابهة كظبية فى قولك عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة . وكثيرا ماتطلق على فعل المتكلم أى استعمال اسم المشبه به فى المشبه وحينئذ تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعارا منه والمشبه مستعارا له واللفظ مستعارا . ثم قال المصنف : والمرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وماوضع له ملابسة غير التشبيه كاليد إذا استعملت فى النعمة لان من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل الى المقصود بها

الِاسْتِعَارَةُ عَلَى اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ فِي الْمُشَبَّهِ ، فَهُمَا مُسْتَعَارٌ مِنْهُ وَمُسْتَعَارٌ لَهُ وَاللَّفْظُ مُسْتَعَارٌ ، وَالْمُرْسَلُ كَالْيَدِ فِي النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّاوِيَةِ

قال الامام عبد القاهر : ويشترط أن يكون فى الكلام إشارة الى مصدر تلك النعمة والى المولى لها ، فلا يقال اتسعت اليد فى البلد أو اقتنيت يدا كما يقال اتسعت النعمة فى البلد أو اقتنيت نعمة وانما يقال جلت يده عندى وكثرت أياديه لدى ونحو ذلك ونظير هذا قولهم فى صفة راعى الابل إن له عليها أصبعا أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق فدلوا عليه بالأصبع لانه ما من حذق فى عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع واللطف فى رفعها ووضعها كما فى الخط والنقش وعلى ذلك قيل فى تفسير قوله تعالى بلى قادرين على أن نسوى بنانه أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الاعمال اللطيفة فارادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الاشارة الى حذق فى الصنعة لا مطلقا حتى يقال رأيت أصابع الدار وله أصبع حسنة وأصبع قبيحة على معنى أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك وينظر الى هذا قولهم ضربته سوطا لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطا وتفسيرهم له بقولهم المعنى ضربته ضربة بالسوط بيان لما كان الكلام عليه فى أصله (والقدرة) أى وكاليد فى القدرة لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة فى اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع إلى سائر الأفعال التى تنبىء عن وجوه القدرة ومكانها . وقد تكون اليد للقدرة على سبيل التمثيل كما فى قوله تعالى . والسموات مطويات بيمينه . فليس ذلك من باب المجاز المرسل كما ظنه بعضهم ولذلك قال الزمخشرى رحمه الله : إن الغرض من الآية اذا أخذ بجملته وبمجموعه هو تصوير عظمته تعالى

فِي الْمَزَادَةِ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ، كَالْعَيْنِ فِي الرَّبِيئَةِ، وَعَكْسُهُ

والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) فان السامع لذلك اذا كان له فهم يقع على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وان الأفعال العظيمة التى تتحير فيها الاذهان هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه إلا اجراء العبارة فى مثل هذه الطريقة من التخييل. قال: ولا ترى بابا فى علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله فان أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام وما أتى من زل الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن فى عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفى عنهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدة من عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم من آية أو حديث قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم فى عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير هذا وأما اليد فى قوله عليه السلام: المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم. فمن باب التشبيه أى هم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضا وان تختلف بها الجهة فى التصرف كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين لأن كلمة التوحيد جامعة لهم (وكالراوية فى المزادة) الراوية البعير الذى يستقى عليه والمزادة سقاء الماء فاستعمال الأول فى الثانى ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير والمزادة بسبب حمله إياها. ومثل ذلك إطلاق الخفض متاع البيت على البعير الذى يحمله (كالعين فى الربيئة)

(١) يعنى المجاز المرسل

كالأَصابعِ فِي الأَنَامِلِ، وتَسْمِيَتُهُ بِاسْمِ سَبَبِهِ، نحوُ: رَعَيْنَا الْغَيْثَ، اوْ مُسَبَّبِهِ، نحوُ: أَمْطَرَتِ السَّماءُ نَبَاتًا، أَوْ مَا كانَ عَلَيْهِ، نحوُ: وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، أَوْمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، نحوُ: إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا، أَوْ مَحَلِّهِ نحوُ: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، أَوْحَالِّهِ نحوُ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ، أَيْ

الربيئة الشخص يطلع على عورات العدو فى مكان عال فاطلاق العين عليه لأن العين هى المقصود فى كون الرجل ربيئة إذ ما عداها لا يغنى شيئا مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله فلابد فى الجزء المطلق على الكل من أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل، مثلا لا يجوز إطلاق اليد أو الأصبع على الربيئة وإن كان كل منهما جزءا منه ونظير إطلاق العين على الربيئة إطلاق الرقبة على الانسان فى نحو قوله تعالى فتحرير رقبة (وعكسه) يعنى تسمية الشيء باسم كله (كالأصابع فى الانامل) فى قوله تعالى. يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق. والانملة جزء من الاصبع والغرض منه المبالغة كانه جعل جميع الاصبع فى الاذن لئلا يسمع شيء من الصاعقة (نحو رعينا الغيث) أى النبات الذى سببه الغيث (نحو وآتوا اليتامى أموالهم) أى الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ (فليدع ناديه) أى أهل ناديه (والاستعارة) وهى كما علمت ما كانت علاقته المشابهة أى قصد أن الاطلاق بسبب المشابهة فاذا أطلق نحو المشفر على شفة الانسان فان أريد تشبيها بمشفر الابل فى الغلظ فهو استعارة كما قال الفرزدق

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا عَرَفْتَ قَرَابَتِي ... وَلَكِنَّ زِنْجِيٌّ غَلِيظُ الْمَشَافِرِ

فِي الْجَنَّةِ، أَوْ آلَتِهِ نَحْوُ: وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. أَيْ ذِكْرًا

أى ولكنك زنجى كأنه بعير لا يهتدى لشرفى وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبرقان

قَرَوا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ (١)

فانه وان عنى نفسه بالجار جاز أن يقصد الى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بالزبرقان ويؤكد ما قصده من رميه باضاعة الضيف واسلامه للضر والبؤس . وان أريد أنه من اطلاق المقيد على المطلق فهو مجاز مرسل كاطلاق المرسن على الأنف فى قول العجاج وفاحما ومرسنا مسرجاً . واعلم ، أن صميم هذا العلم فى الحقيقة هو هذا الضرب من البيان أعنى الاستعارة التى تتضمن التشبيه فهى أمد ميدانا وأشد افتنانا وأعجب حسنا واحساناً وأوسع سعة وأبعد غورا وأذهب نجدا فى الصناعة وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها نعم واسحر سحرا واملأ بكل ما يملأ صدرا وأهدى الى أن تهدى اليك عذارى قد تخير لها الجمال وعنى بها الكمال وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت فى الشرف والفضيلة باعا لا يقصر وأبدت من الاوصاف الجليلة محاسن لا تنكر وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلى وتريك الحلى الحقيق وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدنيا وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا وهى أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها وتستوفى جملة حالها ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا وانك

---

(١) العيمان العطشان الى اللبن أشد العطش ومشافره فاعل قلص

حَسَناً . وَالِاسْتِعَارَةُ قَدْ تُقَيَّدُ بِالتَّحْقِيقِيَّةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حِسًّا أَوْ عَقْلاً ،

لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة وخلابة موموقة : ومن خصائصها التى تذكر بها وهى عنوان مناقبها انها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر واذا تأملت أقسام الصنعة التى بها يكون الكلام فى حد البلاغة ومعها يستحق وصف البراعة وجدتها تفتقر الى ان تعيرها حلاها وتقصر عن ان تنازعها مداها وصادفتها نجوماً هى بدرها وروضا هى زهرها وعرائس مالم تعرها حليها فهى عواطل وكواعب مالم تحسنها فليس لها فى الحسن حظ كامل فانك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة والمعانى الخفية بادية جلية واذا نظرت فى أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ولا رونق لها مالم تزنها وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها ان شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وان شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الا الظنون « وبعد » فقد يدور بخلدك ان فى وسع الناس جميعاً أن يجيدوا فى هذا الباب ويأتوا فيه بالابداع والاحسان وهو وربك أكبر من أن يظن به مثل هذا الظن ولقد كبا فيه وقاك الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان فمنهم أبو نواس حيث يقول

رَسْمُ الكَرَى بَينَ الجُفُونِ مُحِيلُ ... عَفَّى عَلَيه بُكاً عليك طَوِيلُ

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت فقال ان كان قول أبى العذافر

* بَاضَ الْهَوَى فى فؤادى وفرّخ التذكار *

حسنا كان هذا حسنا

كقوله :

ومنهم أبو تمام حيث يقول

يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ ... أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ (١)

ولقد أسرف أبو تمام فى هذا فنعى عليه وأطلق لسان عائبه وأكد له الحجة على نفسه فمن ذلك قوله

وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا ... صُرُوفُ الرَّدَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ القَدِّ

وقوله يرثى غلاماً

أَنْزَلَتْهُ الأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ ... بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِى الرِّكَابِ

ولا وجه لاستيعاب ذلك لأن قليله دال على كثيره ولكن انظر إلى قول الحماسى

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ ... طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

أو قول مسلم

تَجْرِى الرِّيَاحُ بِهَا حَسْرَى مُوَلَّهَةً ... حَيْرَى تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ

أو قول أبى العتاهية

أَتَتْهُ الخِلَافَةُ مُنْقَادَةً ... إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا

أو قول الحجاج من خطبة له . إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى لانكم طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال . فانت إذا نظرت إلى مثل

(١) الخرق بالضم العنف وكذلك الحمق والجهل وضم الراء للشعر ويريدون بتقويم الأخدعين . وهما عرقان فى صحفتى العنق (كالليتين) . ازالة الكبر والعنف لأنهم يقولون فى المتكبر العاتى شديد الأخدعين

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِى السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ * أَىْ رَجُلٍ شُجَاعٍ ، وقَوْلِهِ

هذا الكلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحز وطبقت المفصل فان أدركت من نفسك تلك المنة والا أطلقت عليك لسان العائبين (قد تقيد بالتحقيقية) وبهذا التقييد تتميز عن التخييلية والمكنى عنها . قال وانما تسمى تحقيقية لتحقق معناها أى ماعنى بها واستعملت هى فيه حسيا أو عقلا بأن يكون ذلك المعنى أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية أو عقلية فيقال ان اللفظ قد نقل عن مسماه الأصلى فجعل اسما لهذا المعنى على سبيل الاعارة للمبالغة فى التشبيه . أما الحسى فكقول زهير بن أبى سلمى

لَدَى أَسَدٍ شَاكِى السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ (١)

أى لدى رجل شجاع ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه فى الحركات كقول أبى دلامة يصف بغلته

أَرَى الشَّهْبَاءَ تَعْجِنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا وَتَخْبِزُ بِالْيَدَيْنِ

شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدى العاجن فانهما لا تثبتان فى موضع بل تزلان إلى قدام لرخاوة العجين وشبه حركة يديها بحركة يدى الخابز فانه يثنى يده نحو بطنه و يحدث فيها ضربا من التقويس كما تجد فى يد الدابة إذا اضطربت

---

(١) شاكى السلاح وشائك السلاح وشاك السلاح أى تام السلاح كله من الشوكة وهى العدة والقوة . مقذف أى يقذف به كثيرا إلى الوقائع واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه

تَعَالَى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، أَيِ الدِّينَ الْحَقَّ؛ وَدَلِيلُ أَنَّهَا مَجَازٌ لُغَوِيٌّ

فى سيرها ولم تقو على ضبط يديها وأن ترمى بها إلى قدام وأن تشد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عليه فلا تزول عنه ولا تنثنى وأما العقلى فكقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أى الدين الحق (ودليل أنها مجاز لغوى) اختلف العلماء فى الاستعارة هل هى مجاز لغوى أو عقلى فذهب الكثير إلى أنها مجاز لغوى نظرا الى استعمال الأسد فى غير ماهو له عند التحقيق فاناوان ادعينا للشجاع الأسدية فلا نتجاوز فى هذه الدعوى حديث الشجاعة حتى ندعى للرجل صورة الأسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ولئن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الاسد وامكنها فان اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل لها فى مثل تلك الجثة وهاتيك الصورة والهيئة وتلك الانياب والمخالب الى سائر مايعلم من الصور الخاصة فى جوارحه كلها ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة التى تعرفها وحدها لكان صفة لا اسما ولكان كل شىء يفضى فى شجاعته الى ذلك الحد مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً لاعلى طريق التشبيه والتأويل وذهب آخرون الى انها مجاز عقلى بمعنى ان التصرف فى أمر عقلى لا لغوى لأنها لاتطلق على المشبه الا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعنى زيداً انه جعله أسداً كما لايقال لمن سمى ولده أسداً انه جعله أسدا لأن جعل اذا تعدى الى مفعولين كان بمعنى صير فأفاد اثبات صفة للشىء فلا تقول جعلته أميراً إلا على معنى انك أثبت له صفة الامارة وعليه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً المعنى انهم أثبتوا

كَوْنُهَا مَوْضُوعَةً لِلْمُشَبَّهِ بِهِ لَا لِلْمُشَبَّهِ وَلَا لِلْأَعَمِّ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّهَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، بِمَعْنَى أَنَّ التَّصَرُّفَ فِي أَمْرٍ عَقْلِيٍّ لَا لُغَوِيٍّ ، لِأَنَّهَا لَمَّا لَمْ تُطْلَقْ عَلَى الْمُشَبَّهِ إِلَّا بَعْدَ ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ ، وَلِهَذَا صَحَّ التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِهِ :

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

للملائكة صفة الأنوثة واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم اطلاق اسم الاناث عليهم لا أنهم أطلقوا من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم بدليل قوله أشهدوا خلقهم واذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع له قالوا ولذلك صح التعجب فى قول ابن العميد

قامَتْ تظللنى من الشمس نفس أعز علىّ من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

والنهى عن التعجب فى قول أبى الحسن بن طباطبا

يَامَنْ حكَى الماءَ فَرْطُ رِقَّتِهِ وَقَلْبُهُ مِنْ قَسَاوَةِ الحَجَرِ

يَالَيْتَ حَظِّى كَحَظِّ ثَوْبِكَ مِنْ جِسْمِكَ يَا وَاحِداً مِنَ البَشَرِ

لَا تَعجَبُوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى القَمَرِ (١)

وقول الآخر

تَرَى الثِّيَابَ مِنَ الكَتَّانِ يَلْمَحُهَا نُورٌ مِنَ البَدْرِ أَحْيَاناً فَيُبْلِيهَا

---

(١) البلى من بلى الثوب خلق والغلالة شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع

وَالنَّهْىُ عَنْهُ فى قَوْلِه :

لَاتَعْجَبُوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى القَمَرِ

وَرُدَّ بِأَنَّ الِادِّعَاءَ لَا يَقْتَضِى كَوْنَهَا مُسْتَعْمَلَةً فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ ، وَأَمَّا

فَكَيْفَ تُنْكِرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرُهَا وَالْبَدْرُ فِى كُلِّ وَقْتٍ طَالِعٌ فِيهَا (١)

فلولا ان ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيق لما كان لهذا التعجب معنى فليس ببدع ولا منكر ان يظلل انسان حسن الوجه انساناً ويقيه وهجاً بشخصه ولولا ان أبا الحسن جعل صاحبه قمراً حقيقياً لما كان للنهى عن التعجب معنى لان الكتان إنما يسرع اليه البلى حين يلابس القمر الحقيق لاانسانا بلغ فى الحسن غايته وكذلك القول فى شعر ثالث الشعراء .أجاب الفريق الأول عن هذا بأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لايخرجه عن كونه مستعملا فى غير ماوضع له واما التعجب والنهى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة فان قيل اصرار المتكلم على ادعاء الاسدية للرجل ينافى نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص فانا نقول لامنافاة هناك قال صاحب المفتاح وجه التوفيق هو أن تبنى دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل متعارف وهو الذى له غاية جراءة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة وغير متعارف وهو الذى له تلك الجراءة وتلك القوة لامع تلك الصورة بل مع

---

(١) المعاجر جمع معجر كمنبر ثوب تعتجر به المرأة أى تشده على راسها وثوب يمنى

التَّعَجُّبُ والنَّهْىُ عَنْـهُ فَلِلْبِنَاءِ عَلَى تَنَاسِى التَّشْبِيهِ ،قَضَاءً لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ. وَالِاسْتِعَارَةُ تُفَارِقُ الْكَذِبَ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصْبِ الْقَرِينَةِ عَلَى إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ،وَلَا تَكُونُ عِلْمًا، لِمُنَافَاتِهِ الْجِنْسِيَّةَ ،إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ

صورة أخرى على نحو ما ارتكب المتنبى هذا الادعاء فى عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال

نَحْنُ قَوْمٌ مِلْجِنِّ فِى زِىِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ

مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو حكمهم إذا رأوا أسدا هرب عن ذئب انه ليس بأسد واذا رأوا إنسانا لا يقاومه أحد أنه ليس بانسان وإنما هو أسد أو هو أسد فى صورة انسان وان تخصص القرينة بنفيها المتعارف الذى يسبق إلى الفهم ليتعين ما أنت تستعمل الأسد فيه ومن البناء على هذا التنويع قوله

* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ *(١)

وقولهم عتا بك السيف . وقوله عز وجل:يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ومنه قوله

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلَّا الْيَعَافِيرُ وَإِلَّا الْعِيسُ (٢)

(بالبناء على التأويل) فى دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل افراد المشبه به قسمين كما مر والكاذب يتبرأ من التأويل (ونصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر) والكاذب لا ينصب دليلا على خلاف زعمه وانى ينصب وهو لترويج ما يقول راكب كل صعب وذلول (ولا تكون علما) لأنها تعتمد إدخال المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين كما

---

(١) صدره * وخيل قد دلفت لها بخيل * والبيت لعمرو بن معد يكرب

(٢) اليعفور ولد البقرة الوحشية والعيس الابل البيضاء

نَوْعَ وَصْفِيَّةٍ كَحَاتِمٍ ، وَقَرِينَتُهَا إِمَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ : رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي ، أَوْ أَكْثَرُ ، كَقَوْلِهِ :

فَإِنْ تَعَافُوا الْعَدْلَ وَالإِيمَانَا فَإِنَّ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانَا

أَوْ مَعَانٍ مُلْتَئِمَةٌ ، كَقَوْلِهِ :

سبق وذلك غير ممكن فى العلم لمنافاته الجنسية لأنه يقتضى التشخص ومنع الاشتراك والجنسية تقتضى العموم وتناول الافراد واستدل فى الايضاح على أنها لا تكون علما بأن العلم لايدل الا على تعين شيء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا فى مجرد التعين ونحوه من العوارض العامة التى لا يكفى شيء منها جامعاً فى الاستعارة (إلا إذا تضمن نوع وصفية) يسبب اشتهاره بوصف من الأوصاف كحاتم فانه يتضمن الاتصاف بالجود وحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم فى الجود ويتأول فى حاتم فيجعل كأنه موضوع للجود سواء كان ذلك الرجل المعهود من طى أو غيره كما جعل أسد كأنه موضوع للشجاع سواء كان متعارفا أو غيره فبهذا التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد الغير المتعارف وهو من يتصف بالجود لكن استعماله فى غير المتعارف يكون استعمالا فى غير الموضوع له فيكون استعارة نحو رأيت اليوم حاتماً (كقوله فان تعافوا) فتعلق قوله تعافوا بكل من العدل والايمان قرينة على أن المراد بالنيران آلة الحرب التى تشبهها فى اللمعان لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف (أو معان ملتئمة) أى مربوط بعضها ببعض يريد أن تكون القرينة أمراً مركبا (كقوله) أى البحترى : فانظر ماذا صنع حين اراد استعارة السحائب لأنامل يمين الممدوح تفريعاً على ماجرت

وَصَاعِقَةٍ مِنْ نَصْلِهِ تَنْكَفِي بِهَا عَلَى أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسُ سَحَائِبِ

وَهِيَ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ قِسْمَانِ، لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي شَيْءٍ إِمَّا مُمْكِنٌ نَحْوُ أَحْيَيْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ، أَيْ ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ وَلْتُسَمَّ وِفَاقِيَّةً، وَإِمَّا مُمْتَنِعٌ، كَاسْتِعَارَةِ اسْمِ الْمَعْدُومِ لِلْمَوْجُودِ، لِعَدَمِ

به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال أخرى ذكر أن هناك صاعقة ثم قال من نصله فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الأقران ثم قال خمس فذكر العدد الذى هو عدد جميع أنامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السحائب للأنامل وتنكفى من انكفأ أى انقلب (نحو أحييناه) والاحياء والهداية لا شك فى جواز اجتماعهما فى شىء وإنما قال نحو أحييناه لأن الطرفين فى استعارة الميت للضال مما لم يمكن اجتماعهما فى شىء إذ الميت لا يوصف بالضلال (وفاقية) لما بين الطرفين من الوفاق (واما ممتنع) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وان كانت موجودة لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود بها وما اذا خلت منه لم تستحق الشرف (كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم غنائه) أى لانتفاء نفعه كما فى المعدوم وكذلك استعارة اسم الموجود للمعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا للموجود فى ذلك أو اسم الميت للحى الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم فيكون مشاركا للميت فى ذلك ولذلك جعل النوم موتا لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت أو للحى العاجز لأن العجز كالجهل

غَنَائِهِ، وَلْتُسَمَّ عِنَادِيَّةً. وَمِنْهَا التَّهَكُّمِيَّةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ، وَهُمَا مَا اسْتُعْمِلَ فِي ضِدِّهِ أَوْ نَقِيضِهِ، لِمَا مَرَّ: نَحْوُ: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ؛ وَبِاعْتِبَارِ الْجَامِعِ قِسْمَانِ، لِأَنَّهُ إِمَّا دَاخِلٌ فِي مَفْهُومِ الطَّرَفَيْنِ، نَحْوُ: كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ

يحط من قدر الحى (ولتسم عنادية) لتعاند طرفيها فى الاجتماع (لما مر) فى التشبيه من أن التضاد أو التناقض كلاهما ينزل منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم (نحو فبشرهم بعذاب أليم) أى أنذرهم استعيرت البشارة التى هى الأخبار بما يظهر سرور المخبر به للانذار الذى هو ضدها بادخاله فى جنسها على سبيل التمليح والاستهزاء (نحو كلما) نحوه قول امرأة من بنى الحرث ترثى قتيلا

لَوْ يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ ... لَاحِقُ الْآطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ (١)

وقول بعض العرب

وَطِرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَعْمَلَاتٍ ... دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحَا

يقول انه قام بسيفه مسرعا الى نوق فعقرهن ودميت أيديهن فخبطن السيور المشدودة على أرجلن. ومن هذا القسم استعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض فى قوله تعالى وقطعناهم فى الأرض أمماً فان القطع موضوع لازالة الاتصال بين الاجسام التى بعضها ملتزق ببعض فالجامع بينهما ازالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومهما وهى فى القطع أشد واستعارة الخياطة لزرد الدرع فى قول القطامى

---

(١) الميعة أول جرى الفرس وأنشطه والآطال جمع اطل بكسر فسكون وبكسرتين وهى الخاصرة والمراد ضامر الجنبين والنهد بالفتح الفرس العظيم المشرف وخصل الشعر معروفة

إليها، فإنَّ الجامعَ بينَ العدوِ والطيرانِ هوَ قطعُ المسافةِ بسرعةٍ، وهوَ داخلٌ فيهما، وإمَّا غيرُ داخلٍ كما مرَّ، وأيضاً إمَّا عاميَّةٌ، وهيَ المبتذلةُ

لَمْ تلقَ قومًا هُمُ شرٌّ لإخوتِهِمْ ... منَّا عشيَّةَ يجرِي بالدمِ الوادِي
نقريهمُ لهذميَّاتٍ نقدُّ بها ... ما كانَ خاطَ عليهمْ كلُّ زرَّادِ(١)

فان الخياطة تضم خرق القميص والزرد يضم حلق الدرع فالجامع بينهما الضم الذى هو داخل فى مفهومهما وهو فى الأول أشد . واستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب

نثرتهمُ فوقَ الأُحيدبِ نثرةً ... كما نُثرتْ فوقَ العروسِ الدراهمُ(٢)

لأن النثر أن تجتمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه.هذا وأما قوله كلما سمع هيعة طار اليها فهو جزء حديث ولفظه:خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليهاأو رجل فى شعفة فى غنيمة له يعبد الله تعالى حتى يأتيه الموت قال الزمخشرى الهيعة الصيحة التى يفزع منها وأصلها من هاع يهيع اذا جبن والشعفة رأس الجبل والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد فى سبيل الله أو رجل اعتزل الناس وسكن فى رؤوس بعض الجبال فى غنم له قليل يرعاها ويكتفى بها فى أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت (كما مر) من استعارة

---

(١) نقريهم نضيفهم واللهذم من السنان الحاد والقد الشق والزراد صانع الدرع

(٢) الأحيدب اسم جبل ونثرتهم فرقتهم

لِظُهُورِ الْجَامِعِ فِيهَا، نحوُ: رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي، أَوْ خَاصِّيَّةٌ، وَهِيَ الْغَرِيبَةُ وَالْغَرَابَةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّبَهِ، كَقَوْلِهِ:

وَإِذَا احْتَبَى قَرَبُوسُهُ بِعِنَانِهِ ... عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ

وَقَدْ تَحْصُلُ بِتَصَرُّفٍ فِي الْعَامِّيَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ:

* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ *

الأسد للرجل الشجاع والشمس للوجه المتهلل ونحو ذلك (وهى الغريبة) التى لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة (كما فى قوله) أى قول يزيد ابن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له بأنه مؤدب وانه إذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه الى أن يعود اليه . القربوس مقدم السرج والشكيم الحديدة المعترضة فى فم الفرس . شبه هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب فى موقعه من ركبة المحتبى فكانت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه . قال : وقد تحصل الغرابة بتصرف فى العامية بأن يكون التشبيه مشهورا ولكنه يذكر على وجه بديع كما فى قول كثير عزة

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَى دُهْمِ الْمَطَايَا رِحَالُنَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

المقصود وسالت فانه أراد أن الأبل سارت سيرا حثيثا فى غاية السرعة وكانت سرعة فى لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت فى تلك الاباطح فجرت بها ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز

إِذْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ دُونَ الْمَطِيِّ وَأَعْنَاقِهَا ، وَأَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ فِى السَّيْرِ . وَبِاعْتِبَارِ الثَّلَاثَةِ سِتَّةُ أَقْسَامٍ ، لِأَنَّ الطَّرَفَيْنِ إِنْ كَانَا حِسِّيَّيْنِ فَالْجَامِعُ إِمَّا حِسِّىٌّ نَحْوُ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ وَلَدُ الْبَقَرَةِ ، وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِى خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ حُلِىِّ الْقِبْطِ ، وَالْجَامِعُ الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حِسِّىٌّ ؛ وَإِمَّا عَقْلِىٌّ نَحْوُ : وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَشْطُ الْجِلْدِ عَنْ

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَىِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ

أراد أنه مطاع فى الحى وأنهم يسرعون الى نصرته وأنه لايدعوهم لخطب الا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغص بها الوادى ويطفح منها وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة وذلك ان أسند الفعل الى الأباطح والشعاب دون المطى أو أعناقها والانصار أو وجوههم حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل والشعاب من الرجال كما فى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا وفى كل واحد منهما شىء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة أما الذى فى الأول فهو أنه أدخل الاعناق فى السير فان السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى أعناقها وأما الذى فى الثانى فهو أنه قال عليه فعدى الفعل الى ضمير الممدوح بعلى فأكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى . هذا وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل كقول أمرىء القيس :

نحوِ الشاةِ، وَالمُسْتعارَ لَهُ كَشْفُ الضَّوْءِ عَنْ مَكانِ اللَّيلِ، وَهُما حِسِّيَّانِ وَالجامِعُ مايُعْقَلُ مِنْ تَرَتُّبِ أَمْرٍ عَلَى آخَرَ؛ وَإِمَّا مُخْتَلِفٌ، كَقَوْلِكَ: رَأَيتُ شمساً وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْساناً كالشَّمْسِ فِي حُسْنِ الطَّلْعَةِ وَنَباهَةِ الشَّأْنِ، وَإِلَّا فَهُما إِمَّا عَقْلِيَّانِ، نحوُ: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا، فَإِنَّ المُسْتَعارَ مِنْهُ الرُّقادُ، وَالمُسْتَعارَ لَهُ الموتُ، والجامعُ عَدَمُ ظُهورِ الفِعْلِ، وَالجَمِيعُ عَقْلِيٌّ، وَإِمَّا مُخْتَلِفانِ وَالحِسِّيُّ هُوَ المُسْتَعارُ مِنْهُ نَحْوُ: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ، فَإِنَّ المُسْتَعارَ مِنْهُ كَسْرُ

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطى به اذ كان كل ذى صلب يزيد شيء فى طوله عند تمطيه وبالغ فى ذلك بأن جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به وقال الشيخ عبدالقاهر لما جعل الليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له اعجازا قد أردف بها الصلب وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو (مكان الليل) ملقى ظله (والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر) كترتيب ظهور اللحم على كشط الجلد وترتب الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل « هذا » وقد وقع فى عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكى ان المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل . وظاهر ان المراد بالظهور فى كلامهما التميز أى تميز النهار عن ظلمة الليل (نحو فاصدع بما تؤمر) فكأنه قيل ابن الامر ابانة لاتنمحى كما لايلتئم صدع الزجاجة ونظير الآية قوله تعالى ضربت عليهم

الزُّجَاجَةِ، وَهُوَ حِسِّيٌّ، والمُسْتَعَارَ لَهُ التبليغُ، وَالْجَامِعُ التأثيرُ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ وَإِمَّا عكسُ ذَلِكَ، نَحْوُ: إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ، فَإِنَّ المُسْتَعَارَ لَهُ كَثْرَةُ المَاءِ، وَهُوَ حِسِّيٌّ، وَالمُسْتَعَارَ مِنْهُ التَّكَبُّرُ، وَالْجَامِعُ الِاسْتِعْلَاءُ المُفْرِطُ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ. وَبِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ قِسْمَانِ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمَ جِنْسٍ فَأَصْلِيَّةٌ، كَأَسَدٍ وَقَتَلَ، وَإِلَّا فَتَبَعِيَّةٌ، كَالْفِعْلِ وَمَا يُشْتَقُّ مِنْهُ وَالْحَرْفِ فَالتَّشْبِيهُ فِي الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى المَصْدَرِ، وَفِي الثَّالِثِ لِمُتَعَلَّقِ مَعْنَاهُ كَالْمَجْرُورِ

الذلة أى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه أو جعلت ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فالمستعار منه إما ضرب القبة على الشخص وإما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسى والمستعار له حالهم مع الذلة والجامع الاحاطة أو اللزوم وهما عقليان (اسم جنس) هو مادل على ذات صالحة لان تصدق على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الاوصاف فدخل نحو اسد ونحو قتل الاول اسم عين والثانى اسم معنى ونحو حاتم من قولك رأيت اليوم حاتماً وخرج بقولنا الصالحة لان تصدق على كثيرين الاعلام التى لم تتضمن وصفية والمضمرات واسماء الاشارة وقولنا من غير اعتبار وصف من الاوصاف خرج به المشتقات كضارب فانه اسم وضع لذات متصفة بالضرب (وما يشتق منه) كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وافعل التفضيل واسماء الزمان والمكان والآلة (الاولين) أى الفعل ومايشتق منه (الثالث) أى الحرف (كالمجرور فى زيد فى نعمة) أما السكاكى فانه قال واغنى بمتعلقات معانى الحروف ما يعبر به عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها

فِي زَيْدٌ فِي نِعمةٍ ، فَيُقَدَّرُ فِي نَطَقَت الْحَالُ وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ بِكَذَا لِلدَّلَالَةِ بِالنُّطقِ ،وَفِي لَامِ التَّعْلِيلِ نَحْوُ:فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

ابتداء الغاية والى معناها انتهاء الغاية وكى معناها الغرض فهذه ليست معانى الحروف والا لما كانت حروفاً بل اسماء لان الاسمية والحرفية انما هى باعتبار المعنى وانما هى متعلقات لمعانيها أى اذا افادت هذه الحروف معانى رجعت تلك المعانى الى هذه بنوع استلزام . وهذا الذى ذكره السكاكى هو ما جرى عليه علماء هذا الفن (فيقدر) أى حيث كان التشبيه لمعنى المصدر ولمتعلقات معنى الحروف فيقدر فى قولنا نطقت الحال بكذا والحال ناطقة بكذا لدلالة الحال بنطق الناطق فى اتضاح المعنى للذهن ثم تدخل الدلالة فى جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية ويقدر فى لام التعليل (١) نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط كالمحبة والتبنى فى الترتب على الالتقاط والحصول بعده ثم استعمل فى العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل فى العلة الغائية . وهذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشاف حيث قال معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبنى غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله ثم قال وهذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار

---

(١) ويقدر فى قوله تعالى ولا صلبنكم فى جذوع النخل للجذوع بالاوعية ثم للمصلوب بالموعى فاستعيرت فى تبعا لذلك وقس على هذا مثله

وَحَزَنًا ، لِلْعَدَاوَةِ وَالْحُزْنِ بَعْدَ الِالْتِقَاطِ بِعِلَّتِهِ الغَائِيَّةِ : وَمَدَارُ قَرِينَتِهَا فِي الْأَوَّلَيْنِ عَلَى الْفَاعِلِ ، نَحْوُ : نَطَقَتِ الْحَالُ ، أَوِ الْمَفْعُولِ نَحْوُ :

* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاحَا *

ونحوُ : * نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا *

أَوِ الْمَجْرُورِ نحوُ : فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَبِاعْتِبَارِ آخَرَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ

الاسد لمن يشبه الاسد « وبعد » فللقوم فى هذا المقام كلام طويل عريض ليس من سنتنا فى هذا الشرح التعرض لمثله فراجعه هناك ان شئت « قال » المصنف ومدار قرينة الاستعارة التبعية فى الافعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل كقولك نطقت الحال بكذا : الحال ليس ممن ينطق حقيقة فدل ذلك على ان المراد بالنطق الدلالة أوالى المفعول كقول ابن المعتز

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَ السَّمَاحَا

فالذى دل على ان قتل واحيي مستعاران انما هو اسنادهما الى البخل والسماح ولو قال قتل الاعداء واحيي الاحباء لم يكن قتل استعارة بوجه وكذلك احيي أو المفعول الثانى كقول القطامى

لَمْ تَلْقَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

اللهذم من الاسنة القاطع فاراد بلهذميات طعنات منسوبة الى الاسنة القاطعة أو أراد نفس الاسنة والنسبة للمبالغة كأحمرى والقد القطع وزرد الدرع وسردها نسجها . فاسناد القرى الى اللهذميات قرينة على ان نقريهم استعارة

مطلقةٌ، وَهِيَ مَالَمْ تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيعٍ، وَالمُرَادُ المَعْنَوِيَّةُ لَا النَّعْتُ وَمُجَرَّدَةٌ، وَهِيَ مَاقُرِنَ بِمَا يُلَائِمُ المُسْتَعَارَ لَهُ، كَقَوْلِهِ:

* غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً *

أو الى المجرور نحو فبشرهم بعذاب اليم فذكر العذاب قرينة على ان بشر استعارة (بصفة ولا تفريع) أى صفة تلائم أحد الطرفين أو تفريع كلام كذلك اعلم ان الملائم اذا كان من تتمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو صفة وان كان كلاماً مستقلا جيء به بعد ذلك الكلام فهو تفريع سواء كان بحرف التفريع أو لا (كقوله غمر الرداء) فقد استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف لا الرداء فنظر الى المستعار له والبيت لكثير عزة وتمامه : غلقت لضحكته رقاب المال : أى اذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى ايدى السائلين يقال غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر على انفكاكه ونظير البيت قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف حيث قال اذاقها ولم يقل كساها فان المراد بالاذاقة اصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال فاصابها الله بلباس الجوع والخوف قال الزمخشرى الاذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه مايدرك من أثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع فان قيل الترشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف قلنا لأن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس فكان فى الاذاقة إشعار بشدة الاصابة بخلاف الكسوة فان قيل لم لم يقل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف قلنا لأن الطعم وان لاءم الاذاقة فهو مفوت

ومُرَشَّحَةٌ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يُلَائِمُ المُسْتَعَارَ مِنْهُ، نحوُ: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ، كقولِهِ:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

وَالتَّرْشِيحُ أَبْلَغُ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْقِيقِ المُبَالَغَةِ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسِي

لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس (نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فانه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار منه ومن هذا الباب قول الشاعر

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ

لِيَ الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ

فانه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ووصفه بالاعتجار الذى هو وصف الرداء فنظر الى المستعار له (كقوله لدى أسد) فقوله شاكى السلاح مقذف تجريد لأنه وصف يلائم المستعار له وقوله له لبد أظفاره لم تقلم ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه والبيت لزهير بن أبى سلمى وشاكى السلاح تامه ومقذف مرمى به فى الوقائع والحروب . واللبد جمع لبدة ماتلبد من شعر الأسد على منكبيه (والترشيح أبلغ) الترشيح الذى هو ذكر ملائم المستعار منه أبلغ من الاطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة فى التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسى التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى إنه يوضع الكلام فى علو القدر وسمو المنزلة وضعه فى علو المكان كما قال أبو تمام يمدح يزيد الشيبانى:

التَّشْبِيهِ، حَتَّى إِنَّهُ يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْقَدْرِ مَا يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْمَكَانِ، كَقَوْلِهِ:

ويصعد حتى يظن الجهو ل بأن له حاجة فى السماء

فلولا أن قصده أن ينسى التشبيه ويرفعه بجهده ويصمم على انكاره وجحده فيجعله صاعدا فى السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه ومن أبلغ ما يكون فى هذا المعنى قول ابن الرومى

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ بَنُونُو بِخْتَ عِلْماً لَمْ يَأْتِهِمْ بِالْحِسَابِ
بَلْ بِأَنْ شَاهَدُوا السَّمَاءَ سُمُوًّا بِتَرَقٍّ فِي الْمَكْرُمَاتِ الصِّعَابِ
مَبْلَغًا لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَهُ الطَّا لِبُ إِلَّا بِتِلْكُمُ الْأَسْبَابِ

وأعاده فى موضع آخر فزاد الدعوى قوة ومر فيها مرور من يقول صدقا ويذكر حقا

يَا آلَ نُوبَخْتَ لَا عَدِمْتُكُمُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدَلَا
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ لَكُمُ حَقًّا إِذَا مَا سِوَاكُمُ انْتَحَلَا
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بِأَنْ قَاسَ وَلَكِنْ بِأَنْ رَقِيَ فَعَلَا
أَعْلَاكُمُ فِي السَّمَاءِ مَجْدُكُمُ فَلَسْتُمُ تَجْهَلُونَ مَا جُهِلَا
شَافَهْتُمُ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْأَمْ ـرِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُمُ زُحَلَا

ومنه قول بشار:

أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَا

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الجهو ... لُ بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وقول المتنبي :

كَبَّرْتُ نَحْوَ دِيَارِهِم لَمَّا بَدَتْ ... مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا المَشْرِقُ

وقوله :

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ ... وَلَا رَجُلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأُسْدُ

ومنه ما مر من التعجب فى قوله :

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ ... شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهى عن التعجب فى قوله :

لَاتَعْجَبُوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِهِ ... قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى القَمَرِ

أو ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم يجر منهم على بال ولم يروه ولا طيف خيال واذا كانوا مع التشبيه والاعتراف بالأصل يسوغون أن لايبنوا إلا على الفرع ويقولون :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ ... فَعَزِّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلاً

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَا (١)

أو يقولوا :

وَعَدَ البَدرُ بِالزِّيَارَةِ لَيلاً ... فَإِذَا مَاوَفَى قَضَيْتُ نُذُورِي

قُلْتُ يَاسَيِّدِي وَلِمْ تُؤْثِرُ اللَّيـــلَ عَلَى طَلْعَةِ الصَّبَاحِ المُنِيرِ

---

(١) البيتان للعباس بن الأحنف

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَعَجُّبِ وَالنَهْيِ عَنْهُ، وَإِذَا جَازَ الْبِنَاءُ عَلَى الْفَرْعِ مَعَ الِاعْتِرَافِ بِالْأَصْلِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

هِيَ الشَمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَا

قَالَ لَا أُحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُدُورِ (١)

أو يقولوا

قُلْتُ زُورِي فَأَرْسَلَتْ أَنَا آتِيكَ سُحْرَهْ
قُلْتُ فَاللَّيْلُ كَانَ أَخْفَى وَأَدْنَى مَسَرَّهْ
فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ زَادَتِ الْقَلْبَ حَسْرَهْ
أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ بُكْرَهْ

فهم الى تسويغ ذلك مع جحد الأصل فى الاستعارة أقرب ومما له طبقة عالية فى هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو المأخذ قول الفرزدق

أَبَى أَحْمَدُ الْغَيْثَيْنِ صَعْصَعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلِفِ الْجَوْزَاءُ وَالدَّلْوُ يُمْطِرِ
أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرْ عَلَى الْمَوْتِ تَعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرِ

ادعى لأبيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ومن لا يخطر بباله أنه متناول له من طريق التشبيه وكذلك قول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين

---

(١) الأبيات لسعيد بن حميد وكذلك التى بعدها

فَمَعَ جَحْدِهِ أَوْلَى * وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شُبِّهَ بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ تَشْبِيهَ التَّمْثِيلِ لِلْمُبَالَغَةِ، كَمَا يُقَالُ لِلْمُتَرَدِّدِ فِي أَمْرٍ: إِنِّي

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاءَةً بَيْضَاءَ مُحْكَمَةً هُمَا نَسَجَاهَا

تُطْوَى إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُحْزِنًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَسْهَلَتْ نَشَرَاهَا

(وأما المركب) كل ما مر عليك من ضروب المجاز وأمثلته إنما هو فى المجاز المفرد وهذا هو القول فى المجاز المركب المعروف بالتمثيل. المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة، أى تشبه احدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغة فى التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة له: أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام. شبه صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى. وكما يقال لمن يعمل فى غير معمل: أراك تنفخ فى غير فحم وتخط على الماء والمعنى أنك فى فعلك كمن يفعل ذلك وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه: مازال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس وهذا فى المعنى نظير قولهم فلان يقرد فلانا أى يتلطف به فعل من ينزع القراد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت فى مكانه حتى يتمكن

أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى، وَهَذَا يُسَمَّى التَمْثِيلَ عَلَى سَبِيلِ

من أخذه وكذا قوله تعالى : والارض جميعاً قبضته يوم القيامة، المعنى والله أعلم أن مثل الارض فى تصرفها تحت أمر الله وقدرته وأنه لا يشذ شيء مما فيها عن سلطانه عز وجل مثل الشيء يكون فى قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه وكذا قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أى يخلق فيها صفة الطى حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل لانها أشرف اليدين وأقواهما والتى لاغناء للاخرى دونها فلا يهش انسان لشيء الابدأ بيمينه فيهأها لنيله ومتى قصد جعل الشيء فى جهة العناية جعل فى اليد اليمنى ومتى قصد خلاف ذلك جعل فى اليسرى كما قال البحترى

وَإِنَّ يَدِى وَقَدْ أَسْنَدْتُ أَمْرِى إِلَيْهِ الْيَوْمَ فِى يَدِكَ الْيَمِينِ (١)

وقال ابن ميادة

أَلَمْ أَكُ فِى يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِى فَلَا تَجْعَلِينِى بَعْدَهَا فِى شِمَالِكِ

أى كنت مكرما عندك فلا تجعلينى مهانا وكنت فى المكان الشريف منك فلا تحطينى فى المنزل الوضيع وكذا قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب قال الزمخشرى كأن الغضب كان يغريه على مافعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الالواح وجر برأس أخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح الالذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لاتجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة.

---

(١) اليه أى الى يونس بن بغا وكان حظيا عند الممدوح وهو المعتز بالله

الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقاً، ومتى فشا استعماله كذلك سمى مثلاً، ولهذا لا تغير الأمثال.

﴿ فصل ﴾

قد يضمر التشبيه في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه

وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقاً من التقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بان يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي والتمثيل متى فشا استعماله كذلك أي على سبيل الاستعارة سمي مثلا ولكون الامثال واردة على سبيل الاستعارة لا تغير ومن هنا لا يلتفت في الامثال الى مضاربها تذكيرا وتانيثا وافرادا وتثنية وجمعا بل انما ينظر الى مواردها مثلا اذا طلب رجل شيئاً ضيعه قبل ذلك قيل الصيف ضيعت اللبن بكسر التاء لانه في الاصل لامرأة وأما مايقع في كلامهم من نحو ضيعت اللبن في الصيف بتاء المتكلم فليس بمثل بل مأخوذ منه واشارة اليه ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة وهذا في القرآن كثير قال تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا أي حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وقال جل شأنه ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة وقال مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه وقال مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها الى غير ذلك مما لايكاد يحصى (فصل) قد تضافرت آراء الناس على أنه اذا شبه أمر بآخر من غير تصريح بشيء من أركان التشبيه سوى المشبه ودل عليه بذكر ما يخص المشبه به كان هناك استعارة بالكناية وتخييلية لكن اضطربت أقوالهم في تعيين المعنيين

اللذين يطلق عليهما هذان اللفظان ومحصل ذلك يرجع الى ثلاثة أقوال أحدها ما يفهم من كلام القدماء والثانى ما ذهب اليه السكاكى والثالث ما أورده المصنف ههنا . ذهب السلف الى أن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه به المستعار للمشبه المرموز اليه بشىء من لوازمه الدالة عليه فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع فى قولنا رأيت أسدا لكنا لم نصرح بذكر المستعار أعنى السبع بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينتقل منه الى المقصود كما هو شأن الكناية فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية وبهذا يشعر كلام صاحب الكشاف فى قوله تعالى ينقضون عهد الله حيث قال شاع استعمال النقض فى ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشىء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش ، وسيجىء فى الفصل التالى مذهب السكاكى وستسمع فى هذا الفصل مذهب المصنف أما الشيخ الامام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكناية وإنما دل على أن فى قولنا أظفار المنية استعارة بمعنى أنه أثبت للمنية ماليس لها بناء على تشبيهها بما له الاظفار وهو السبع وهذا قريب مما ذكره المصنف فى التخييلية قال فى أسرار البلاغة : الاستعارة على قسمين أحدهما أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلى الى شىء آخر ثابت معلوم يمكن أن ينص عليه وذلك قولك رأيت أسدا وأنت تعنى رجلا شجاعا ورنت لنا ظبية وأنت تعنى امرأة والثانى أن

سِوَى الْمُشَبَّهِ ، وَيُدَلُّ عَلَيْهِ بِأَنْ يُثْبَتَ لِلْمُشَبَّهِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ ، فَيُسَمَّى التَّشْبِيهُ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ ، أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهَا ، وَإِثْبَاتُ

يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعا لا يبين فيه شيء يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذى استعير له ومثاله قول لبيد

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (١)

وذلك أنه جعل للشمال يدا ومعلوم أنه ليس هناك مشار اليه يمكن أن تجرى اليد عليه كاجراء الأسد على الرجل فى قولك انبرى لى أسد يزأر ولهذا لا يصح أن يقال اذ أصبحت بشيء مثل اليد للشمال كما يقال رأيت رجلا مثل الأسد وإنما يتأتى لك التشبيه فى هذا بعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحذو الأول فتقول إذ أصبحت الشمال ولها فى قوة تأثيرها فى الغداة شبه المالك تصريف الشيء بيده فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع ههنا لا يلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف اليه لأنك أردت أن تجعل الشمال كذى اليد من الأحياء فتجعل المستعار له أعنى الشمال مثلا ذا شيء وغرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء وقال أيضاً لا خلاف فى أن لفظ اليد استعارة مع أنه لم ينقل عن شيء إلى شيء إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد وإنما المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا (عليه) أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس (بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به) من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلا أجرى عليه اسم

---

(١) القرة والقر البرد يقول كم غداة تهب فيها الشمال وهى برد الرياح وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم وتحرير المعنى وكم من برد كففت غرب عاديته باطعام الناس

ذَلِكَ الْأَمْرِ لِلْمُشَبَّهِ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً ، كَمَا فِي قَوْلِ الْهُذَلِيِّ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبُعِ فِي اغْتِيَالِ النُّفُوسِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ نَفَّاعٍ وَضَرَّارٍ ، فَأَثْبَتَ لَهَا الْأَظْفَارَ الَّتِي لَا يَكْمُلُ ذَلِكَ فِيهِ بِدُونِهَا ، وَكَمَا فِي قَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحًا فَلِسَانُ حَالِي بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

شَبَّهَ الْحَالَ بِإِنْسَانٍ مُتَكَلِّمٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، فَأَثْبَتَ لَهَا اللِّسَانَ الَّذِي بِهِ قِوَامُهَا فِيهِ ، وَكَذَا قَوْلُ زُهَيْرٍ :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

ذلك الامر (كما فى قول الهذلى) يعنى أبا ذؤيب من قصيدة قالها وقد هلك له خمس بنين فى عام واحد وكانوا فيمن هاجر الى مصر . والتميمة هى الخرزة التى تعلق على الصبى لتكون له حجابا زعموا من العين والجنون. يقول الهذلى إذا مكن الموت أظفاره من شىء ليذهب به بطلت الوقايات والحيل وأسباب النجاة ، هذا » وقد مثل المصنف بثلاثة أمثلة الأول ما تكون التخييلية إثبات ما به كمال المشبه به والثانى ما تكون إثبات ما به قوام المشبه به والثالث ما تحتمل الاستعارة فيه ان تكون تخييلية وأن تكون تحقيقية فاعرف ذلك (ولئن نطقت) قبله

لَا تَحْسَبَنَّ بَشَاشَتِي لَكَ عَنْ رِضًى فَوَحَقِّ جُودِكَ إِنَّنِي أَتَمَلَّقُ

(صحا) أى سلا مجازا من الصحو خلاف السكر (واقصر باطله) يقال اقصر عن الشىء إذا أقلع عنه أى تركه وامتنع عنه « وبعد » فقد ظهر لك

أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَرْتَكِبُهُ زَمَنَ المَحَبَّةِ مِنَ الجَهْلِ وَالغَيِّ ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ ، فَبَطَلَتْ آلَاتُهُ ، فَشَبَّهَ الصِّبَا بِجِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ المَسِيرِ ، كَالحَجِّ وَالتِّجَارَةِ ، قَضَى مِنْهَا الوَطَرَ ، فَأُهْمِلَتْ آلَاتُهَا ، فَأَثْبَتَ لَهُ الأَفْرَاسَ وَالرَّوَاحِلَ ، فَالصِّبَا مِنَ الصَّبْوَةِ ، بِمَعْنَى المَيْلِ إِلَى الجَهْلِ وَالفُتُوَّةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ دَوَاعِيَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالقُوَى الحَاصِلَةَ لَهَا فِي اسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ ، أَوِ الأَسْبَابَ الَّتِي قَلَّمَا تَتَأَخَّذُ فِي اتِّبَاعِ الغَيِّ إِلَّا أَوَانَ الصِّبَا ، فَتَكُونُ الِاسْتِعَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

﴿ فَصْلٌ ﴾

عَرَّفَ السَّكَّاكِيُّ الحَقِيقَةَ اللُّغَوِيَّةَ بِالكَلِمَةِ المُسْتَعْمَلَةِ فِيمَا وُضِعَتْ

من كلام المصنف هذا أن الاستعارة بالكناية هى التشبيه المضمر فى النفس قال الشيخ التفتازانى وعلى هذا لا وجه لتسميتها استعارة بل هى مجرد تسمية خالية عن المناسبة قال وهذا التفسير شىء لا مستند له فى كلام السلف ولا هو يبتنى على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه والمعنى الصحيح هو ما ذهب اليه السلف (أراد) أى بالأفراس والرواحل (فصل) تعرض فيه المصنف لما ذهب اليه السكاكى فى الحقيقة والمجاز والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وبحث معه فى ذلك « وبعد » فلا يذهب على القارئ أن من سنتنا فى هذا الشرح الابعاد به عن كل مالا طائل وراءه ولا غناء فيه وليس بطالب البلاغة اليه حاجة ومن هنا لا نريد أن نزيد فى هذا الفصل على شرح كلام المصنف شيئاً حتى لا نزيد الطين بلة والطنبور نغمة ومن تاقت نفسه

لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ ، وَأَحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْأَخِيرِ عَنِ الِاسْتِعَارَةِ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعَرَّفَ الْمَجَازَ اللُّغَوِيَّ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَاوُضِعَتْ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ فِي اصْطِلَاحٍ بِهِ التَّخَاطُبُ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَأَتَى بِقَيْدِ التَّحْقِيقِ

إلى الوقوف على شيء وراء هذا فلينظر فى كتب القوم (الأخير) وهوقوله من غير تأويل فى الوضع (على أصح القولين) وهو القول بأن الاستعارة مجاز لغوى فانها على هذا مستعملة فيما وضعت له وضعاً بالتأويل وهو ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراد المشبه به قسمين متعارفا وغير متعارف : وأما على القول بأنها مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فى أمر عقلى وهو جعل غير الأسد أسدا وأن اللفظ مستعمل فيما وضع له فيكون حقيقة لغوية فلايصح الاحترازعنها (وعرف المجازاللغوى) بأنه الكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له بالتحقيق استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من ارادة معناها فى ذلك النوع . هذا لفظ السكاكى عدل عنه المصنف كما ترى لما فيه من الابهام والخفاء وقوله بالنسبة متعلق بالغير واللام فى الغير للعهد أى المستعملة فى معنى غير المعنى الذى الكلمة موضوعة له فى اللغة أو الشرع أو العرف غيرا بالنسبة إلى نوع حقيقة تلك الكلمة حتى لو كان نوع حقيقتها لغوياً تكون الكلمة قد استعملت فى غير معناها اللغوى فتكون مجازا لغويا وعلى هذا القياس (على ما مر) من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل لا بالتحقيق فلو لم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هى فى التعريف لأنها ليست مستعملة فى غير ما وضعت

لتدخل الاستعارة على مامر ؛ وردّ بأن الوضع إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل ، وبأن التقييد باصطلاح التخاطب لابدّ منه فى تعريف الحقيقة ، وقسّم المجاز اللغوى إلى الاستعارة وغيرها ، وعرّف الاستعارة بأن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به الآخر ، مدّعيًا دخول المشبّه فى جنس المشبّه به ، وقسّمها إلى المصرّح بها والمكنىّ عنها ، وعنى بالمصرّح بها أن يكون المذكور هو المشبّه به ، وجعل منها تحقيقيّة

له بالتأويل (ورد) يقول : إن ماذكره السكاكى مردود لأمرين الاول أن الوضع وما يشتق منه كالموضوعة والموضوع له إذا أطلق لا يفهم منه الوضع بتأويل وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع فلا حاجة إلى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفى تعريف المجاز بالتحقيق قال فى الايضاح اللهم الا أن يراد زيادة البيان لا تتميم الحد الثانى ان تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه كالذى عبر به(١) السكاكى إذا كان لابد منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازا فلابد منه فى تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق وقد أهمله فى تعريفها (وقسم) مهد المصنف بنقل هذا التقسيم للبحث مع السكاكى فى عد التمثيل الذى هو مجاز مركب من الاستعارة التى جعلها قسما من المجاز المفرد (وغيرها) كالمجاز المرسل (منها) أى من الاستعارة المصرح

---

(١) وهو قوله استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها

وَتَخْيِيلِيَّةً ، وَفَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّمْثِيلَ مِنْهَا ؛ وَرُدَّ بِأَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّرْكِيبِ الْمُنَافِي لِلْإِفْرَادِ ، وَفَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ لِمَعْنَاهُ حِسًّا وَلَا عَقْلًا ، بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهْمِيَّةٌ مَحْضَةٌ ، كَلَفْظِ الْأَظْفَارِ فِي قَوْلِ الْهُذَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبُعِ فِي الْاغْتِيَالِ أَخَذَ الْوَهْمُ فِي تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِهِ وَاخْتِرَاعِ لَوَازِمِهِ لَهَا ، فَاخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ الْأَظْفَارِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْأَظْفَارِ ، وَفِيهِ تَعَسُّفٌ ، وَيُخَالِفُ تَفْسِيرَ غَيْرِهِ لَهَا بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْشِيحُ تَخْيِيلِيَّةً

بها (بما مر) أى بما يكون المشبه المتروك متحققاً حساً أو عقلا (منها) أى من التحقيقية (ورد) يقول ان عد التمثيل من الاستعارة التحقيقية التى هى قسم من المجاز المفرد مردود بأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركبا كما تقدم فكيف يكون قسما من المجاز المفرد (محضة) لا يشوبها شىء من التحقق العقلى أو الحسى (لوازمه) أى ما يلازم صورته ويتم به شكله من الهيئات والجوارح وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس به من الأنياب والمخالب (عليه) أى على ذلك المثل يعنى على الصورة التى هى مثل صورة الأظفار (وفيه تعسف) أى أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة الاعتبارات التى لا يدل عليها دليل ولا تمس اليها حاجة (ويخالف تفسير غيره لها بجعل الشىء للشىء) غير السكاكى فسر التخييلية بجعل الشىء للشىء كجعل اليد للشمال فى قول لبيد

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

لِلزُّومِ مِثْلِ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ ، وَعَنَى بِالْمَكْنِيِّ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمُشَبَّهَ ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَّةِ السَّبُعُ بِادِّعَاءِ السَّبُعِيَّةِ لَهَا ، بِقَرِينَةِ

فعلى تفسير السكاكى يجب أن يجعل للشمال صورة متوهمة شبيهة باليد ويكون اطلاق اليد عليها استعارة تصريحية تخييلية واستعمالا للفظ فى غير ما وضع له وعند غيره الاستعارة هو اثبات اليد للشمال ولفظ اليد حقيقة لغوية مستعملة فى معناه الموضوع له ولهذا قال الشيخ عبد القاهر لا خلاف فى أن اليد استعارة ثم انك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شىء إلى شىء اذ ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا (للزوم مثل ما ذكره فيه) لأن الترشيح فيه اثبات بعض ما يخص المشبه به للمشبه إلا أن التعبير عن المشبه فى التخييلية بلفظه الموضوع له وفى الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقا (وعنى بالمكنى عنها) هذا بحث آخر يقول أن السكاكى أراد بالاستعارة المكنى عنها أن يكون المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه على أن المراد بالمنية فى قول الهذلى واذا المنية أنشبت أظفارها السبع بادعاء السبعية لها وانكار أن يكون شيئاً غير السبع بقرينة اضافة الأظفار التى هى من خواص السبع إلى المنية فقد ذكر المشبه وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع قال المصنف وهذا التفسير مردود بأن لفظ المشبه فى الاستعارة بالكناية مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق للقطع بأن المراد بالمنية فى البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ولا شىء من الاستعارة مستعملا فى معناه الموضوع له تحقيقا لأن السكاكى نفسه فسر الاستعارة بأن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الآخر وجعلها قسما من المجاز اللغوى المفسر بالكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له قال اما اضافة نحو الأظفار فقرينة التشبيه قال فى الايضاح وأما ماذكره

إِضَافَةِ الْأَظْفَارِ إِلَيْهَا ؛ وَرُدَّ بِأَنَّ لَفْظَ الْمُشَبَّهِ فِيهَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وُضِعَ لَهُ تَحْقِيقاً ، وَالِاسْتِعَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِضَافَةُ نَحْوِ الْأَظْفَارِ قَرِينَةُ التَّشْبِيهِ ، وَاخْتَارَ رَدَّ التَّبَعِيَّةِ إِلَى الْمَكْنِيِّ عَنْهَا ، بِجَعْلِ قَرِينَتِهَا مَكْنِيًّا عَنْهَا وَالتَّبَعِيَّةِ قَرِينَتَهَا ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي الْمَنِيَّةِ وَأَظْفَارِهَا ؛ وَرُدَّ بِأَنَّهُ

السكاكى فى تفسير كلامه من أنا ندعى ههنا ان اسم المنية اسم للسبع مرادف للفظ السبع بارتكاب تأويل وهو أن تدخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ثم تذهب على سبيل التخيل الى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا يفيده لأن ذلك لا يقتضى كون اسم المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز (واختار رد التبعية الى المكنى عنها) وإليك ما قاله فى آخر فصل الاستعارة التبعية : هذا ما أمكن من تلخيص كلام الاصحاب فى هذا الفصل ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية بأن قلبوا فجعلوا فى قولهم نطقت الحال بكذا الحال التى ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة كما تراهم فى قوله :

* وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا *

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات الأظفار لها قرينه الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكناية عن حى أبطلت حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة ولو

إِنْ قَدَّرَ التَّبَعِيَّةَ حَقِيقَةً لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً، لِأَنَّهَا مَجَازٌ عِنْدَهُ، فلم تكن المَكْنِيُّ عَنْهَا مُسْتَلْزِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَإِلَّا فَتَكُونُ اسْتِعَارَةً، فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُغْنِياً عَمَّا ذَكَرَهُ غَيْرُهُ.

﴿ فَصْلٌ ﴾

حُسْنُ كُلٍّ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّمْثِيلِ بِرِعَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ

جعلوا أيضاً للهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة الاستعارة لكان أقرب الى الضبط «قال» المصنف وهذا مردود لأن التبعية التى جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية كنطقت فى قولنا نطقت الحال بكذا لا يجوز أن يقدرها حقيقة حينئذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية لأن الاستعارة التخييلية عنده مجاز ولو لم تكن تخييلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخييلية واللازم باطل بالاتفاق فيتعين أن يقدرها مجازا واذا قدرها مجازا لزمه ان يقدرها من قبل الاستعارة لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة فلا يكون ماذهب إليه مغنيا عن قسمة الاستعارة الى أصلية وتبعية «هذا» ما أحببنا ذكره فى هذا الفصل مجتزئين به عما لا طائل تحته مما تشبث به القوم محكمين أنفسهم بين المصنف والسكاكى فان تشوفت الى ذلك فحول نظرك عن كتابنا واعمد به الى أطول العصام ومطول التفتازانى واجمع اليهما حاشيتى عبد الحكيم والجرجانى (برعاية جهات حسن التشبيه) مثل أن يكون التشبيه وافيا بافادة ماعلق به من الغرض وأن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون قريباً لطيفاً لكثرة التفصيل أو لندرة حضوره فى الذهن إلى غير ذلك مما سبق

وَأَنْ لَا يُشَمَّ رَائِحَتُهُ لَفْظًا ، وَلِذَلِكَ يُوصَى أَنْ يَكُونَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ جَلِيًّا ، لِئَلَّا تَصِيرَ إِلْغَازًا ، كَمَا لَوْ قِيلَ رَأَيْتُ أَسَدًا وَأُرِيدَ إِنْسَانٌ أَبْخَرُ ، وَرَأَيْتُ إِبِلًا مِائَةً لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَأُرِيدَ النَّاسُ ، وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ التَّشْبِيهَ أَعَمُّ مَحَلًّا ؛ وَيَتَّصِلُ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى اتَّحَدَا كَالْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالشُّبْهَةِ وَالظُّلْمَةِ لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ وَتَعَيَّنَتِ الِاسْتِعَارَةُ : وَالْمَكْنِيُّ عَنْهَا كَالتَّحْقِيقِيَّةِ ، وَالتَّخْيِيلِيَّةُ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ الْمَكْنِيِّ عَنْهَا .

ذكره (وان لايشم رائحته لفظاً) لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعنى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به (ورأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة) هذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : الناس كإبل مائة لاتجد فيهاراحلة يعنى أن المختار من الناس فى غزة وجوده كالنجيبة التى لا توجد فى كثير من الابل (أعم محلا) أى ان كل ما يتأتى فيه الاستعارة التحقيقية أو التمثيل يتأتى فيه التشبيه وليس كل مايتأتى فيه التشبيه تتأتى فيه الاستعارة التحقيقية أو التمثيل لجواز أن يكون وجه الشبه فيه خفيا فيصير تعمية والغازا كالمثالين المذكورين (لم يحسن التشبية) فاذا فهم الرجل المسئلة فانه يقول حصل فى قلبى نور ولا يقول كأن نورا حصل فى قلبى وإذا وقع فى شبهة يقول وقعت فى ظلمة ولا يقول كأنى فى ظلمة (كالتحقيقية) فى أن حسنها برعاية جهات حسن التشبيه (بحسب حسن المكنى عنها) لأنها لاتكون إلا تابعة لها عند المصنف وأما صاحب المفتاح فلما لم يقل بوجوب كونها تابعة للمكنى عنها قال ان حسنها بحسب حسن

﴿ فَصْلٌ ﴾

وَقَدْ يُطْلَقُ المَجَازُ عَلَى كَلِمَةٍ تَغَيَّرَ حُكْمُ إِعْرَابِهَا بِحَذْفِ لَفْظٍ أَوْ زِيَادَةِ لَفْظٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَجَاءَ رَبُّكَ ، وَأَسْأَلِ القَرْيَةَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى

المكنى عنها حتى كانت تابعة لها وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت فى قول الطائى

لَا تَسْقِنِى مَاءَ المَلَامِ فَإِنَّنِى صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِى

(فصل) اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى كذلك توصف به لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيها لحذف لفظ أو زيادة لفظ أما الحذف فكقوله تعالى واسأل القرية الأصل واسأل أهل القرية فالحكم الذى يجب للقرية فى الأصل وعلى الحقيقة هو الجر فحذف المضاف واكتسى المضاف اليه اعرابه واعلم أن الحكم بالحذف ههنا إنما هو لأمر يرجع الى غرض المتكلم حتى لو رأيت سل القرية فى غير التنزيل لم تقطع بأن ههنا محذوفا لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت وباد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظا ومذكرا أو لنفسه متعظا ومعتبرا سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا على حد قولهم سل الأرض من شق أنهارك . وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك . فانها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا . وأما الزيادة فكقوله تعالى ليس كمثله شىء على القول بزيادة الكاف أى ليس مثله شىء فاعراب مثله فى الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرا : وعندى أن الكاف ليست بزائدة وان الآية من باب الكناية قال فى الكشاف : قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، أَيْ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَأَهْلَ الْقَرْيَةِ ، وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ

﴿ الكِنَايَةُ ﴾

الكِنَايَةُ لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمُ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْمَجَازَ مِنْ جِهَةِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهِ ، وَفُرِقَ بِأَنَّ الِانْتِقَالَ فِيهَا

يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت أترابه يريدون ايفاعه وبلوغه فحينئذ لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان . فان معناه بل هو جواد من غير تصوريد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يدله فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له « هذا » وأما ان كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب كما فى قوله تعالى أو كصيب من السماء اذ اصله أو كمثل ذوى صيب فحذف ذوى لدلالة يجعلون أصابعهم فى آذانهم عليه وحذف مثل لمادل عليه عطفه على قوله كمثل الذى استوقد نارا اذ لا يخفى أن التشبيه ليس من صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب وكقوله فيما رحمة من الله لنت لهم فلا توصف الكلمة بالمجاز كما حقق ذلك الشيخ الامام رحمه الله (الكناية) هى فى عرف اللغة أن تتكلم بشيء وتريد به غيره وقد كنيت بكذا عن كذا أو كنوت وأنشد أبو زياد :

مِنَ اللَّازِمِ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَلْزُومِ ، وَرُدَّ بِأَنَّ اللَّازِمَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلْزُومًا لَمْ يُنْتَقَلْ مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الِانْتِقَالُ مِنَ الْمَلْزُومِ . وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

وَإِنِّي لَأَكْنُو عَنْ قَدُورٍ بِغَيْرِهَا وَأُعْرِبُ أَحْيَانًا بِهَا فَأُصَارِحُ

وفى مصطلح النظار من علماء البيان قال الشيخ الامام : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء الى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومى به اليه ويجعله دليلا عليه. وقال غير الشيخ: الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ كقولك فلان طويل النجاد أى طويل القامة وفلانة نؤم الضحى أى مرفهة مخدومة غير محتاجة الى السعى بنفسها فى اصلاح المهمات وذلك أن وقت الضحى وقت يسعى فيه نساء العرب وراء المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج اليه فى تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك . ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأول فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أى من جهة جواز إرادة المعنى مع ارادة لازمه فان المجاز ينافى ذلك فلا يصح فى نحو قولك فى الحمام أسد ان تريد معنى الأسد من غير تأول لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما تقدم وملزوم معاند الشىء معاند لذلك الشىء وفرق السكاكى وغيره بينهما بوجه آخر أيضا وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم كالانتقال من طول النجاد الذى هو لازم لطول القامة اليه ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم كالانتقال من الأسد الذى هو ملزوم الشجاع الى الشجاع قال المصنف وهذا مردود بأن اللازم ما لم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه الى الملزوم لأن اللازم من

الأُولَى المَطْلُوبُ بِهَا غَيْرُ صِفَةٍ وَلَا نِسْبَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هِيَ مَعْنًى وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ :

* وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ *

وَمِنْهَا مَا هِيَ مَجْمُوعُ مَعَانٍ كَقَوْلِنَا - كِنَايَةٌ عَنِ الْإِنْسَانِ - حَيٌّ مُسْتَوِي الْقَامَةِ عَرِيضُ الْأَظْفَارِ ، وَشَرْطُهُمَا الِاخْتِصَاصُ بِالْمَكْنِيِّ عَنْهُ ؛ وَالثَّانِيَةُ الْمَطْلُوبُ بِهَا صِفَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الِانْتِقَالُ بِوَاسِطَةٍ فَقَرِيبَةٌ ؛

حيث أنه لازم يجوز أن يكون أعم من الملزوم ولا دلالة للعام على الخاص فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم كما فى المجاز فلا يتحقق الفرق (فمنها) أى فمن الأولى (كقوله والطاعنين مجامع الاضغان) فمجامع الأضغان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت

* الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ *

والمخذم القاطع ونظير البيت قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله للذئب

فَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ثلاث كنايات لا كناية واحدة لاستقلال كل واحد منها بافادة المقصود (وشرطهما الاختصاص بالمكنى عنه) ليحصل الانتقال منهما اليه (والثانية المطلوب بها صفة) يقول : الثانية من أقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات كالجود والكرم والشجاعة وهو ضربان قريبة وبعيدة فالقريبة ما ينتقل منها الى المطلوب بها لا بواسطة

وَاضِحَةٌ ، كقَوْلِهِمْ - كِنَايَةً عَنْ طُولِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نِجَادُهُ وَطَوِيلُ النِّجَادِ ، وَالْأُولَى سَاذَجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَّا لِتَضَمُّنِ الصِّفَةِ الضَّمِيرَ أَوْ خَفِيَّةٌ ، كقَوْلِهِمْ - كِنَايَةً عَنِ الْأَبْلَهِ - عَرِيضُ الْقَفَا ، وَإِنْ كَانَ

وهى اما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده وهذه كناية ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح وطويل النجاد وهذه كناية مشتملة على تصريح مالتضمن الصفة فيه وهى طويل ضمير الموصوف واما خفية يتوقف الانتقال منها على تأمل وإعمال روية كقولهم كناية عن الابله عريض القفافان عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرطا فيما يقال دليل الغباوة ألاترى الى قول طرفة بن العبد

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ (١)

والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف فانه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة احراق الحطب تحت القدور ومنها إلى كثرة الطبائخ ومنها إلى كثرة الآكلة ومنها إلى كثرة الضيفان ومنها إلى المقصود وكقوله

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فانه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس دونها مع كون الهرير فى وجه من لا يعرفه طبيعيا له إلى استمرار تأديبه لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ومن

---

(١) الضرب الرجل الخفيف اللحم ورجل خشاش هو الماضى من الرجال وشبه تيقظه وذكاء ذهنه بتوقد رأس الحية

الانتقالُ بواسطةٍ فبعيدةٌ ، كقولهم : كثيرُ الرَّمادِ ، كنايةً عن المضيافِ فإنَّهُ يُنتقلُ مِنْ كثرةِ الرَّمادِ إلى كثرةِ إحراقِ الحطبِ تحتَ القُدُورِ ، ومِنها إلى كثرةِ الطَّبائخِ ، ومنها إلى كثرةِ الأكلةِ ،

ذلك الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقاص ومن ذلك الى أنه مشهور بحسن قرى الاضياف وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الام ومنه إلى قوة الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات (١) ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ومنها إلى أنه مضياف ومن هذا النوع قول نصيب

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ ... وَغَيْرِهِمِ مِنَنٌ ظَاهِرَهْ

فَبَابُكَ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمِ ... وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ

وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالزَّائِرِينَ ... مِنَ الْأُمِّ بِالِابْنَةِ الزَّائِرَهْ

فانه ينتقل من وصف كلبه مما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته اياهم ليلا ونهارا ومنه إلى لزومهم سدته ومنه إلى تسنى مباغيهم لديه من غير انقطاع ومته إلى وفور احسانه إلى الخاص والعام وهو المقصود ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يكادُ إذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً ... يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهْوَ أَعْجَمُ

ومنه قول ابراهيم بن هرمة

لَا أُمْتِعُ العُوذَ بِالفِصَالِ وَلَا ... أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

---

(١) أى التى لها أولاد تتلوها من أتلت الناقة اذا تبعها ولد

وَمِنْهَا إِلَى كَثْرَةِ الضِّيفَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ . الثَّالِثَةُ الْمَطْلُوبُ بِهَا نِسْبَةٌ ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ

فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثْبِتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الْحَشْرَجِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، فَتَرَكَ التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ إِلَى الْكِنَايَةِ بِأَنْ جَعَلَهَا

فانه ينتقل من عدم امتاعها إلى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعى بالنظر اليها ومن ذلك إلى نحرها أو لا يبقى العوذ ابقاء على فصالها وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ومن نحرها الى أنه مضياف ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى ولما سقط فى أيديهم أى ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطاً فيها لان فاه قد وقع فيها (نسبة) أى اثبات أمر لامر أو نفيه عنه وهذا معنى قول صاحب المفتاح ان المطلوب تخصيص الصفة بالموصوف ولم يرد بالتخصيص الحصر اذ لا وجه له هنا (كقوله) أى قول زياد الاعجم . فانه أراد كما لا يخفى ان يثبت هذه المعانى والاوصاف خلالا للممدوح وضرائب فيه فترك ان يصرح فيقول انها لمجموعة فيه أو مقصورة عليه وما شاكل ذلك مما هو صريح فى اثبات الاوصاف للمذكورين بها وعدل الى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها فى القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه فخرج كلامه بذلك الى ما خرج اليه من الجزالة وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان الا كلاما غفلا وحديثاً ساذجا ومما هو لطيف فى هذا المعنى قول أبى نواس

فِي قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ عَلَيْهِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ: الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالْكَرَمُ بَيْنَ بُرْدَيْهِ، وَالْمَوْصُوفُ فِي هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَذْكُورٍ كَمَا يُقَالُ فِي عُرْضِ مَنْ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . . السَّكَاكِيُّ: الْكِنَايَةُ تَتَفَاوَتُ إِلَى تَعْرِيضٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمْزٍ

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ ... وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

وقول الآخر

يَصِيرُ أَبَانٌ قَرِينَ السَّمَاحِ ... وَالْمَكْرُمَاتِ مَعًا حَيْثُ صَارَا

وقول الثالث

* وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنِ *

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة فى الممدوح باثباتها فى المكان الذى يكون فيه وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذى يحله وهكذا إذا اعتبرت قول الشنفرى الأزدى يصف امرأة بالعفة

يَبِيتُ بِمِنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا ... إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتِ

وجدته يدخل فى معنى بيت زياد وذلك أنه توصل إلى نفى اللوم عنها وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه وكان مذهبه فى ذلك مذهب زياد فى التوصل إلى جعل السماحة والمروءة والندى فى ابن الحشرج بأن جعلها فى القبة المضروبة عليه وإنما الفرق أن هذا ينفى وذاك يثبت وذلك فرق لا فى موضع الجمع فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد (فى عرض) العرض يضم العين الناحية والجانب يريد كما يقال فى التعريض بمن يؤذى المسلمين الخ (كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فانه كناية عن

وَإِشَارَةٍ وَإِيمَاءٍ ، وَالْمُنَاسِبُ لِلْعُرْضِيَّةِ التَّعْرِيضُ، وَلِغَيْرِهَا - إِنْ كَثُرَتِ الْوَسَائِطُ - التَّلْوِيحُ ، وَإِنْ قَلَّتْ مَعَ خَفَاءِ الرَّمْزُ ، وَبِلَا خَفَاءِ الْإِيمَاءُ وَالْإِشَارَةُ ، ثُمَّ قَالَ : وَالتَّعْرِيضُ قَدْ يَكُونُ مَجَازاً ، كَقَوْلِكَ آذَيْتَنِي

نفى الاسلام عن المؤذى (تتفاوت) يريد تتنوع (والمناسب للعرضية التعريض) اليك عبارة السكاكى . متى كانت الكناية عرضية(١) كان إطلاق التعريض عليها مناسباً(٢) وإذا لم تكن كذلك فان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى كثير الرماد واشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن كانت المسافة قريبة مع نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسبا لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية قال

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا ... مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدِي هُنَاكَ كَلَامَهَا

وإن لم يكن هناك خفاء فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة كقول أبى تمام يصف إبلا

أَبَيْنَ فَمَا يَزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ ... وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيد

فانه فى إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف وكقول البحترى

---

(١) أى مسوقة لموصوف غير مذكور

(٢) لأن التعريض إمالة الكلام إلى عرض أى جانب يدل على المقصود يقال عرضت بفلان ولفلان إذا قلت قولا وأنت تعنيه فكأنك أشرت به إلى جانب وأنت تريد جانباً آخر

فَستَعْرِفُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَاناً مَعَ المخَاطَبِ دُونَهُ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَهُما جَمِيعاً كانَ كِنَايَةً وَلاَ بُدَّ فِيهِما مِنْ قَرِينَةٍ .

أَوَ مَارَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِى آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

فانه فى إفادة أن آل طلحة أماجد ظاهر وكقول الآخر

إِذَا اللهُ لَمْ يَسْقِ إِلاَّ الْكِرَامَ فَسَقَى وُجُوهَ بَنِي حَنْبَلِ

وَسَقَى دِيَارَهُمُ بَاكِراً مِنَ الْغَيْثِ فِى الزَّمَنِ المُمْحِلِ

وكقول الآخر

مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ تَمِيمِ

وأما قوله

سألت الندى والجود مالى أراكما تبدلتما ذلا بعز مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدماً فقالا أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا متما عند موته فقد كنتما عبديه فى كل مشهد

فقالا أقمنا كى نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

فعلى ما ترى من الظهور (دونه) أى دون المخاطب أى لا تريد تهديده أى وحيث تريد بهذا الكلام تهديد غير المخاطب دون المخاطب صارت تاء الخطاب غير مراد بها أصلها وإذن يكون هذا الكلام مجازاً « تكملة » قال صاحب الكشاف الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا : وحسبك بالتسليم منى تقاضياً . فكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود

﴿ فصل ﴾

أَطْبَقَ الْبُلَغَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ وَالْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّصْرِيحِ لِأَنَّ الِانْتِقَالَ فِيهِمَا مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى اللَّازِمِ فَهُوَ كَدَعْوَى الشَّيْءِ بِبَيِّنَةٍ وَأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ .

ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده وقال ابن الأثير الكنابة ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما وتكون فى المفرد والمركب والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقى أو المجازى بل من جهة التلويح والاشارة فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة والله إنى لمحتاج فانه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ أى جانبه وعرض كل شيء جانبه (فصل) أجمع أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعانى على أن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة والكناية أبلغ من الافصاح والتعريض أوقع من التصريح وان للاستعارة مزية وفضلا على التصريح بالتشبيه قال الشيخ الامام : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خلافه بل لأنه يفيد تأكيدا لاثبات المعنى لا يفيده خلافه فليست فضيلة قولنا رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلا هو والأسد سواء فى الشجاعة ان الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى وليست فضيلة قولنا كثير الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثانى بلى هى أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات كثرة القرى له لم يفده الثانى فالسبب فى أن للكناية مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل

﴿ الفنُّ الثالثُ علم البديعِ ﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْمُطَابَقَةِ وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ ، مَعْنَوِيٌّ وَلَفْظِيٌّ ، أَمَّا الْمَعْنَوِيُّ فَمِنْهُ

يعلم أن اثبات الصفة باثبات دليلها آكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجئ اليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلا وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت رأيت اسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشىء الذى يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذى نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك أنه إذا كان أسدا فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلا كالأسد كنت قد أثبتها إثبات الشىء يترجح بين أن يكون وبين ألا يكون ولم يكن من حديث الوجوب فى شىء (وجوه تحسين الكلام) إعلم أنه قد أطبق البلغاء على أن هذه المحسنات البديعية لا سيما اللفظية منها لا تحل محلها من القبول ولا تقع موقعها من الحسن حتى يكون المعنى هو الذى استدعاها وساقها نحوه وحتى تجدها لا تبتغى بها بدلا ولا تجد عنها حولا ومن هنا ذم الاستكثار منها والولوع بها لأن المعانى لا تدين فى كل موضع لها إذ هى فى الغالب ألفاظ والألفاظ خدم المعانى مصرفة فى حكمها فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشىء عن جهته وأحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل الاحتفاء بالبديعيات ولزموا سجية الطبع

الْمُطَابَقَةُ ، وَتُسَمَّى الطِّبَاقَ وَالتَضَادَّ أَيضاً ، وَهِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ أَيْ مَعْنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْجُمْلَةِ ، وَيَكُونُ بِلَفْظَيْنِ مِنْ نَوْعٍ ، اسْمَيْنِ

أمكن فى العقول وأوضح للمراد وأسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذى هو ضرب من الخداع بالتزويق . وقد تجد فى كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بالبديعيات إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده كمن أثقل العروس بأصناف الحلى حتى يناله من ذلك مكروه فى نفسها ولعمرى لن تجد أيمن طائرا وأحسن أولا وآخرا وأهدى إلى الاحسان وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعانى على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فانها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها فأما أن تضع فى نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين مثلا فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم وهو الذى يجعل عبارتك حرية بقول أبى الطيب

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا ... وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

(أى معنيين متقابلين فى الجملة) يعنى ليس المراد بالمتضادين ههنا الامرين الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف فى الجملة وفى بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الايجاب والسلب أو تقابل العدم والملكة أو تقابل التضايف

نَحْوُ : وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ، أَوْ فِعْلَيْنِ نَحْوُ : يُحيِي وَيُمِيتُ أَوْ حَرْفَيْنِ ، نَحْوُ : لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ نَحْوُ : أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ ، طِبَاقُ الْإِيجَابِ ، كَمَا

وما يشبه شيئا من ذلك (نحو يحيي ويميت) مثله قوله تعالى: تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء . وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار : انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقول بشار

إِذَا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبِّهْ لَهَا عَمْراً ثُمَّ نَمْ

(نحو لها ما كسبت) فان فى اللام معنى الانتفاع وفى على معنى التضرر أى لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وتخصيص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد فى تحصيله واعمل . ومما كان إنطباق فيه بين حرفين قول الشاعر .

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمِلَ الْهَوَى وَأَخْلُصَ مِنْهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

(نحو أو من كان ميتاً فأحييناه) فان أحدهما اسم والآخر فعل ومثله قول طفيل الغنوى يصف فرساً

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ

« هذا » ومن لطيف الطباق قول أبى تمام

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وقالوا هذا أحسن ابتداء فى مرثية اسلامية . وقوله أيضا

مَرَّ ، وَطِبَاقُ السَّلْبِ، نحوُ: وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ،
وَنَحْوُ : فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ، وَمِنَ الطِّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

وَضَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَابِسُ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

ومنه قول كثير بن هراسة لابنه : يابنى إن من الناس ناساً ينقصونك اذا زدتهم وتهون عليهم اذا أكرمتهم ليس لرضاهم موضع فتقصده ولا لسخطهم موقع فتحذره فاذا عرفت أولئك بأعيانهم فأبد لهم وجه المودة وامنعهم موضع الخاصة ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزا دون شرهم وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم (وطباق السلب) وهو أن يجمع فى الكلام بين الثبوت والانتفاء . ومنه قول امرىء القيس

هَضِيمُ الْحَشَى لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خَصْرُهَا وَيُمْلَأُ مِنْهَا كُلُّ حِجْلٍ وَدُمْلُجِ

وقول السموأل

وَنُنْكِرُ إِنْ شُئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

وقول أبى تمام

إِلَى سَالِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُودِ سَالِمُ

(ومن الطباق نحو قوله) أى قول أبى تمام من قصيدته التى يرثى بها أبا نهشل حين استشهد وأولها

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

وَيَلْحَقُ بِهِ نحوُ : أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، فإِنَّ الرَّحْمَةَ مُسَبَّبَةٌ عَنِ اللِّينِ ، ونحوُ قَوْلِهِ :

وهى من أعيان المراثى . وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تدبيجاً وفسره بأن يذكر فى معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية أما تدبيج الكناية فكبيت أبى تمام فانه ذكر فيه لون الحمرة والخضرة وكنى بالأول عن القتل وبالثانى عن دخول الجنة وأما تدبيج التورية فكقول الحريرى . فمذ ازور المحبوب الأصفر واغبر العيش الأخضر اسود يومى الابيض وابيض فودى الأسود حتى رثى لى العدو الأزرق فياحبذا الموت الاحمر فقوله المحبوب الاصفر تورية عن الذهب لأن معناه القريب انسان له صفرة (هذا) ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

بِأَنا نُورِدُ الرَايَاتِ بِيضاً ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وقول ابن حيوس

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالِ
تَلْقَ بِيضَ الْوُجُوهِ سُودَ مُثَارِ النَقْعِ خُضْرَ الاكْنَافِ حُمْرَ النِّصَالِ

(خضر) هو مرفوع على أنه خبر بعد خبر لا بالجر صفه لسندس لأن القوافى مضمومة الروى (ويلحق به) أى بالطباق شيئان فاولهما الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم كما فى الآية فان الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة فهى مسببة عن اللين الذى هو ضد الشدة وثانيهما الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

ويُسَمَّى الثَّانِى إِيهَامَ التضادِ ، ودَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ باسْمِ المُقَابَلَةِ وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ثُمَّ بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ على التَّرْتِيبِ . وَالمُرَادُ بالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ ، نحوُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كثيرًا .

الحقيقيان كما فى البيت فانه لا تقابل بين البكاء وظهور المشيب لكنه عبر عن ظهور المشيب بالضحك الذى معناه الحقيقى مقابل للبكاء وهذا البيت لدعبل وبعده

قَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِى شَبِيبَتِهِ وَالْآنَ يَحْسُدُ كُلَّ مَنْ ضَحِكَا

لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِى أَحَداً قَلْبِى وَطَرْفِى فِى دَمِى اشْتَرَكَا

ومثله قول أبى تمام

مَا إِنْ تَرَى الْأَحْسَابَ بِيضاً وَضَّحاً إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى المَنَايَا سُودَا

وقوله أيضا فى الشيب

لَهُ مَنْظَرٌ فِى الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِى الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

(ويسمى الثانى ايهام التضاد) لأن المعنيين قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظراً إلى الظاهر (فيه) أى فى الطباق (ما يختص باسم المقابلة) جعله السكاكى وغيره قسما برأسه من المحسنات المعنوية (والمراد بالتوافق خلاف التقابل) فلا يشترط أن يكون المعنيان متناسبين أو متماثلين (نحو فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) مثله قول الذبيانى

ونحوُ قولهِ :

مَاأَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَاإِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

وَنحوُ : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَالْمُرَادُ بِاسْتَغْنَى أَنَّهُ زَهِدَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ، أَوِاسْتَغْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَاعَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَّاكِيُّ :

فَتًى تَمَّ فيهِ مَايَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَايَسُوءُ الْأَعَادِيَا

(ونحو قوله) أى قول أبى دلامة ومثله قول أبى الطيب

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرُ

« هذا » وإنما كرر المصنف كلمة نحو لأنه مثل أولا لما كان فيه مقابلة اثنين باثنين وثانيا لمقابلة ثلاثة بثلاثة وثالثا لأربعة بأربعة والمقابلة فى الآية الثانية مركبة من طباق وملحق به كما لايخفى (وزاد السكاكى وإذا شرط) عبارته : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده كقوله تعالى فأما من أعطى الآيتين لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك وهى المنع والاستغناء والتكذيب (ومنه) أى ومن المعنوى (وقوله) أى قول البحترى فى وصف الابل الانضاء . ومثله قول اسيد بن عنقاء الفزارى

وَإِذَا شُرِطَ هُنَا أَمْرٌ شُرِطَ ثَمَّةَ ضِدُّهُ كَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جُعِلَ التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الإِعْطَاءِ وَالِاتِّقَاءِ وَالتَّصْدِيقِ جُعِلَ ضِدُّهُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ أَضْدَادِهَا ... وَمِنْهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ ، وَيُسَمَّى التَّنَاسُبَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَقَوْلِهِ :

كَالْقِسِيِّ الْمُعَطَّفَاتِ بَلِ الْأَسْهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الْأَوْتَارِ

وَمِنْهَا مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الْمَعْنَى ، نَحْوُ : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَيَلْحَقُ بِهَا نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشِّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ

وقول ابن خفاجة يصف فرسا :

مِنْ جُلَّنَارٍ نَاضِرُ خَدِّهِ وَأُذْنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ

(ومنها) من مراعاة النظير (نحو لا تدركه الابصار) فان اللطف يناسب مالا يدرك بالبصر والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فان من يدرك شيئاً يكون خبيرا به (بها) أى بمراعاة النظير (نحو الشمس والقمر بحسبان) أى بحساب معلوم وتقدير سوى والنجم النبات الذى ينجم من الارض لاساق له كالبقول والشجر الذى له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له فالنجم بهذا المعنى وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما

بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَيُسَمَّى إِيهَامَ التَّنَاسُبِ * وَمِنْهُ

ولهذا سمى ايهام التناسب (ومنه الارصاد) وهو فى الاصل نصب الرقيب فى الطريق من رصدته أى رقبته والرصيد السبع الذى يرصد ليثب والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع المؤنث . وهذا النوع قالوا انه من محمود الصنعة فان خير الكلام مادل بعضه على بعض وفى الافتخار به يقول ابن نباتة السعدى

خُذْهَا إِذَا أُنْشِدَتْ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ ... صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا

يَنْسَى لها الرَّاكِبُ العَجلانُ حَاجَتَهُ ... وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الغَضْبَانُ يَطْوِيهَا

ومن لطيف هذا النوع قول زهير

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلاً لاَ أَبَالَكَ يَسْأَمِ

وقول الراعى

وَإِنْ وُزِنَ الحَصَى فَوَزَنْتُ قَوْمِى ... وَجَدْتُ حَصَى ضَرِيبَتِهِمْ رَزِينَا

وقول البحترى

أَبْكِيكُمَا دَمْعاً وَلَو انِّى عَلَى ... قَدْرِ الْجَوَى أَبْكِى بَكَيْتُكُمَا دَمَا

وقوله أيضا

أَحَلَّتْ دَمِى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ ... بِلاَ سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلاَمِى

فَلَيْسَ الذى حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ ... وَلَيسَ الذى حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

فليس يذهب على السامع وقد عرف القافية وصدر البيت الثانى ان

الْإِرْصَادُ ، وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُمُ التَّسْهِيمَ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجُزِ مِنَ الْفِقْرَةِ أَوِ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرَّوِيُّ نحوُ : وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وقولِهِ :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

* وَمِنْهُ الْمُشَاكَلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظِ غَيْرِهِ لِوُقُوعِهِ فِي صُحْبَتِهِ تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا ، فَالْأَوَّلُ نحوُ قَوْلِهِ :

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

ونحوُ : تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالثَّانِي نحوُ : صِبْغَةَ اللهِ ، وهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِآمَنَّا بِاللهِ ، أَيْ تَطْهِيرَ اللهِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ

عجزه هو ماقاله البحترى (التسهيم) من البرد المسهم أى المخطط (إذا) لم تستطع) هو لعمرو بن معد يكرب (نحو قوله) أى قول ابن الرقعمق فانه ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام (ونحوه تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه فى صحبة نفسى « هذا » ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

(وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف رحمه الله قال : صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهو فعلة من صبغ كالجلسة من جلس والمعنى تطهير الله لأن الايمان يطهر النفوس

يُطَهِّرُ النُّفُوسَ ، وَالأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ المَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَعُبِّرَ عَنِ

والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جىء بالصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار أغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصنع الكرم . قال فى الايضاح بعد هذا النوع : ومنه الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى كقول الحماسى

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

وعليه قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة وأشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى هذا أصله وقد يكون الثانى هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل اليه كقول أبى اسحاق الصابى

إِنْ كُنْتُ خُنْتَكَ فِي المَوَدَّةِ سَاعَةً فَذَمَمْتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَحْمُودَا

الإيمانِ باللهِ بِصِبْغَةِ اللهِ لِلْمُشَاكَلَةِ بِهَذِهِ القَرِينَةِ * وَمِنْهُ المُزَاوَجَةُ ، وَهِيَ : أَنْ يُزَاوِجَ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالجَزَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِيَ الهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الهَجْرُ

* وَمِنْهُ العَكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّمَ جُزْءٌ مِنَ الكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرَ ، وَيَقَعُ عَلَى وُجُوهٍ ، مِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحَدِ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ نَحْوُ : عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ العَادَاتِ ، وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتَعَلَّقَيْ فِعْلَيْنِ

وَزَعَمتُ أَنَّ لَهُ شَرِيكاً فِي العُلَا وَجَحَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا
قَسَماً لَوَ انِّي حَالِفٌ بِغَمُوسِهَا لِغَرِيمِ دَيْنٍ مَا أَرَادَ مَزِيدَا

ولا بأس أن يسمى هذا ايهام الاستطراد (أن يزواج) أى يجعل معنيان واقعان فى الشرط والجزاء مزدوجين فى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر (كقوله) أى قول البحترى . فقد زواج بين نهى الناهى واصاختها للواشى الواقعين فى الشرط والجزاء فى أن رتب عليهما لجاج شىء ومن المزاوجة قول البحترى أيضا

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْماً ففَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ القُرْبَى ففَاضَتْ دُمُوعُهَا

فزواج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شىء عليهما (ومنه العكس) قالوا وهو أن تقدم فى الكلام جزأ ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ماقدمت وهذا أوضح مما قاله المصنف (أضيف)

فِي جُمْلَتَيْنِ ، نحوُ : يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ ، وَمِنْها أَنْ يَقَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفَيْ جُمْلَتَيْنِ ، نحوُ : لاَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ * ومنهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ العَوْدُ إِلى الكلاَمِ السَّابِقِ بِالنَّقْضِ لِنُكْتَةٍ ، كقولِهِ :

قِفْ بالدِّيَارِ التَّى لَمْ يَعْفُها القِدَمُ بَلَى وَغَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ

* وَمِنْهُ التَّوْرِيَةُ ، وَيُسَمَّى الإِيهَامَ أَيضاً ؛ وَهُوَ : أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ

أى ذلك الطرف (نحو يخرج الحى من الميت) مثله قول الحماسى

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّوُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا

(نحو لاهن حل لهم) مثله قول أبى الطيب

فَلاَ مَجْدَ فِى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلاَ مَالَ فِى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وقول الآخر

إِنَّ اللَّيالِىَ لِلأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطْوَى وَتُنْشَرُ دُونَهَا الأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطِوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ

(قف بالديار) هو لزهير بن أبى سلمى : الأرواح الرياح والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم فى سكون . فقد دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ثم عاد اليه ونقضه بأنه قد غيرها الرياح والأمطار لنكتة وهو اظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهشة حتى كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ثم ثاب اليه عقله فتدارك كلامه فقال بلى وغيرها الارواح والديم ومثل هذا بيت الحماسة

مَعْنَيانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادَ الْبَعِيدُ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ ، مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يُلَائِمُ القَرِيبَ ، نَحْوُ : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَمُرَشَّحَةٌ نَحْوُ : وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ * وَمِنْهُ الِاسْتِخْدَامُ ، وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا ثُمَّ يُرَادَ بِضَمِيرِهِ الآخَرُ ، أَوْ يُرَادَ بِأَحَدِ ضَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا ثُمَّ يُرَادَ بِالآخَرِ الآخَرُ ، فَالأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكِ وَكُلًّا لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

وقول الآخر

فَأُفٍّ لِهَذَا الدَّهْرِ لَا بَلْ لِأَهْلِهِ

(نحو الرحمن على العرش استوى) فانه أريد باستوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقترن به شيء مما يلائم القريب الذى هو الاستقرار (ومرشحة) وهى التى قرن بها ما يلائم القريب المورى به عن البعيد (نحو والسماء بنيناها بأيد) فان المراد بالايدى المعنى البعيد وهو القدرة وقد قرن بها ما يلائم القريب الذى هو الجارحة المخصوصة وهو قوله بنيناها «هذا» والذى ذكره صاحب الكشاف فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى انه تمثيل لأنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك ولما امتنع ههنا المعنى الحقيقى صار مجازا كقوله. وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان أى جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتشبيه من ضيق

إِذَا نَزَلَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كانُوا غِضَابَا

وَالثَّانِى كقوْلِهِ :

فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمُ شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِى وَضُلُوعِى

* ومِنهُ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ ، وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ عَلَى التَّفْصِيلِ ، اوِ الاجْمَالِ ، ثُمَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ ، ثِقَةً بِأَنَّ السَّامِعَ

العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام وكذلك قوله جل شأنه والسماء بنيناها بأيد تمثيل وتصوير لعظمته من غير ذهاب بالايدى الى جهة حقيقة أو مجاز (١) وقد شدد النكير على تفسير اليد بالنعمة والايدى بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، وقد ذكر الشيخ فى دلائل الاعجاز ما يؤيد ذلك وشنع على من يذهب هذه المذاهب من المفسرين أكبر تشنيع حتى لقد قال ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ان توهموا أبدا فى الالفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم اذا هم أخذوا فى ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون فى غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق (كقوله اذا نزل) فانه أراد بالسماء الغيث وبضميرها النبت والبيت قيل لجرير وقيل لمعوذ الحكماء (كقوله فسقا الغضا) فانه أراد بضمير الغضا فى قوله والساكنيه المكان وفى قوله شبوه أى اوقدوه الشجر والبيت للبحترى من قصيدة بائية وحقيقته

فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانح وقلوب

---

(١) يعنى المجاز المرسل والا فهو مجاز بالاستعارة لأنه تمثيل كما قال

يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ، فالأَوَّلُ ضَرْبَانِ ، لِأَنَّ النَّشْرَ إِمَّا عَلَى تَرْتِيبِ اللَّفِّ نحوُ : وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِمَّا عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبِهِ ، كقوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتِ حِقْفٌ وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ لَحْظاً وَقَدّاً وَرِدْفَا

وَالثَّانِي نحوُ قوْله تعَالَى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

(نحو ومن رحمته) مثله قول ابن حيوس

فِعْلُ المُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

وقول ابن الرومى

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ

فِيهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصَابِحٌ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأُخْرَيَاتُ رُجُومُ

(كقوله) أى قول ابن حيوس . والحقف الرمل العظيم المستدير يشبه به الكفل فى العظم والاستدارة فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف «هذا» وهناك نوع آخر من اللف لطيف المسلك وهو أن يذكر متعدد على التفصيل ثم يذكر ما لكل ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الاجمال ملفوظاً أو مقدرا فيقع النشر بين لفظين أحدهما مفصل والآخر مجمل وعلى هذا جاء قوله تعالى . فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون قال صاحب الكشاف الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما

أَوْ نَصَارَى، أَىْ قَالَتِ الْيَهودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُودًا ، وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ نَصَارَى ، فَلَفَّ لِعَدَمِ الِالْتِبَاسِ ، لِلْعِلْمِ بِتَضْلِيلِ كلِّ فَرِيقٍ صَاحِبَهُ *وَمِنهُ الْجَمْعُ ، وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ مُتَعَدِّدٍ فِى حُكْمٍ كقوْلِه تعالَى: الْمَالُ وَالْبَنونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَنحوُ قوْلِه :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ والجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَىُّ مَفْسَدَهْ

*وَمِنهُ التَّفْرِيقُ، وَهُوَ إِيقَاعُ تَبَايُنٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، مِنْ نَوْعٍ ، فِى الْمَدْحِ أَوْ غَيْرِهِ ، كقوْلِه :

مَا نَوَالُ الغَمَامِ وقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الأَمِيرِ وَقْتَ سَخَاءِ

هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص فى إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان (ان الشباب) هو لأبى العتاهية والجدة الاستغناء (مانوال الغمام) هو لرشيد الدين الوطواط وبدرة العين جلد ولد الضأن مملوءاً من الدراهم . فقد أوقع التباين بين النوالين مع أنهما من نوع واحد وهو مطلق نوال ومن لطيف هذا النوع قوله

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِى الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ

فنوالُ الأميرِ بدْرَةُ عَيْنٍ ونوالُ الغَمامِ قطْرَةُ ماءِ

* ومِنهُ التقْسِيمُ : وهُوَ ذِكرُ مُتعدِّدٍ ثمَّ إضافَةُ ما لِكلٍّ إليْهِ على التعْيِينِ ، كقوْلِهِ :

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إلاَّ الأَذَلاَّنِ عَيْرُ الحَيِّ وَالْوَتِدُ
هذا على الخَسْفِ مَربُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلاَ يَرْثِي له أحدُ

* ومنه الجَمْعُ مَعَ التفْرِيقِ، وهو أنْ يُدْخِلَ شيآنِ فِي مَعْنًى ويُفرِّقَ

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهْوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ

(وهو ذكر متعدد) وقال السكاكى هو أن تذكر شيئا ذا جزئين أو أكثر ثم تضيف الى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله

أَدِيبَانِ فِي بَلْخٍ لاَ يَأْكُلاَنِ إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِدْ
فَهَذَا طَوِيلٌ كَظِلِّ الْقَنَاةِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَظِلِّ الْوَتِدْ

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر (كقوله ولا يقيم) البيتان للمتلمس : الضيم الظلم والعير الحمار غلب على الوحشى والمناسب هنا الاهلى والخسف الذل والرمة قطعة من حبل والشج الدق والكسر والمعنى ظاهر فقد ذكر العير والوتد ثم أضاف الى الأول الربط مع الخسف وإلى الثانى الشج على التعيين . ومن جيد التقسيم قول أبى تمام

فَمَا هُوَ إِلاَّ الْوَحْيُ أَوْحَدُّ مُرْهَفٍ تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَيْ كُلِّ مَائِلِ
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ

بين جِهَتَيِ الْاِدْخَالِ، كقوله:

فَوَجْهُكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَلْبِيَ كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا

* وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ، وَهُوَ جَمْعُ مُتَعَدِّدٍ تَحْتَ حُكْمٍ، ثُمَّ تَقْسِيمُهُ، أَوِ الْعَكْسُ، فَالْأَوَّلُ كقوله:

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالبِيَعُ

لِلسَّبْيِ مَانَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَاوَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَاجَمَعُوا وَالنَّارِ مَازَرَعُوا

والثانى كقوله:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

(كقوله فوجهك) فقد شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار وفرق بين وجهى المشابهة والبيت للوطواط (أو العكس) أى تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم (حتى أقام) البيتان للمتنبى والارباض جع ربض وهو ما حول المدينة وخرشنة بلد من بلاد الروم والشاهد فى البيتين ظاهر (كقوله قوم) البيتان لحسان بن ثابث والبدع جمع بدعة وهى الحدث فى الدين بعد الكمال والمراد بها هنا محدثات الاخلاق. فقد قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين الى ضر الاعداء ونفع الأولياء ثم جمعهما فى البيت الثانى حيث قال سجية تلك ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمُ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدَا

لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ مَاسَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَّرِدَا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ

* ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم ، كقوله تعالى : يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه ، فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ، وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين ، أحدهما أن تذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل ما يليق به ، كقوله :

فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّى وَأَنَّكُمُ سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدَا

فقوله خلاف الحالتين جمع لما قسم لطيف وقد ازداد لطفا بحسن مابناه عليه من قوله فقد سكنت إلى انى وانكم (كقوله تعالى يوم يأتى) أما الجمع فى قوله يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بأذنه فان قوله نفس متعدد معنى وأما التفريق فى قوله فمنهم شقى وسعيد وأما التقسيم فى قوله فأما الذين شقوا إلى آخر الآية الثانية . يأتى أى الله سبحانه ، أى أمره أو يأتى اليوم أى هوله والزفير اخراج النفس بشدة والشهيق رده بشدة وغير مجذوذ غير مقطوع ومن هذا النوع قول ابن شرف القيروانى

لِمُخْتَلِفِى الحاجَاتِ جمعٌ بِبَابِهِ فَهذا له فَنٌّ وَهَذا له فَنُّ

فَلِلخَامِلِ الْعُلْيَا وَلِلمُعْدِمِ الغِنَى وَلِلمُذنِبِ العُتَى وللخائف الْأَمْن

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ ... كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ

ثِقَالٌ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا ... كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا

والثَّانِي اسْتِيفَاءُ أَقْسَامِ الشَّيْءِ ؛ كَقَوْلِهِ تعالى : يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا

(كقوله سأطلب) البيتان للمتنبي والقنا الرماح وأراد بالمشايخ قومه والالتثام وضع اللثام على الفم والأنف وكان ذلك من دأب العرب فقوله من طول ما التثموا أى شدوا اللثام حالة الحرب يريد كثيرا ما شنوا الغارات ثم وصفهم بشدة الوطأة على العدا والثبات على اللقاء وانهم مسرعون إلى الاجابة اذا دعوا الى كفاية مهم ومدافعة خطب مدلهم وان الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم . فقد ذكر أحوال المشايخ وأضاف الى كل حال ما يناسبها وهو ظاهر (كقوله يهب لمن يشاء أناثا) فان الانسان إما أن يكون له ولد أو لا يكون فان كان فاما أن يكون ذكرا أو أنثى أو ذكراً وأنثى وقد استوفى جميع الأقسام وانما قدم ذكر الاناث لأن سياق الكلام انه تعالى يفعل مايشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الأناث اللاتى هن من جملة مالا يشاؤه الانسان أهم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء فلما اخر الذكور لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر : ومن هذا الضرب ما حكى عن اعرابى وقف على حلقة الحسن فقال رحم الله من تصدق من فضل أو آسى من كفاف أو اثر من قوت فقال الحسن ما ترك لاحد عذرا ومنه قول طريح

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجعلُ مَنْ يَشاءُ عَقيمًا *ومنهُ التَّجْرِيدُ ، وهوَ أن يُنتزَعَ من أمرٍ ذِى صفةٍ آخرُ مثلهُ فِيها مبالغةً لِكَمالها فيهِ ، وهوَ أقْسامٌ منها نحوُ قولهم : لِى من فلانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ ، أىْ بَلغَ فُلانٌ منْ الصَّداقةِ حدًّا صحَّ معَهُ أنْ يُسْتَخْلَصَ مِنهُ آخرُ مِثْلُهُ فِيها ، وَمِنها نحوُ قوْلِهِمْ : لَئِنْ سَأَلْتَ فُلانًا لَتَسْأَلَنَّ بِهِ الْبَحْرَ وَمِنْهَا نحوُ قَوْلِهِ :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بى إلى صَارِخِ الْوَغَى بِمُسْتَلْئِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أَذَاعُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبوا

وقول أبى تمام فى الافشين لما أحرق

صَلَّى لها حَيًّا وَكَانَ وَقُودَها مَيْتًا وَيَدْخُلُها مَعَ الفُجَّارِ

(نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلا بمن التجريدية (حميم) فى الصحاح حميمك قريبك الذى تهتم لامره (نحوقولهم الخ) مما يكون حاصلا بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه وهذا القول يقال فى مقام المبالغة فى وصف فلان بالكرم (نحو قوله الخ) مما يكون حاصلا بدخول الباء فى المنتزع (وشوهاء) فرس شوهاء صفة محمودة يراد بها سعة أشداقها وصارخ الوغى أى المستغيث فى الحرب والمستلئم لابس اللأمة وهى الدرع والفنيق الفحل المكرم عند أهله والمرحل من رحل البعير اشخصه عن مكانه وأرسله فقد بالغ فى اتصافه بالاستعداد للحرب حتى انتزع منه مستعداً آخر

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ، أَىْ فِى جَهَنَّمَ ، وَهِىَ دَارُ الْخُلْدِ ؛ وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

فَلَئِنْ بَقِيتُ لَأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ تَحْوِى الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مِنِّى كَرِيمٌ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ

يَاخَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

وَمِنْهَا مُخَاطَبَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

لابساً درعا (ومنها نحو قوله تعالى) مما يكون حاصلا بدخول فى على المنتزع منه فان جهنم أعاذنا الله منها هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل معدا فيها للكفار تهويلا لأمرها ومبالغة فى اتصافها بالشدة (ومنها نحو قوله) مما يكون حاصلا بدون توسط حرف وعنى بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة فى كرمه والبيت لقتادة بن مسلمة الحنفى (وقيل تقديره أو يموت منى كريم) فيكون من قبيل لى من فلان صديق حميم فلا يكون قسما آخر (وفيه نظر) لحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير (ومنها نحو قوله) أى قول الاعشى . فان فيه تجريداً بطريق الكناية حيث انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لأنه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم (لقوله لا خيل عندك) هو للمتنبى ومثله قول الاعشى

* وَمِنْهُ الْمُبَالَغَةُ الْمَقْبُولَةُ ، وَالْمُبَالَغَةُ أَنْ يُدَّعَى لِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِى الشِّدَّةِ أَوِ الضَّعْفِ حَدًّا مُسْتَحِيلاً أَوْ مُسْتَبْعَدًا ، لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

« هذا » ومن لطيف التجريد قول المعرى

مَاجَتْ نَمِيرٌ فهاجت مِنْكَ ذَا لِبَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالاً مِنَ النَّمِرِ

وقول الآخر

إِنْ تَلْقَنِى لاتَرَى غَيْرِى بِنَاظِرَةٍ تَنْسَ السِّلاحَ وَتَعْرِفْ جَبْهَةَ الأَسَدِ

(المقبولة) يشير بهذا الى الرد على من زعم انها مردودة مطلقاً محتجاً بأن خير الكلام ماخرج مخرج الحق وكان على منهج الصدق كما قال السيد حسان بن ثابت

وَإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمُقَا

وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

وعلى من زعم انها مقبوله مطلقاً وأن الفضل مقصور عليها والمحاسن كلها منسوبة اليها محتجا بأن أحسن الشعر أكذبه وخير الكلام مابولغ فيه ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان فى قوله

لَنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

حيث استعمل جمع القلة يعنى الجفنات والاسياف وقد ذكر وقت الضحوة وهو وقت تناول الطعام وقال يقطرن دون يسلن أويفضن أونحو ذلك (فيه) أى فى الشدة أو الضعف (كقوله) أى قول امرىء القيس

مُتَنَاهٍ فِيهِ ، وَتَنْحَصِرُ فِى التَّبْلِيغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْغُلُوِّ ، لِأَنَّ الْمُدَّعَى إِنْ كَانَ مُمْكِناً عَقْلاً وَعَادَةً فَتَبْلِيغٌ ، كقوله :

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

وَإِنْ كَانَ مُمْكِناً عَقْلاً لَا عَادَةً فَإِغْرَاقٌ ، كقوله :

حيث وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثورا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة . . ومن الحسن فى باب المبالغة قول الحماسى

رَهَنْتُ يَدِى بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِى لِلشَّكُورِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ وَلَكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

وقول ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِى شَيْئاً أُؤَمِّلُهُ تَرَكْتَنِى أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرومى

لَوْ أَنَّ قَصْرَكَ يَا بْنَ يُوسُفَ مُمْتَلٍ إِبَراً يَضِيقُ بِهَا فِنَاءُ الْمَنْزِلِ
وَأَتَاكَ يُوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً لِيَخِيطَ قَدَّ قَمِيصِهِ لَمْ تَفْعَلِ

وقال أيضاً

فَتًى عَلَى خُبْزِهِ وَنَائِلِهِ أَشْفَقُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهْ
رَغِيفُهُ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ مَكَانَ رُوحِ الْجَبَانِ مِنْ جَسَدِهْ

(كقوله) أى عمرو بن الايهم التغلبى . ادعى أن جاره لايميل عنه الى

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا

وَهُمَا مَقْبُولَانِ، وَإِلَّا فَغُلُوٌّ، كَقَوْلِهِ:

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ ... لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

جهة الا وهو يتبعه الكرامة وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا ومن هذا النوع قول امرىء القيس

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي

وقول القائل

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوًى وَصَبَابَةٍ ... عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرُ

يريد أنه لوكان مابه من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط (كقوله وأخفت) هو لابى نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد ومما يتصل بهذا مايحكى أن العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال أما استحييت من الله بقولك وأخفت أهل الشرك ألبيت فقال له أبو نواس وأنت أما استحييت من الله بقولك

مَازِلْتُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطَّرَحًا ... يَضِيقُ عَنِّي وَسِيعُ الرَّأْيِ مِنْ حِيَلِي

فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْعَى بِلُطْفِكَ لِي ... حَتَّى اخْتَلَسْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيْ أَجَلِي

ومن الغلو قول البحترى

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا ... فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

ومن هنا أخذ المتنبى قوله

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا ... مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصُنَا

وَالمَقْبُولُ مِنْهُ أَصْنَافٌ ، مِنْهَا مَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الصِّحَّةِ نَحْوُ يَكَادُ فِي : يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، وَمِنْهَا مَا تَضَمَّنَ نَوْعاً حَسَناً مِنَ التَّخْيِيلِ ، كَقَوْلِهِ :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا لَوْ تَبْتَغِي عَنَقاً عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا

وَقَدِ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ :

ومن الغلو الغث قول المتنبي

فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ

ومثل هذا من الكلام مردود لايشتغل بالاحتجاج عنه له والتحسين لأمره وهو بترك التداول أولى الاعلى وجه التعجب منه ومن قائله (والمقبول منه) أى من الغلو (عقدت) هو للمتنبي من قصيدة يمدح بها ابن عمار وقبله

أَقَبِلْتَ تَبْسِمُ وَالْجِيَادُ عَوَابِسٌ يَخْبُبْنَ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا

السنابك جمع سنبك وهو طرف الحافر والعثير التراب والعنق نوع من السير . ادعى ترا كم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤسها بحيث صار أرضا يمكن سيرها عليه وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن (وقد اجتمعا) أى ادخال مايقربه الى الصحة وتضمن التخييل الحسن (فى قوله) أى فى قول القاضى الارجانى يصف الليل بالطول . يقول يخيل لى أن الشهب محكمة بالمسامير فى الظلام لاتنتقل من مكانها وأن أجفان عينى قد شدت باهدابها الى الشهب لطول سهرى فى ذلك الليل وهذا تخييل

يُخَيَّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجَى وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي

وَمِنْهَا مَا أُخْرِجَ مُخْرَجَ الْهَزْلِ وَالْخَلَاعَةِ، كَقَوْلِهِ:

أَسْكَرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْ بِ غَدًا إِنَّ ذَا مِنَ الْعَجَبِ

* وَمِنْهُ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ، وَهُوَ إِيرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ، نَحْوُ: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا، وَقَوْلِهِ:

حسن ولفظ يخيل يزيده حسنا «هذا» ومن المقبول فى الغلو قول أبى العلاء المعرى

تَكَادُ قِسِيُّهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تُمَكِّنُ فِي قُلُوبِهِمِ النِّبَالَا

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا

وقول ابن المعتز يصف فرسا

يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ إِذَا تَدَلَّى السَّوْطُ لَوْلَا اللَّبَبْ

وقال الفرزدق

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ رُكْنَ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمِ

وقال آخر

يَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً عَنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ

وذم أعرابى رجلا فقال يكاد يعدى لؤمه من تسمى باسمه ومثل هذا النوع فى الكلام كثير (اسكر بالامس) لايعلم قائله ومعناه ظاهر (ومنه المذهب الكلامى) وأول من ذكره الجاحظ وانكر وجوده فى القرآن (طريقة أهل الكلام) هى أن تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب (لوكان فيها آلهة الا الله لفسدتا) واللازم وهو فساد السموات

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْذَبُ

وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبٌ ... مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ ... أَحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ

كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا

* وَمِنْهُ حُسْنُ التَّعْلِيلِ ، وَهُوَ أَنْ يُدَّعَى لِوَصْفٍ عِلَّةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ بِاعْتِبَارٍ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقِيٍّ ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَضْرُبٍ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ إِمَّا ثَابِتَةٌ قُصِدَ بَيَانُ عِلَّتِهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِمَّا أَنْ لَا يَظْهَرَ

والأرض باطل لان المراد به خروجهما عن النظام الذى هما عليه فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة . ومثل الآية قوله تعالى أيضاً وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أى والاعادة أهون عليه من البدء والأهون من البدء ادخل فى الامكان من البدء فالاعادة ادخل فى الامكان من البدء وهو المطلوب وقوله تعالى فلم يعذبكم بذنوبكم أى انتم تعذبون والبنون لايعذبون فلستم ببنين له (وقوله حلفت) الأبيات للنابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر فيها الى النعمان بن المنذر وقد كان مدح آل جفنة بالشام فتنكر النعمان من ذلك والريبة الشك ومستراد معناه موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ . فهو يقول أنت أحسنت الى قوم فمدحوك وأنا أحسن الى قوم فمدحتهم فكما أن مدح أولئك لك لايعد ذنبا فكذلك مدحى لمن احسن الى لايعد ذنبا

لها فِي الْعَادَةِ عِلَّةٌ ، كقوْلِهِ :

لَمْ يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

اوْ يَظْهَرَ لَهَا عِلَّةٌ غَيْرُ المَذْكُورَةِ ، كقوْلِهِ :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ

فَإِنَّ قَتْلَ الأَعْدَاءِ فِي الْعَادَةِ لِدَفْعِ مَضَرَّتِهِمْ ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ .

(كقوله لم يحك) هو للمتنبي والنائل العطاء والرحضاء العرق أثر الحمى فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة له لا يظهر لها علة فى العادة وقد علله بأنه عرق حماها الناجمة عن عطاء الممدوح . ومن هذا الضرب قول أبى تمام

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

علل عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالى كالطود العظيم من جهة ان الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى والغنى لحاجة الخلق اليه كالسيل وقول ابن نباتة فى صفة فرس ادهم محجل القوائم ذى غرة

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيلُ منه وتَطْلُعُ بين عَينَيهِ الثُّرَيَّا

سَرَى خَلْفَ الصَّباحِ يَطِيرُ مَشْيًا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الأَفلاكَ طَيًّا

فَلَمَّا خَافَ وَشْكَ الفَوْتِ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالقَوائِمِ وَالمُحَيَّا

وفى معناه وهو جيد الى الغاية

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

(كقوله) أى قول المتنبي من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار (لا لما ذكره)

وَالثَّانِيَةُ : إِمَّا مُمْكِنَةٌ ، كقوْلِهِ :

يَاوَاشِيًا حَسُنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ

من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه لما علم انه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى أى تناهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم فاذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه . ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز

قَالُوا اشْتَكَتْ عَيْنُهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصَبُ

حُمْرَتُهَا مِنْ دِمَاءِ مَنْ قَتَلَتْ وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ

وقول الآخر

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلاً بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا

تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا

فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدُّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا

وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه اعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لاما جعله من التأديب على الاساءة باستحسان غير الحبيب (والثانية) أى الصفة الغير الثابتة التى أريد اثباتها (كقوله) أى قول مسلم بن الوليد (حذارك) أى حذارى إياك (انسانى) أى انسان عينى (نجى انسانه الخ) أى حيث ترك

فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ إِسَاءَةِ الْوَاشِي مُمْكِنٌ ، لَكِنْ لَمَّا خَالَفَ النَّاسَ فِيهِ عَقَّبَهُ بِأَنَّ حِذَارَهُ مِنْهُ نَجَّى إِنْسَانَهُ مِنَ الْغَرَقِ فِي الدُّمُوعِ ، أَوْ غَيْرُ مُمْكِنَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوْزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

وَأُلْحِقَ بِهِ مَا يُبْنَى عَلَى الشَّكِّ ، كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

البكاء خوفاً منه — من الواشي — (كقوله لو لم تكن) فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد اثباتها : والانتطاق شد المنطقة ونطاق الجوزاء كواكب حولها وهذا البيت مترجم من الفارسية ومثله قول الآخر

لَوْ لَمْ يَكُنْ أُقْحُوَانًا ثَغْرُ مَبْسِمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيباً سَاعَةَ السَّحَرِ

(والحق به ما يبنى على الشك) ولكونه مبنيا على الشك لم يجعل من حسن التعليل لأن فيه ادعاء واصرارا والشك ينافيه (كقوله كان السحاب) البيت لأبي تمام والغر جمع الأغر والسحاب اسم جنس يطلق على الواحد والجميع ومن ثم وصفه بالجمع والمراد السحاب الماطرة الغزيرة الماء والضمير في تحتها للربى في قوله قبل هذا البيت

رُبًى شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمُزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهْوَ هَامِعُ

وترقا أصله ترقأ بالهمز فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربا فهي تبكي عليه وهذا البيت يشير الى قول محمد بن وهيب

* ومنهُ التَّفْرِيعُ ، وَهُوَ أَنْ يُثْبَتَ لِمُتَعَلَّقِ أَمْرٍ حُكْمٌ بَعْدَ إِثْباتِهِ لِمُتَعَلَّقٍ لَهُ آخَرَ ؛ كقولِه :

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمُ تَشْفِي مِنَ الكَلَبِ

طَلَلاَنِ طَالَ عَلَيْهِمَا الأَمَدُ دَرَسَا فَلاَ عَلَمٌ وَلاَ نَضَدُ

لَبِسَا البِلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الأَحِبَّةِ مِثْلَ مَا أَجِدُ

ونظيره قول المتنبي

رَحَلَ العَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنَّنِي أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

علة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ما جوز أن يكون اياه والمعنى رحل عنى العزاء بارتحالى عنك أى معه أى بسببه فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضاً صار العزاء والتنفس الصعداء كأنهما نزيلان فلما رحل ذلك كان حقا على هذا أن يشيعه قصاء لحق الصحبة (كقوله أحلامكم) فقد أثبت لدمائهم انها تشفى من الكلب بعد أن أثبت لأحلامهم انها تشفى من سقام الجهل والبيت للكميت من قصيدة يمدح بها أهل البيت والكلب ما يحدث فى الانسان عقيب عض الكلب الكلب ولا دواء له زعموا انجع من شرب دم الملوك ، يقول : انتم أرباب العقول الراجحة كما أنكم أشراف وملوك وفى طريقته قول الحماسى

بُنَاةُ مَكَارِمٍ وَأُسَاةُ كَلْمٍ دِمَاؤُكُمُ مِنَ الكَلَبِ الشِّفَاءُ

هذا ومن التقريع قول الشريف الرضى

إِذَا فَاتَ شَيْءٌ سَمْعَهُ دَلَّ أَنْفُهُ وَإِنْ فَاتَ عَيْنَيْهِ رَأَى بِالمَسَامِعِ

* وَمِنْهُ تَأْكِيدُ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ ، أَفْضَلُهُمَا أَنْ يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ مَدْحٍ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

أَيْ إِنْ كَانَ فُلُولُ السَّيْفِ عَيْباً ، فَأَثْبَتَ شَيْئاً مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ

وقول ابن المعتز

كَلَامُهُ أَخْدَعُ مِنْ لَحْظِهِ ... وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَيْفِهِ

فبينا هو يصف خدع كلامه أثبت خدع لحظه وبينا هو يصف كذب وعده أثبت كذب طيفه (ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم) النظر فى هذه التسمية إلى الاعم الاغلب والافقد يكون ذلك فى غير المدح والذم ويكون من محسنات الكلام كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف يعنى ان أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق إلى اباحته وليسم تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه (كقوله) أى قول النابغة الذبيانى فلول جمع فل وهو الثلم يصيب السيف فى حده (قراع الكتائب) مضاربة الجيوش عند اللقاء (فاثبت) أى فقد أثبت الشاعر شيئا من العيب على تقدير كون فلول السيوف من العيب وهذا محال لانه كناية عن كمال الشجاعة فهو فى المعنى تعليق بالمحال كما يقال حتى يبيض القار(١) وحتى يلج الجمل فى سم

---

(١) القار الزفت

مِنْهُ ، وَهُوَ مُحَالٌ ، فَهُوَ فِي المَعْنَى تَعْلِيقٌ بِالمُحَالِ ، وَالتَّأْكِيدُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ كَدَعْوَى الشَّيْءِ بِبَيِّنَةٍ ، وَأَنَّ الأَصْلَ فِي الاسْتِثْنَاءِ الاتِّصَالُ فَذِكْرُ أَدَاتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهَا يُوهِمُ إِخْرَاجَ شَيْءٍ مِمَّا قَبْلَهَا ، فَإِذَا وَلِيَهَا صِفَةُ مَدْحٍ جَاءَ التَّأْكِيدُ ، وَالثَّانِي أَنْ يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ مَدْحٍ ، وَتُعَقَّبَ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ ، يَلِيهَا صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَى لَهُ ، نَحْوُ : أَنَا أَفْصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَصْلُ الاسْتِثْنَاءِ فِيهِ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعاً لَكِنَّهُ لَمْ يُقَدَّرْ مُتَّصِلاً ، فَلَا يُفِيدُ التَّأْكِيدَ إِلَّا مِنَ الوَجْهِ الثَّانِي ،

الخياط وتأكيد المدح فى هذا الضرب من وجهين أحدهما أنه كدعوى الشيء ببينة كأنه استدل على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب فيهم معلق بكون فلول السيوف عيباً وهو محال والثانى أن الأصل فى الاستثناء الاتصال أى كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عن الاستثناء ليكون ذكر المستثنى اخراجا له عن الحكم الثابت للمستثنى منه وذلك لأن الاستثناء المنقطع مجاز على ما تقرر فى أصول الفقه وإذا كان الأمر كذلك فاذا نطق المتكلم بالا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتى بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا فاذا وليها صفة مدح جاء التوكيد لكونه مدحا على مدح وان كان فيه شيء من السحر ونوع من الخلابة (بيد) بيد هنا بمعنى غير وهو أداة استثناء (واصل الاستثناء فيه) يقول أصل الاستثناء فى هذا الضرب أن يكون منقطعاً كما أن الاستثناء فى الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى فى المستثنى منه وهذا لا ينافى ان الأصل فى مطلق الاستثناء هو الاتصال (لكنه لم يقدر متصلا) بل بقى

وَلهذَا كانَ الأَوَّلُ أفضَلَ ، وَمِنْهُ ضَرْبٌ آخَرُ ، نحوُ : وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إلاَّ أنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَالِاسْتِدْرَاكُ فِى هَذا الْبابِ كالِاسْتِثْناءِ كما فى قوْلِهِ

هُوَ البَدْرُ إلاَّ أَنَّهُ البحرُ زَاخراً ... سِوَى أنَّهُ الضِّرْغامُ لكنَّهُ الوَبْلُ

* ومنهُ تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشْبِهُ المدحَ ، وهو ضربَان : أحدُهُما أنْ يُسْتثنَى من صفةِ مدحٍ مَنْفِيَّةٍ عَنِ الشَّىْء صفةُ ذَمٍّ ، بتقدير دُخولِها فيها ، كقولِهِ : فلانٌ لاخيرَ فيهِ إلاَّ أَنَّهُ يُسىءُ الى مَنْ أحسنَ اليهِ ، وثانِيهما أنْ يُثْبَتَ للشىء صفةُ ذَمٍّ ، وَتُعقَّبَ بأداةِ استثناءٍ ، تَلِيهَا صفةُ ذَمٍّ أُخْرَى له ، كقولِك : فُلَانٌ فاسقٌ إلاَّ أنَّهُ جَاهِلٌ ، وَتحقيقُهُمَا على قِيَاسِ مَامَرَّ

على حاله من الانقطاع لأنه ليس فى هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها (فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى) وهو أن الأصل فى مطلق الاستثناء الاتصال فذكر اداته قبل ذكر المستثنى يوهم اخراج شىء مما قبلها من حيث أنه استثناء فاذا ذكر بعد الاداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يتأتى فيه التأكيد من الوجه الأول أعنى دعوى الشىء ببينة لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلا (ومنه) أى ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم (نحو وما تنقم منا) أى وما تعيب منا الا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان بآيات الله (كما فى قوله هو البدر) فالاولان فيه استثنا آن مثل بيدانى من قريش وقوله لكنه الوبل استدراك يفيد من التأكيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لأنه استثناء منقطع والا فيه بمعنى لكن والبيت لبديع الزمان الهمذانى يمدح به خلف بن أحمد السجستانى

* وَمِنهُ الِاسْتِتْبَاعُ ، وهُوَ المَدْحُ بِشَيْءٍ على وَجْهٍ يَسْتَتْبِعُ المَدْحَ بِشَيْءٍ آخَرَ ، كقولِهِ :

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَالَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئْتَ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

مَدَحَهُ بِالنِّهَايَةِ فِي الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهٍ استَتْبَعَ مَدْحَهُ بِكَوْنِهِ سَبَباً لِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وفيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الاعمارَ دُونَ الْأَمْوالِ ، وَأَنَّهُ لم يَكُنْ ظَالِماً فِي قَتْلِهِمْ * ومنهُ الْإِدْمَاجُ وهوَ أَنْ يُضَمَّنَ كَلَامٌ سِيقَ لِمَعْنًى مَعْنًى آخَرَ

(نهبت من الاعمار) هو للمتنبى (مدحه بالنهاية فى الشجاعة) اذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد فى الدنيا (على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا) حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده ولا معنى لتهنئة أحد بشىء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه (وفيه) يقول إن فى البيت وجهين آخرين من المدح ذكرهما على بن عيسى الربعى فاولهما انه نهب الاعمار دون الاموال وهذا مما يشف عن علو الهمة وثانيهما انه لم يكن ظالما فى قتل أحد من مقتوليه لانه لم يقصد بذلك الاصلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه (ومنه الادماج) يقال ادمج الشىء فى الثوب اذا لفه فيه (وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر) فهذا المعنى الثانى يجب ألا يكون مصرحاً به ولا يكون فى الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله فمن قال فى قول الشاعر يهنىء بعض الوزراء لما استوزر

أَبَى دَهْرُنا إِسْعَافَنا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ

فَقُلْتُ لَهُ نُعْمَاكَ فِيهِمْ أَتِمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ المُهِمَّ المُقَدَّمُ

فهو أعَمُّ مِنَ الاستتباع ، كقوله

أُقَلِّبُ فِيه أجْفَانى كأَنِّى أعُدُّ بِهَا عَلَى الدَهْرِ الذُّنُوبَا

فإِنَّهُ ضَمَّنَ وَصْفَ الليلِ بالطولِ الشكايَةَ مِنَ الدَهْرِ * ومنه التَّوْجيهُ ، وهو إيرادُ الكلامِ مُحْتَمِلاً لوجهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، كقولِ مَنْ قالَ لِأَعْوَرَ * ليْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ *

إنه ادمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال فى التهنئة فقدسها لأن الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدمجة ولو جعل التهنئة مدمجة لكان أقرب (فهو عم من الاستتباع) لشموله المدح وغيره واختصاص الاستتباع بالمدح (كقوله) أى قول أبى الطيب يصف طول الليل عليه ومثله قول ابن المعتز فى الخيرى

قَدْ نَفَضَ العاشِقونَ ما صَنَعَ الهَجْرُ بِأَلْوَانِهِمْ عَلَى وَرَقِهْ

فان الغرض وصف الخيرى بالصفرة فأدمج الغزل فى الوصف وكذلك قول ابن نباتة

وَلاَ بُدَّ لِى مِنْ جَهْلَةٍ فِى وِصَالِهِ فَمَنْ لِى بِخِلٍّ أُودِعُ الْحِلْمَ عِنْدَهُ

فانه ضمن الغزل الفخر بكونه حليما المكنى عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لان يودعه حلمه وضمن الفخر بذلك باخراج الاستفهام مخرج الانكار شكوى الزمان لتغير الاخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشان ونبه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة أبدا ولكن اذا كان مريدا لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على أنه أن وجد من يصلح لان يودعه حلمه أودعه اياه فان الودائع تستعاد (كقول من قال لاعور ليت عينيه سواء) فانه يحتمل تمنى أن تصير العين العوراء صحيحة

السكاكيُّ : وَمِنهُ مُتشابِهاتُ القُرْآنِ باعْتِبارٍ * وَمِنهُ الهَزْلُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ ، كقولِهِ :

إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ

* وَمِنهُ تَجَاهُلُ العَارِفِ ، وَهُوَ كما سَمَّاهُ السكاكيُّ سَوْقُ المعلومِ

فيكون مدحاً أو بالعكس فيكون ذما والقائل هو بشار بن برد قاله فى خياط أعور يسمى عمرو وصدره

* خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَاءْ *

(قال) السكاكى وللمتشابهات من القرآن مدخل فى هذا النوع ، يعنى التوجيه ، باعتبار وهو احتمالها للوجهين المختلفين أى وتفارقه باعتبار آخر وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين فى المتشابهات قريب والآخر بعيد لما ذكره السكاكى نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية والايهام ، ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو ان المعنيين فى المتشابهات لايجب تضادهما اذ يجوز اجتماعهما كالقدرة واليد بمعنى الجارحة بخلاف التوجيه فانه يجب فيه تضاد المعنيين . (ومنه الهزل الذى يرادبه الجد) وترجمته تغنى عن تفسيره ومن أمثلته قول امرىء القيس

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا بِأَنَّ الفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالِ

فهو الفاتح لهذا الباب (كقوله) أى قول أبى نواس . فانه أورده على سبيل الهزل والمراد به الجد قالوا لان تميما كانت تكثر أكل الضب

مَسَاقَ غَيْرِهِ لِنُكْتَةٍ ، كالتَّوْبِيخِ فِى قَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا كأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

وَالْمُبَالَغَةِ فِى الْمَدْحِ ، كقوْلِهِ :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِى

أَوْ فِى الذَّمِّ كقولِهِ :

وَمَا أَدْرِى وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِى أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

وَالتَّدَلُّهِ فِى الْحُبِّ فِى قَوْلِهِ :

بِاللهِ يَا ظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَاىَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

* وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ فِى كَلَامِ الْغَيْرِ كِنَايَةً عَنْ شَىْءٍ أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ فَتُثْبِتَهَا لِغَيْرِهِ مِنْ

وتعير به (فى قول الخارجية) هى ليلى بنت طريف ترثى أخاها حين قتل وبعد البيت

فَتًى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَسُيُوفِ

(الخابور) نهر من ديار بكر تنبت على حافتيه أشجار (المع برق) هو للبحترى والمنظر أراد به الوجه والضاحى الظاهر المشرق (وما أدرى) هو لزهير (بالله يا ظبيات) هو للحسين بن عبد الله الغريبى ومثله قول ذى الرمة

أَيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ

غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِهِ ، أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ ، نحوُ : يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي حَمْلُ لَفْظٍ وَقَعَ فِي كَلَامِ الغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلَّقِهِ ، كقولِهِ :

قُلْتُ ثَقَّلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا قَالَ ثَقَّلْتَ كَاهِلِي بِالأَيَادِي

*وَمِنْهُ الِاطِّرَادُ ، وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِأَسْمَاءِ المَمْدُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَآبَائِهِ عَلَى

والقاع هو المستوى من الأرض (القول بالموجب) ويسمى أسلوب الحكيم (نحو يقولون) فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم (كقوله قلت ثقلت) فلفظ ثقلت وقع فى كلام الغير بمعنى حملتك المؤنة وثقلتك بالاتيان مرة بعد أخرى وقد حمله على تثقيل عاتقه بالايادى والمنن وبعد البيت

قُلْتُ طَوَّلْتُ قَالَ لَا بَلْ تَطَوَّلْتَ وَأَبْرَمْتُ قَالَ حَبْلَ وِدَادِي

أى طولت الاقامة والاتيان وأبرمت أى أمللت وأبرم أيضا احكم والتطول الانعام فقوله أبرمت أيضاً من هذا القبيل ومن هذا الباب قول القاضى الارجانى

غَالَطَتْنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِيَ الضَّنَا كِسْوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ العِظَامَا

ثُمَّ قَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي صَدَقْتِ لَكِنْ سَقَامَا

(ومنه الاطراد) لأن تلك الاسماء فى تحدرها كالماء الجارى فى اطراده

تَرْتِيبِ الْوِلَادَةِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ ، كقولِهِ :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَرْثِ بْنِ شِهَابِ

* وَأَمَّا اللَّفْظِيُّ فَمِنْهُ الْجِنَاسُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، وَهُوَ تَشَابُهُهُمَا فِي اللَّفْظِ، وَالتَّامُّ مِنْهُ أَنْ يَتَّفِقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا وَهَيْآتِهَا وَتَرْتِيبِهَا ، فَإِنْ كَانَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَاسْمَيْنِ سُمِّيَ مُمَاثِلاً ، نحوُ : وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، وَإِنْ كَانَا مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُسْتَوْفًى ، كقولِهِ :

مَامَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ

وسهولة انسجامه (أن يقتلوك) أى ان تبجحوا بقتلك وفرحوا به فقد أثرت فى عزمهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم : هذا آخر المحسنات المعنوية وقد أخذ المصنف فى بيان المحسنات اللفظية وذكر منها فى هذا الكتاب سبعة أنواع (أن يتفقا فى أنواع الحروف واعدادها وهيآتها وترتيبها) فخرج نحو يفرح ويمرح ونحو الساق والمساق ونحو البرد والبرد ونحو الفتح والحتف (نحو ويوم تقوم الساعة) ومثل قول أبى تمام

إِذَا الخيلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الْحَرْبِ صَدَّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ

وقول الشاعر

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَّالُ

الاول جمع أجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش والثانى جمع جمع أجل والمراد به منتهى الاعمار (مامات) هو لأبى تمام

وَأَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدُ لَفْظَيْهِ مُرَكَّباً ، سُمِّيَ جِنَاسَ التَّرْكِيبِ ، فَإِنِ اتَّفَقَا فِي الْخَطِّ خُصَّ بِاسْمِ الْمُتَشَابِهِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

وَإِلَّا خُصَّ بِاسْمِ الْمَفْرُوقِ ، كَقَوْلِهِ :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا مَ وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَـامِ لَوْ جَامَلَنَـا

وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي هَيْآتِ الْحُرُوفِ فَقَطْ سُمِّيَ مُحَرَّفاً ، كَقَوْلِهِمْ : جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبَرْدِ ، وَنَحْوُهُ : الْجَاهِلُ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفَرِّطٌ ، وَالْحَرْفُ الْمُشَدَّدُ فِي حُكْمِ الْمُخَفَّفِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكِ ، وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي

(خص باسم المتشابه) لتشابه اللفظين فى الكتابة (إذا ملك) هو لأبى الفتح البستى وقوله لم يكن ذاهبة أى صاحب هبة وعطاء وقوله فدولته ذاهبة أى غير باقية (كلكم قد أخذ الجام) هو لأبى الفتح أيضا والجام اناء يشرب فيه الخمر ومديره يعنى به الساقى وقوله لو جاملنا أى عاملنا بالجميل (خص باسم المفروق) لافتراق اللفظين فى صورة الكتابة (سمى محرفا) لانحراف هيئة أحد اللفظين عن هيئة الآخر (كقولهم جبة البرد الخ) فقد وقع الاختلاف بين البرد والبرد لأن الباء فى الأول ضمة وفى الثانى فتحة وأما الجبة والجنة فمن التجنيس اللاحق لا المحرف والجنة الوقاية (إما مفرط أو مفرط) الأول من الافراط وهو تجاوز الحد والثانى من التفريط وهو التقصير (كقولهم البدعة) مثله قول أبى العلاء المعرى :

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشَّعَرِ

أَعْدَادِهَا سُمِّيَ نَاقِصًا ، وَذَلِكَ إِمَّا بِحَرْفٍ فِى الأَوَّلِ ، مِثْلُ : وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ ، أَوْ فِى الْوَسَطِ ، نحوُ : جَدِّى جَهْدِى أَوْ فِى الآخِرِ ، كقولِهِ :

* يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ *

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُطَرَّفًا ، وَإِمَّا بِأَكْثَرَ ، كقولِها :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الجَوَانِح

(سمى ناقصا) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر (جدى جهدى) أى حظى من الدنيا وغناى فيها انما هو باجتهادى وسعي (كقوله يمدون) تمامه :

* تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ *

والبيت لأبى تمام وقوله من أيد فمن زائدة على مذهب الاخفش أو للتبعيض مثلها فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وبالجملة هو الواقع موقع مفعول يمدون وعواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصى أى السيف وعواصم من عصمه حفظه وحماه وقواض جمع قاضية من قضى عليه قتله وقواضب جمع قاضب من قضبه قطعه أى يمدون للضرب يوم الحرب أيديا ضاربات للاعداء حاميات للأولياء صائلات على الاقران بسيوف قاتلة قاطعة (وربما سمى مطرفا) يعنى هذا القسم الذى تكون فيه الزيادة فى الآخر لتطرف الزيادة فيه « هذا » ووجه حسنه انك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم أنها هى التى مضت وانما أتى بها للتأكيد حتى اذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك

وَرُبما سُمِّيَ هذا مُذَيَّلاً ، وان اختلفا فى أنواعِها فَيُشْتَرَطُ أَنْ لا يَقعَ بِأَكثرَ من حَرفٍ ، ثم الحرْفانِ إِنْ كانَا مُتقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضارِعاً ، وهو إِمَّا فى الأَوَّلِ ، نحوُ : بَيْنِي و بينَ كِنِّى لَيلٌ دامِس وَطريقٌ طامِس ، أو فى الوسَطِ ، نحوُ : وَهُمْ يَنْهَوْنَ عنهُ وَيَنأَوْنَ عنه ، أو فى الآخِرِ ، نحو : الخيلُ مَعْقُودٌ بِنواصِيها الخيرُ ، وإلاَّ سُمِّيَ لاَحِقاً ، وهو أيضاً إِمَّا فى الأَوَّلِ ، نحوُ : وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، أو فى الوسَطِ ، نحوُ : ذلِكُمْ بِما كنتم تَفْرَحونَ فى الأرضِ بغيرِ الحقِّ وَبما كنتم تَمْرَحُونَ ، أَوْ فِى الآخِرِ ، نحوُ : وَإِذَا جاءهم أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ ، وان اختلفَا فِى تَرْتِيبِها سُمِّيَ تجنِيسَ القلبِ ، نحوُ : حُسامُهُ فَتْحٌ لأَوْلِيائِهِ حَتْفٌ لأعدائِه ، وَيُسَمَّى

التوهم وفى ذلك حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها قاله الشيخ الامام (كقولها) أى الخنساء والجوى الحرقة (مذيلا) لأن تلك الزيادة فى آخره كالذيل (سمى مضارعا) لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه فى المخرج (نحو بينى) هذا كلام للحريرى والكن المنزل والدامس الشديد الظلمة والطامس المطموس العلامات الذى لا يهتدى فيه الى المراد (ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر واللمز الطعن والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة (سمى تجنيس القلب) لوقوع القلب أى عكس بعض الحروف فى أحد اللفظين بالنظر للآخر (نحو حسامه) هذا مأخوذ من قول الاحنف بن قيس

قلبَ كُلٍّ ، ونحوُ : اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنا وآمِنْ رَوْعاتِنا ، ويُسَمَّى قَلْبَ بعضٍ ، وَإِذَا وَقَعَ أَحدُهُما فى أَوَّلِ البيتِ وَالآخَرُ فى آخِرِهِ سُمِّىَ مَقلوباً مُجَنَّحًا ، وَإِذَا وَلِىَ أحدُ المتجانِسَيْنِ الآخَرَ سُمِّىَ مُزْدَوِجاً ، وَمكرَّراً ، وَمُرَدَّدًا ، نحوُ : وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . وَيَلْحَقُ بالجِناسِ شَيْئَانِ ، أَحَدُهُما أَنْ يَجْمَعَ اللَّفْظَيْنِ الاشْتِقاقُ نحوُ : فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ ، وَالثَّانِى أَنْ يَجْمَعَهُما المُشَابَهَةُ ، وَهِىَ مَا يُشْبِهُ الاشْتِقَاقَ ، نحوُ : قالَ إِنِى لِعَمَلِكُمْ مِنَ

حُسَامُكَ فِيهِ لِلْأَحْبابِ فَتحٌ وَرُمْحُكَ فِيهِ لِلأَعداءِ حَتْفُ

(سمى مقلوبا مجنحا) لأن اللفظين كأنهما جناحان للبيت وهذا كقول ابن نباتة

سَاقٍ يُرِينِى قَلْبُهُ قَسوةً وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُه قَاس

(نحو وجئتك من سبأ) ونحو قولهم من طلب وجد وجد وقولهم من قرع بابا ولج ولج وقولهم النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم (نحو فأقم وجهك) مثله قوله تعالى فروح وريحان وقوله عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة وقول الامام الشافعى وقد سئل عن النبيذ أجمع أهل الحرمين على تحريمه وقول أبى تمام

فيادَمْعُ أَنْجِدْنِى عَلى سَاكِنى نَجْدِ

وقول البحترى

يَعِشَى عَنِ المَجْدِ الغَبِىُّ وَلَنْ تَرَى فِى سُؤْدُدٍ أَرَباً لِغَيْرِ أَرِيبِ

(نحو قال) وقوله تعالى وجنى الجنتين دان وقول البحترى

القالين * ومنه رد العجز على الصدر، وهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى أول الفقرة ، والآخر فى آخرها ، نحو : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، ونحو : سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل ، ونحو : استغفروا ربكم إنه كان غفارا ونحو : قال إنى لعملكم من القالين ، وفى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى ، كقوله :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعى الندى بسريع

وإذا ما رياح جودك هبت ... صار قول العذول فيها هباء

(ومنه) أى ومن اللفظى (المكررين) يعنى المتفقين فى اللفظ والمعنى (أو المتجانسين) أى المتشابهين فى اللفظ دون المعنى (أو الملحقين بهما) أى المتجانسين والمراد بهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق وقد مثل المصنف لهذه الأربعة على الترتيب (أحدهما) أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما (والآخر فى صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى) وعلى هذا تصير الأقسام ستة عشر ناجمة عن ضرب أربعة أقسام المكررين والمتجانسين والملحقين اشتقاقا والملحقين بشبه الاشتقاق فى أربعة وهى كون اللفظ المقابل لما فى عجز البيت واقعا فى صدر المصراع الأول أو حشوه او آخره أو صدر الثانى والمصنف أورد ثلاثة عشر مثالا وأهمل ثلاثة اكتفاء لعله بأمثلة الاشتقاق وسنذكرها أخرة ان شاء الله (كقوله سريع) فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع

وقوله :

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

وقوله :

وَمَنْ كَانَ بالْبِيضِ الكَوَاعِبِ مُغْرَمًا فَمَازِلْتُ بالْبِيضِ القَوَاضِبِ مُغْرَمَا

وقوله :

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلاً فَإِنَّنِى نَافِعٌ لِى قَلِيلُهَا

الأول والبيت للأقيشر وتقدم السبب فى قوله له (وقوله تمتع) فيما يكون المكرر الآخر فى حشو المصراع الأول والبيت للصمة بن عبد الله القشيرى والعرار وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة وموضع من عرار رفع على أنه اسم ما ومن زائدة وتمتع مقول أقول فى قوله

أَقُولُ لِصَاحِبِى وَالعِيسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ المُنِيفَةِ فَالضِّمَارِ

(وقوله ومن كان) فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول والبيت لأبى تمام والكواعب جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهوض والبيض القواضب السيوف القواطع (وقوله وإن لم يكن) فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى والبيت لذى الرمة وقبله

أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِى لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا

الالمام النزول القليل والتعريج على الشىء الاقامة عليه وانتصب معرج على أنه خبر يكن واسمه ضمير الالمام وقليلا صفة مؤكدة لأن القلة تفهم من إضافة التعريج إلى الساعة وقليلها فاعل نافع أو هو مبتدأ ونافع خبره والضمير فى قليلها للساعة أى قليل التعريج فى الساعة ينفعنى ويبل أوامى ويروى

وقوله :

دَعانِي مِنْ مَلاَمِكُمَا سَفَاهًا فَدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلَكُمَا دَعانِي

وقوله :

وَإِذَا الْبَلاَبِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَانْفِ البَلاَبِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلاَبِلِ

وقوله :

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ المَثَانِي وَمَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ المَثَانِي

وقوله :

أَمَلَّتْهُمْ ثم تَأَمَّلْتُهُم فلاَحَ لِي أَنْ ليس فيهم فَلاَحْ

غلتى (وقوله دعانى) فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول دعانى الأول بمعنى اتركانى والثانى من الدعاء بمعنى الطلب والسفاه الطيش والبيت للقاضى الأرجانى (وقوله واذا البلابل) فيما يكون المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول. البلابل الأول جمع بلبل وهو الطائر المعروف والثانى جمع بلبال وهو الحزن والثالث جمع بلبلة وهو ابريق الخمر والاحتساء الشرب والمقصود بالتمثيل هو البلابل الثالث بالنسبة الى الأول والبيت للثعالبى (وقوله فمشغوف) فيما يكون المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول المثانى الأول القرآن (١) والآخر اوتار المزامير التى ضم طاق منها الى طاق ورناتها نغماتها والبيت للحريرى (وقوله املتهم) فيما يكون المتجانس الآخر

---

(١) قال الجوهرى المثانى من القرآن ما كان أقل من المائتين وتسمى فاتحة الكتاب مثانى لأنها تثنى فى كل ركعة ويسمى جميع القرآن مثانى أيضاً لاقتران آية الرحمة بآية العذاب

وقوله

ضَرَائِبُ أَبْدَعْتَهَا فِي السَّمَاحِ ... فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيبَا

وقوله

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وقوله

لَوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمُ ... وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصَرِ

وقوله

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي ... أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

فى صدر المصراع الثانى ومعناه ظاهر وهو للقاضى الارجانى (وقوله ضرائب) فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً فى صدر المصراع الاول فالضرائب جمع ضريبة وهى الطبيعة والسجية التى طبع الرجل عليها والضريب المثل وأصله المثل فى ضرب القداح فهما راجعان إلى أصل واحد فى الاشتقاق والبيت للبحترى (وقوله إذا المرء) مما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً فى حشو المصراع الأول أى إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره اليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه فيخزن وخزان مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لامرىء القيس (وقوله لو اختصرتم) مما وقع أحد الملحقين فى آخر البيت والآخر فى حشو المصراع الأول ويجمعهما شبه الاشتقاق والبيت لأبى العلاء المعرى قوله والعذب يعنى من الماء والخصر البرودة يقول إن بعدى عنكم لكثرة ما انعمتم على وطوقتمونى من الاحسان (وقوله فدع الوعيد) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقا فى آخر المصراع الاول

وقوله

وَقَدْ كانَتِ البِيضُ القَواضِبُ فِي الوغَى بَواتِرَ فَهْيَ الآنَ من بعدِهِ بُتْرُ

* ومنهُ السَّجْعُ ، وَهوَ تَواطُؤُ الفاصِلَتَيْنِ مِنَ النَّثْرِ على حَرفٍ واحدٍ ، وهو مَعنَى قَوْلِ السكاكيِّ : هُوَ فِي النَّثْرِ كالقافِيةِ فِي الشِّعْرِ ،

فضائر ويضير مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لابن عينة المهلبى (وقوله وقد كانت) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً فى صدر المصراع الثانى . قوله القواضب أى القواطع من ذاتها وقوله بواتر أى قواطع لحسن استعماله إياها وبتر جمع أبتر مقطوع الفائدة فالبواتر والبتر مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لأنى تمام من قصيدته التى رثى بها محمد بن نهشل حين استشهد : هذا : وأما الأمثله الثلاثة التى أهملها المصنف فمثال ما يقع أحد الملحقين اللذين يجمعهما شبه الاشتقاق فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول قول الحريرى

وَلاَحَ يَلْحَى عَلَى جَرْيِ العِنَانِ إِلَى مَلْهًى فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لاَئِحٍ لاَحِ

فالأول ماضى يلوح والآخر اسم فاعل من لحاه أبعده ومثال ما وقع الآخر فى آخر المصراع الأول قول الحريرى أيضاً

وَمُضْطَلِعٍ بِتَلْخِيصِ المَعَانِي وَمُطَّلِعٍ إِلَى تَخْلِيصِ عَانِي (١)

فالأول من عنى يعنى والثانى من عنا يعنو ومثال ما وقع الآخر فى صدر المصراع الثانى قول الآخر

لَعَمْرِى لَقَدْ كَانَ الثُّرَيَّا مَكَانَهُ ثَرَاءً فَأَضْحَى الآنَ مَثْوَاهُ فِي الثَّرَى

فالثراء واوى من الثروة والثرى يائى (ومنه السجع) وليس قصاراه

---

(١) المضطلع بالشىء القوى فيه الناهض به وتخليص العانى فكاك الأسير

وَهُوَ مُطَرَّفٌ ، إِنِ اخْتَلَفَا فِي الوَزْنِ ، نحوُ مَالَكُم لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارا وقد خَلَقَكُم أَطْوَارا ، وَإِلاَّ ، فانْ كان مافى إحْدَى القَرِينَتَيْنِ أَوْأَكْثَرُهُ مِثلَ ما يُقابِلُهُ مِنَ الأُخرى فى الوزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَترصيعٌ ، نحوُ : فهو يَطْبَعُ الأَسجاعَ بِجَواهِرِ لفظِه وَيَقْرَعُ الأَسماعَ بِزَواجِرِ وَعْظِه ، وَإِلاَّ فَمُتوازٍ ،

أن تقف عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد بل ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة لا غثة ولا باردة وإلا كنت كمن ينقش أثواباً من الكرسف أو ينظم عقداً من الخزف الملون وكذلك ينبغى أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى وإلا كان كظاهر مموه على باطن مشوه فاذا توفرت هذه الأمور فان وراء ذلك مطلوبا آخر وهو أن تكون كل واحدة من الفقرتين دالة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه الأخرى وإلا لكان تطويلا كقول الصابى الحمد لله الذى لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى إلى الصلاة على النبى عليه السلام فقال لم ير للكفر أثراً إلا طمسه ومحاه ولا رسما إلا أزاله وعفاه إذ لا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الأثر وعفاء الرسم (القرينتين) أى الفقرتين سميت الفقرة كذلك لأنها تقارن أختها (فترصيع) وسمى كذلك تشبيها لها بجعل إحدى اللؤلؤلتين فى العقد فى مقابلة الأخرى وهذا النوع لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة لا يوجد إلا فى كلام المتفصحين (نحو فهو يطبع) فان الحريرى كما ترى قد جعل يطبع بازاء يقرع والأسجاع بازاء الأسماع وجواهر بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه (وإلا) أى وإن لم يكن ما فى إحدى القرينتين ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخرى فهو السجع

نحو : فيها سُرُرٌ مَرْفُوعة وَأَكْوَابٌ موضوعَة . قيل : وأحْسَنُ السَّجْعِ ماتَسَاوَتْ قَرَائِنُهُ ، نحو : فى سِدْرٍ مَخْضود وَطَلْحٍ مَنْضود وَظِلٍّ ممدُود ، ثم ماطَالَتْ قرِينَتُهُ الثانيةُ ، نحو : والنَّجْمِ إذَا هَوَى مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وما غَوى ، أو الثالثةُ ، نحو : خُذُوهُ فَغُلُّوه ثم الْجَحِيمَ صَلُّوه ، وَلاَ يَحْسُنُ

المتوازى وذلك بأن يكون ما فى إحدى القرينتين أو أكثره وما يقابله من الأخرى مختلفين فى الوزن والتقفية جميعاً كما فى الآية أو فى الوزن فقط نحو والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا أو فى التقفية فقط كقولهم حصل الناطق والصامت (١) وهلك الحاسد والشامت (قيل) قال ابن الأثير السجع ثلاثة أقسام الأول أن يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وهذا أشرف السجع منزلة للاعتدال الدى فيه الثانى أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول لاطولا يخرج به عن الاعتدال كثيرا والا كان قبيحا فمن ذلك قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا فان الأول ثمان لفظات والثانى تسع وله فى القرآن غير نظير ويستثنى منه ما كان على ثلاث فقر فان الأولين يحسبان فى عدة واحدة ثم تأتى الثالثة بحيث تزيد عليها طولا ويجوز أن تجىء مساوية لهما كقوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضوض وطلح منضود وظل ممدود فهذه الثلاث كل منها من لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستا كان حسنا الثالث أن يكون الآخر أقصر من الأول وهو عندى عيب فاحش لأن السمع قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجىء الفصل الثانى قصيرا عن الأول

---

(١) أى وجد عندى الناطق وهو العبيد والصامت نحو الابل والعقار

أَنْ يُولَى قرِينةً أَقْصَرَ منها كثيراً . وَالاسجاعُ مَبْنِيَّةٌ على سكونِ الأَعجازِ. كقولهِم : مَا أَبْعدَ مافات وَمَا أَقْرَبَ ما هو آت ، قيلَ : ولا يُقَالُ فى القرآنِ أسْجاعٌ بَلْ يقالُ فواصِلُ ، وَقِيلَ : السَجعُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بالنثرِ ،

فيكون كالشىء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها «هذا» والسجع إما قصير كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا أو طويل كقوله تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور أو متوسط كقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . ومن لطيف السجع قول البديع الهمذانى من كتاب له إلى ابن فريقون ، كتابى والبحر وإن لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم أكن لقيته فقد لقينى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (والأسجاع) فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأواخر موقوفا عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها ولا يتم ذلك فى كل صورة ألا بالوقف ألا ترى أنك لو وصلت قولهم ما أبعد مافات وما أقرب ما هو آت لم يكن بد من اجراء كل من الفاصلتين على مايقتضيه حكم الاعراب فيفوت الغرض من السجع وإذا رأيتهم يخرجون الكلم من أوضاعها للازدواج فى قولهم انى لآتيه بالغدايا والعشايا أى بالغدوات فما ظنك بهم فى ذلك (قيل ولا يقال فى القرآن اسجاع) السجع نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما ينجو من التكلف والتعسف ومن قصده فى كلامه أجبر على أن يجعل المعنى تابعاً له وهذا نقص

ومثاله من النظم قولُه :

فى الكلام كبير وعيب يخمش وجه الفصاحة فلذلك ذهب العقلاء إلى أن القرآن برىء من السجع وهذا الذى يظن به انه سجع انما هو فواصل يستريح الكلام اليها قال الباقلانى قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعاً لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ثم قل ولو كان الذى فى القرآن سجعا لكان مذموما لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى أخل به المتكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة وهذا الذى يظن به أنه سجع قد علمنا أن بعضه متقارب الفواصل متدانى المقاطع وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير وهذا فى السجع غير محمود (ومثاله من النظم قوله) وقول ذى الرمة

كَحلاءِ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءِ فِي نَعَجٍ كَأَنَّها فِضَّةٌ قَدْ مَسَّها ذَهَبُ

وقول الخنساء

حَامِي الحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الخَلِيقَةِ مَهْـــدِيُ الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَرَّارُ

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِى وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِى وَقَاضَ بِهِ ثِمْدِى وأورَى بِهِ زَنْدِى

وَمِنَ السجعِ على هذا القولِ مايُسَمَّى التشطيرَ ، وَهُوَ جَعْلُ كُلِّ

جَوَّابُ قَاصِيَةٍ جَزَّازُ نَاصِيَةٍ عَقَّادُ أَلْوِيَةٍ لِلْخَيلِ جَرَّارُ

حُلْوٌ حَلَاوَتُهُ فَصْلٌ مَقَالَتُهُ فَاشٍ حِمَالَتُهُ لِلعَظمِ جَبَّارُ

وقول أبى صخر الهذلى

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتْ مِنَ الكَرَمِ

وهذا النوع كثير لا يحصره الاستقصاء (تجلى) هو لأبى تمام قوله تجلى به رشدى يريد ظهر بهذا الممدوح بلوغى المقاصد واثرت أى صارت ذات ثروة والثمد الماء القليل لا مادة له والمراد هنا المال القليل ومعنى أورى به زندى صار ذا ورى وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب (ومن السجع على هذا القول ما يسمى التشطير) وكذلك منه ما يسمى التصريع وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت والضرب آخر المصراع الثانى منه قال ابن الأثير التصريع ينقسم إلى سبع مراتب الأولى أن يكون كل مصراع مستقلا بنفسه فى فهم معناه ويسمى التصريع الكامل كقول امرىء القيس

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِى فَأَجْمِلِ

الثانية أن يكون الأول غير محتاج إلى الثانى فاذا جاء جاء مرتبطا به كقوله أيضاً

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

الثالثة أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر كقول ابن الحجاج البغدادى :

مِنْ شَطرَيِ البَيْتِ سَجْعَةً مُخالِفَةً لأُخْتِها، كقوله :

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلهِ مُرْتَغِبٍ فِى اللهِ مرتقبِ

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِى المِهْرَجَانِ ... خِفَّةُ الشُّرْبِ مَعْ خُلُوِّ المَكَانِ

الرابعة ألا يفهم معنى الأول إلا بالثانى ويسمى التصريع الناقص كقول أبى الطيب

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيباً فِى المَغَانِى ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

الخامسة أن يكون التصريع بلفظة واحدة فى المصراعين ويسمى التصريع المكرر وهو ضربان لأن اللفظة أما متحدة المعنى فى المصراعين كقول عبيد ابن الابرص

فَكُلُّ ذِي غَيبَةٍ يَؤُبُ ... وَغَائِبُ المَوْتِ لاَ يَؤُبُ

وهذا انزل درجة وأما مختلفة المعنى لكونه مجازا كقول أبى تمام

فَتًى كَانَ شِرْباً لِلعُفَاةِ وَمَرْتَعاً ... فَأَصْبَحَ لِلهِنْدِيَّةِ البِيضِ مَرْتَعَا

السادسة أن يكون المصراع الأول معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول الثانى ويسمى التعليق كقول امرىء القيس

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِى ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

لأن الأول معلق بصبح وهذا معيب جدا . السابعة أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور كقول أبى نواس

أَقِلْنِى قَدْ نَدِمْتُ مِنَ الذُّنُوبِ ... وَبِالإِقْرَارِ عُدْتُ عَنِ الجُحُودِ

فصرع بالباء ثم قفاه بالدال انتهى وهذا السابع خارج مما نحن فيه (كقوله تدبير) فالشطر الأول كما ترى سجعة مبنية على الميم والثانية سجعة

* وَمنه المُوَازَنَةُ ، وَهِيَ تَسَاوِى الفاصِلَتَيْنِ فِى الوزْنِ دُونَ التَّقْفِيَة نحو : وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ، فإِنْ كانَ مَافِى إِحْدَى القَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَابِلُهُ مِنَ الأُخْرَى فِى الْوَزْنِ خُصَّ بِاسْمِ المُمَاثَلَةِ نحوُ: وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ، وقوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الخَطِّ إِلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

* ومنْهُ القَلْبُ ، كقوْلِهِ :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

مبنية على الباء والبيت لأبى تمام والمرتغب فى الله الراغب فيما يقربه من رضوانه والمرتقب المنتظر الثواب الخائف العقاب (ومنه) أى ومن اللفظى (نحو ونمارق) فلفظا مصفوفة ومبثوثة متساويان فى الوزن لافى التفقية لأن الأول على الفاء والثانى على الثاء ولا عبرة بتاء التأنيث لما هو معروف من علم القوافى (مها الوحش) هو لأبى تمام يصف النساء بسعة العيون وطول القدود والمها جمع مهاة البقرة الوحشية والخط موضع تنسب اليه الرماح المستقيمة. والمثالان — الآية والبيت — مما يكون أكثر ما فى احدى القرينتين مثل مايقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزنا وكذا هاتا وتلك ومثال الجميع قول أبى تمام

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا

(ومنه القلب) وهو أن يكون الكلام بحيث اذا قلبت حروفه لم تتغير قراءته ولابد مع ذلك أن يكون جيد السبك منسجم المعانى ويجرى هذا

وَفِي التَّنْزِيلِ : كُلٌّ فِي فَلَكٍ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَمِنْهُ التَّشْرِيعُ ، وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ يَصِحُّ الْمَعْنَى عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا ، كَقَوْلِهِ :

يَاخَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

النوع فى النظم والنثر أما فى النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين قلباً للآخر كقوله

* أَرَانَا لِإِلَهُ هِلَالاً أَنَارَا *

وقد يكون مجموع البيت قلبا لمجموعه كقول القاضى الأرجانى مودته تدوم البيت وأما فى النثر فكما فى قوله تعالى كل فى فلك وقوله جل شأنه وربك فكبر . قالوا والحرف المشدد فى هذا الباب فى حكم المخفف لأن المعتبر هو الحروف المكتوبة (ومنه التشريع) ويسمى التوشيح قال ابن الأثير وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيماً من بحر على عروض وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان لذلك شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح فمن ذلك قول بعضهم

إِسْلَمْ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَارَسَا رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ

وَنَلِ الْمُرَادَ مُمَكَّنًا مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الدُّهُورِ وَقَرَّ بِطُولِ بَقَاءِ

إذا نظر إلى هذين البيتين وجدا وهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر وذاك أن يقال

*ومنه لزوم مالا يلزم ، وهو أن يجيء قبل حرف الروى أو مافى

إسلم ودمت على الحوا دث مارسا ركنا ثبير
ونل المراد ممكنا منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريرى فى مقاماته نحو قوله

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها أبكت غدا بعدا لها من دار
غاراتها لا تنقضى وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار

واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيرا كالرقم فى الثوب أو الشية فى الجلد وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة (ومنه لزوم ما لا يلزم) قال ابن الأثير وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا وذاك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم فى هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنثور فى قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو فى الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية ومن هذا النوع نثرا مارواه صاحب الأغانى أن لقيط بن زراره تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين فحظيت عنده وحظى عندها ثم قتل فآمت بعده وتزوجت زوجا غيره فكانت كثيرا ما تذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت إنه قد خرج فى يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتانى وبه نضح دم فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط فقولها ضمنى ضمة وشمنى

مَعْنَاهُ مِنَ الْفَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِلَازِمٍ فِى السَّجْعِ ، نَحْوُ : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَقوله :

شمة فليتنى مت ثمة من الكلام الحلو فى باب اللزوم ولا كلفة عليه وهكذا فليكن ومن ذلك قول الحماسى

إِنَّ الَّتِى زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوًى لَهَا

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِى ... مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا

وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكذلك قول الفرزدق

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفْعَهَا ... حَدَقٌ تُقَلِّبُهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ

وَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا ... حَدَقَ النِّسَاءِ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ

ومن قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة وهى القصيدة التى أولها

خَلِيلَىَّ هَذَا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلَا ... قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ احْلُلَا حَيْثُ حَلَّتِ

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً وهى مع ذلك سهلة لينة تكاد تترقرق من لينها وسهولتها وبالجملة ما يقع من هذا النوع لمتقدم فهو غير مقصود منه ولذلك لا يرى عليه من أثر الكلفة شىء أما المتأخرون فقصدوا عمله وأكثروا منه حتى أن أبا العلاء المعرى عمل من ذلك ديوانا كاملا سماه اللزوم فأتى فيه بالجيد الذى يحمد والردىء الذى يذم (وقوله) أى قول

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وَأَصْلُ الحسنِ فى ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ تكونَ الأَلْفَاظُ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي دُونَ الْعَكْسِ.

خاتمة

(فى السرقاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَغيرِ ذلكَ)

إِتَّفَقَ الْقَائِلَيْنِ إِنْ كَانَ فِى الْغَرَضِ عَلَى الْعُمُومِ، كَالْوَصْفِ بِالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ فَلَا يُعَدُّ سَرِقَةً، لِتَقَرُّرِهِ فى الْعُقُولِ وَالْعَادَاتِ، وَإِنْ كَانَ فِى وَجْهِ الدَّلَالَةِ، كَالتَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ، وكَذِكْرِ هَيْآتٍ تَدُلُّ عَلَى

عبد الله بن الزبير الأسدى فى عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما (لم تمنن) أى لم تقطع أو لم تخلط بمنة (إذا النعل زلت) زلة القدم والنعل كناية عن نزول الشر والمحنة (خلتى) الخلة الخصاصة والفقر (وأصل الحسن فى ذلك) قد أسلفنا أول البديع جملة كافية فى هذا المعنى فاجعلها على ذكر منك وعض عليها بالنواجذ تكن من الفائزين (وما يتصل بها) مثل الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح (وغير ذلك) مثل القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء (فى الغرض على العموم) أى فيما يشترك فيه الناس عامة من الأغراض والمقاصد (لتقرره) فيشترك فيه الفصيح والأعجم والشاعر والمفحم (وجه الدلالة) أى طريق الدلالة على الغرض

الصِّفَةِ لِاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ هِيَ لَهُ ، كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهَلُّلِ عِنْدَ وُرُودِ الْعُفَاةِ ، وَالْبَخِيلِ بِالْعُبُوسِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ الْيَدِ ، فَإِنِ اشْتَرَكَ النَّاسُ فِي مَعْرِفَتِهِ ، لِاسْتِقْرَارِهِ فِيهِمَا ، كَتَشْبِيهِ الشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْجَوَادِ بِالْبَحْرِ ، فَهُوَ كَالْأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدَّعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ ، خَاصِّيٌّ فِي نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامِّيٌّ تُصُرِّفَ فِيهِ بِمَا أَخْرَجَهُ مِنَ الِابْتِذَالِ إِلَى الْغَرَابَةِ ، كَمَا مَرَّ ، فَالْأَخْذُ وَالسَّرِقَةُ نَوْعَانِ ، ظَاهِرٌ ، وَغَيْرُ ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى كُلُّهُ مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ ، أَوْ وَحْدَهُ ، فَإِنْ أُخِذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، لِأَنَّهُ سَرِقَةٌ مَحْضَةٌ ، وَيُسَمَّى نَسْخًا وَانْتِحَالًا ، كَمَا حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ :

(العفاة) أى السائلين حمح عاف (مع سعة ذات اليد) وأما العبوس مع قلة ذات اليد فمن أوصاف الأسخياء (معرفته) أى معرفة وجه الدلالة (فيهما) أى فى العقول والعادات (فهو كالأول) أى فالاتفاق فى هذا النوع من وجه الدلالة على الغرض كالاتفاق فى الغرض العام فى أنه لا يعد سرقة ولا أخذا (وإلا) أى وإن لم يشترك الناس فى معرفته بأن كان مما لا ينال إلا بفكر فهذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق وأن يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل وان أحدهما فيه أفضل من الآخر وان الثانى زاد على الأول أو نقص عنه (كما مر) فى باب التشبيه والاستعارة (كما حكى) حكى أن عبد الله ابن الزبير الشاعر دخل على معاوية فأنشده البيتين فقال له معاوية لقد شعرت

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ

وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

بعدى يا أبا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزنى فأنشده قصيدته التى أولها

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ ... عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبد الله فأقبل معاوية على عبد الله وقال له ألم تخبرنى أنهما لك فقال المعنى لى واللفظ له وبعد فهو أخى من الرضاعة وأنا أحق بشعره. قوله من أن تضيمه أى بدلا من أن تظلمه وشفرة السيف حده ومزحل من زحل عن مكانه زحولا اذا انتحى وتباعد يقول انه لا يبالى أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا: هذا ومما هو من قبيل ذلك ما روى للابيرد اليربوعى

فَتًى يَشْتَرِى حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ

ولأبى نواس

فَتًى يَشْتَرِى حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

قال ابن الأثير ومما كنت أستحسنه من شعر أبى نواس قوله من قصيدته التى أولها

* دَعْ عَنْكَ لَوْمِى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ *

دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ ... فَمَا يُصِيبُهُمُ إِلَّا بِمَا شَاؤُا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْكَلِمَاتِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا مَا يُرَادِفُهَا ، وَإِنْ كَانَ مَعَ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ ، أَوْ أُخِذَ بَعْضُ اللَّفْظِ ، سُمِّيَ إِغَارَةً وَمَسْخًا ،

وهذا من عالى الشعر ثم وقفت فى كتاب الأغانى لأبى الفرج على هذا البيت فى أصوات معبد وهو

لَهَفِي عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ ... فَمَا أَصَابَهُمُ إِلَّا بِمَا شَاؤُا

وما أعلم كيف هذا وقد أكثر الفرزدق وجرير من هذا فى شعرهما حتى لقد حكى ان امرأة من عقيل يقال لها ليلى كان يتحدث اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل اليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى أتصارعنى فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ما جرى فقال ويحك والله مابى انك صرعتنى ولكن كأنى بابن الأتان ، يعنى جريرا ، وقد بلغه خبرى فقال يهجونى

جَلَسْتَ إِلَى لَيْلَى لِتَحْظَى بِقُرْبِهَا ... فَخَانَكَ دُبْرٌ لَا يَزَالُ يَخُونُ

فَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ شَدَدْتَ وِكَاءَهُ ... كَمَا شَدَّ جُرْبَانَ الدِّلَاصِ قُيُونُ

قال فوالله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من أغرب ما يكون فى مثل هذا الموضع وأعجبه (أن يبدل) كقول امرىء القيس

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

وقول طرفة

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ

فإنْ كانَ الثَّانِي أَبْلَغَ لِاخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ ، فَمَمْدُوحٌ ، كقولِ بشارٍ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

وَقَوْلِ سَلْمٍ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُورُ

وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فَمَذْمُومٌ ، كقولِ أَبِي تَمَّامٍ :

وكقول حاتم

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى النَفْسِ خِيمُهَا

وقول الأعور

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلْقًا سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمُهَا

(لاختصاصه بفضيلة) كحسن السبك أو الاختصار أو الايضاح أو زيادة معنى (كقول بشار) فبيت سلم قالوا أجود سبكا وأخصر لفظا وقد روى عن أبي معاذ راوية بشار انه قال انشدت بشارا قول سلم فقال ذهب والله بيتي فهو أخف منه وأعذب والله لا أكلت اليوم ولا شربت «هذا» ومن السرقات الممدوحة قول الشاعر

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمْرِ القَنَا وَالْبِيضِ عَيْنًا وَحَاجِبَا

وقول ابن نباتة بعده

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ القَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عُيُونًا لَهَا وَقْعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ

فبيت ابن نباتة ابلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم ومن الناس من جعلهما متساويين (كقول أبي تمام) فان مصراعه أحسن

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلَا

وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ فَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ ، وَالفَضْلُ لِلْأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّام :

سبكا من مصراع أبي الطيب لأن أباالطيب أراد أن يقول ولقد كان الزمان به بخيلا فعدل عن الماضى الى المضارع للوزن فان قلت المعنى ان الزمان لايسمح بهلاكه قلنا السخاء بالشيء هو بذله للغير فاذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق فى تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به (أعدى الزمان) أى تعلم الزمان منه السخاء فجاد به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه (فأبعد من الذم) هذا على تقدير ألا يكون فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية وإلا فهو بالذم حقيق كقول أبى تمام

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأَمَانِي وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقول أبى الطيب

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادِي وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادِ

مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ

(كقول أبى تمام) وقول بشار

يَاقَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

وقول ابن الشحنة الموصلى

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إلا الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاَ

وَقَوْلِ أَبِى الطَّيِّبِ :

لَوْلاَ مُفَارَقَةُ الأَحْبَابِ مَاوَجَدَتْ لَهَا المَنَايَا إلى أَرْوَاحِنَا سُبُلاَ

وَإِنْ أُخِذَ المَعْنَى وَحْدَهُ سُمِّىَ إِلْمَامًا وَسَلْخًا ، وَهُوَ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ ، أَوَّلُهَا كَقَوْلِ أَبِى تَمَّامٍ :

وَإِنِي امْرُؤٌ أَحْبَبْتُكُمْ لِمَكَارِمٍ سَمِعْتُ بِهَا وَالأُذْنُ كَالعَيْنِ تَعْشَقُ

وكذا قول الأرجانى

لَمْ يُبْكِنِي إِلاَّ حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أَسَرَّ بِهِ إِلَىَّ مُوَدِّعِى

هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِى أَوْدَعْتُمُ فِى مِسْمَعِى أَلْقَيْتُهُ مِنْ مَدْمَعِى

وقول جار الله

وَقَائِلَةٍ مَا هَذِهِ الدُّرَرُ الَّتِى تُسَاقِطُهَا عَيْنَاكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ

فَقُلْتُ هِىَ الدُّرُّ الَّتِى قَدْ حَشَا بِهَا أَبُو مُضَرٍ أُذْنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي

(كقول أبى تمام لو حار) فان أبا الطيب أخذ المعنى برمته مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان والبيتان متساويان فى البلاغة والارتياد الطلب واضافة المرتاد إلى المنية بيانية والمعنى ظاهر (الماما) من الم بالشىء اذا قصده واصله من ألم بالمنزل اذا نزل به (وسلخا) وهو كشط الجلد عن نحو الشاة واللفظ للمعنى بمنزلة الجلد فكأنه كشط عن المعنى جلدا وألبسه جلدا آخر (كذلك) أى مثل ما يسمى اغارة ومسخاً لأن الثانى اما أبلغ من الأول أو دونه أو مثله (كقول أبى تمام) وكقول البحترى

هُوَ الصُّنْعُ إِنْ يَعْجَلْ فَخَيْرٌ وَإِنْ يَرِثْ ... فَلَلرَّيْثُ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ أَنْفَعُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّب :

وَمِنَ الخَيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي ... أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي المَسِيرِ الجَهَام

وثانيها كقولِ البُحْتُرِيِّ :

تَصُدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَاكَ بِأَوْجُهٍ ... أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلِيمَ مُطِيعُهَا

وقول أبى الطيب

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ ... وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ العَذَابُ

فان بيت أبى الطيب أحسن سبكا وكأنه اقتبسه من قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وكقول الآخر

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الغِنَى ... إِذَا كَانَتِ العَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الفَقْرِ

وقول أبى تمام بعده

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُودَدٌ ... وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيِّ عَذْرَاءَ نَاهِدِ

فبيت أبى تمام أخصر وأبلغ لأن قوله ولو برزت فى زى عذراء ناهد زيادة حسنة (كقول أبى تمام هو الصنع) فبيت المتنبى أبلغ لاشتماله على زيادة بيان . والريث الابطاء والسيب العطاء والجهام السحاب الذى لا ماء فيه (كقول البحترى) فان بيت أبى الطيب دون بيت البحترى لأنه قد فاته ما أفاده البحترى بلفظى تألق والمصقول من الاستعارة التخييلية حيث أثبت التألق والصقالة للكلام كاثبات الأظفار للمنية ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف وهو الاستعارة بالكناية : ومعنى تألق لمع والندى المجلس الغاص بأشراف الناس والمصقول المنقح والعضب السيف القاطع شبه لسانه بسيفه

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِى النَّدِىِّ كَلَامُهُ الْـمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

وَقَوْلِ أَبِى الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِى النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمِ فِى الطَّعْنِ خُرْصَانَا

وَثَالِثُهَا كَقَوْلِ الأَعْرَابِى :

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

وخرصان الرماح أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة وواحدها خرص بالضم والكسر، وصف فصاحة السنة الممدوحين وطلاقتها . يقول إن السنتهم فى المضاء والنفاذ تشابه أسنتهم عند الطعن فكأن ألسنتهم جعلت أسنة رماحهم . ومن هذا القسم قول بعض الأعراب

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طِيبِهَا وَالطِّيبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ

وقول بشار

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلاً غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلْ

وكذلك قول أشجع

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالأَظْلَامُ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ الأَحْلَامُ

وقول أبى الطيب

يَرَى فِى النَّوْمِ رُمْحَكَ فِى كُلَاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِى السُّهَادِ

فقصر بذكر السهاد لأنه أراد اليقظة فأخطأ إذ ليس كل يقظة سهادا وانما السهاد امتناع الكرى فى الليل وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهدا (كقول الأعرابى) وكذا قول أبى بكر بن النطاح :

وَقَوْلِ أَشْجَعَ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِى الغِنَى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

* وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَمِنْهُ أَنْ يَتَشَابَهَ المَعْنَيَانِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الكَرِّ فِى حَوْمَةِ الوَغَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِى مِنْ وَرَائِكَا

وقول أبى الطيب

فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا

وكذا قول الآخر يذكر ابنا له مات

الصَّبْرُ يُحْمَدُ فِى المَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

وقول أبى تمام بعده

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ

وفلان رحب الذراع والباع سخى (كقول جرير) فان تعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة وكذا العبارة عن المرأة بذات الخمار وبمن فى كفه خضاب : ومن هـذا النوع قول الطرماح بن حكيم الطائى

لَقَدْ زَادَنِى حُبًّا لِنَفْسِى أَنَّنِى بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ

وقول أبى الطيب

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِى مِنْ نَاقِصٍ فَهِىَ الشَّهَادَةُ لِى بِأَنِّىَ كَامِلُ

فلا يمنعك من أرب لحاهم سواء ذو العمامة والخمار

وقول أبى الطيب :

ومن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم خضاب

ومنه أن ينقل المعنى إلى معنى آخر ، كقول البحترى :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا

وقول أبى الطيب:

فان ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل ذلك الرجل وشهادة ذم الناقص أبا الطيب بفضله كزيادة حب الطرماح لنفسه وكذا قول أبى العلاء المعرى فى مرثية

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها فى وجهه أثر اللطم

وقول القيسرانى

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجداً ألست ترى فى وجهه أثر الترب

ولا يغرنك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيبا والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخارا أو غير ذلك فان الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلس لينظمه تحيل فى إخفائه فغير لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته (كقول البحترى) فان أبا الطيب كما ترى نقل المعنى من القتلى والجرحى إلى السيف . سلبوا أى سلبوا ثيابهم وأشرقت الدماء عليهم أى فظهرت الدماء عليهم ملابسة لاشراق شعاع الشمس فكأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة كانت بمنزلة ثياب لهم : وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

* وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَشْمَلَ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

* وَمِنْهُ الْقَلْبُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي نَقِيضَ مَعْنَى الأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي الشِّيصِ :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إِزَارَا (١)

(النجيع) النجيع من الدم ما كان إلى السواد وهو دم الجوف (كقول جرير) فان جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم وأبا نواس جعل العالم كله فى واحد (كقول أبى الشيص) فان ما فى بيته مناقض لما فى بيت أبى الطيب لأنه صرح بحب الملامة والمتنبى نفى حبها بهمزة الانكار لكن كل منهما باعتبار آخر ولهذا قالوا الأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين (٢) إلا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام

وَنَغْمَةُ مُعْتَفِي جَدْوَاهُ أَحْلَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ

---

(١) عند العرق سال فلم يكد يرقأ وهو عرق عاند

(٢) فان الأول علل حب الملامة بحبه لذكره والثانى علل كراهيته لها بكونها تصدر من الأعداء

أجِدُ المَلامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وَقول أَبى الطيِّب:

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً ... إِنَّ المَلامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وَمِنْهُ أَنْ يُؤْخَذَ بَعْضُ المَعْنَى وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُحَسِّنُهُ كَقَوْلِ الأَفْوَهِ:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ... رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ

وَقول أبي تمام:

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى ... بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ الجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

فَإِنَّ أَبَا تَمَّامٍ لَمْ يُلِمَّ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الأَفْوَهِ رَأْيَ عَيْنٍ،

وقول أبى الطيب

وَالجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ ... سُبِقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ

أراد أبو تمام أن الممدوح يستلذ نغمات السائلين لما فيه من غاية الكرم ونهاية الجود وأراد أبو الطيب أنه إن سبقت نغمة من سائل عطاء الممدوح بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح لأن عادته أن يعطى بغير سؤال (على آثارنا) وراءنا تابعة لنا (رأى عين) يعنى عيانا (ستمار) أى ستطعم من لحوم من تقتلهم من القتلى (وقد ظللت) يقول إن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى لانه اذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته وثوقا بأنها ستطعم لحوم القتلى فتلقى ظلالها عليها والنواهل جمع ناهلة من نهل إذا روى (فانا أبا أتمام)

وَلاَ مِنْ قَوْلِهِ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ ، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ إِلاَّ أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ وَبِقَوْلِهِ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلُ ، وَبِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الْجَيْشِ وَبِهَا يَتِمُّ حُسْنُ الأَوَّلِ ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ الأَنْوَاعِ وَنَحْوِهَا مَقْبُولَةٌ ، بَلْ مِنْهَا مَا يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الاِتِّبَاعِ إِلَى حَيِّزِ الاِبْتِدَاعِ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا عُلِمَ أَنَّ الثَّانِيَ أَخَذَ مِنَ الأَوَّلِ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الاِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارُدِ

يعنى أن أبا تمام انما أخذ بعض معنى بيت الأفوه لا كله لأن الأفوه أفاد بقوله رأى عين قرب الطير من الجيش لأنها اذا بعدت تخيلت ولم تر وانما يكون قربها توقعا للفريسة وهذا يؤكد المعنى المقصود أعنى وصفهم بالشجاعة والاقتدار على قتل الأعادى ثم قال ثقة ان ستمار فجعلها واثقة بالميرة وأما أبو تمام فلم يلم بشىء من ذلك لكن زاد على الأفوه بقوله الا أنها لم تقاتل وبقوله فى الدماء نواهل ثم باقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش وبهذا يتم حسن قوله الا انها لم تقاتل وهذه الزيادات حسنت قوله وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الافوه. فقول المصنف وبها أى بهذه الزيادة الأخيرة وهى إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش وقوله الأول يعنى قوله إلا انها لم تقاتل (إذا علم أن الثانى أخذ من الأول) بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه (لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر) كما وقع لى فيما درج من الأيام أيام كنت لا أعرف شعرا ولا شاعرا وذلك بيت قلته فى صديق غاب عنى حرساً من الزمن وهو:

الخواطر ، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد للأخذ ، فإذا لم يعلم قيل قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا *

ومما يتصل بهذا القول فى الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح

أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه ، كقول الحريرى : فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب ، وقول الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

وما كنت أدرى قبل بعدك ما الجوى ... ولا حادثات الدهر كيف تنوب

فأسمعته صاحباً لى فقال ان مثله لكثير عزة وهو

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

فما كاد يتمه حتى أخذت منى هزة الطرب وكدت أخرج من جلدى فرحا وقلت الآن اغبط نفسى اذ طبعت على غرار أعيان الشعراء وكما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له أين يذهب بك هذا للحطيئة فقال الآن علمت انى شاعر اذ وافقته على قوله ولم أسمعه (الآخر) هو أبو القاسم بن الحسن الكاتبى (ازمعت) أى عزمت (من غير ماجرم) من غير ذنب صدر منا فما زائدة

وَقولِ الحريرىِّ: قُلْنا شاهَتِ الْوُجُوه، وَقُبِحَ اللُّكَعُ وَمَنْ يَرْجُوه.

وَقولِ ابْنِ عَبَّادٍ:

قالَ لِى إِنَّ رَقِيبى سَيِّءُ الخُلْقِ فَدَارِهْ
قُلْتُ دَعْنِى وَجْهُكَ الجَنَّةُ حُفَّتْ بالمَكارِهْ

وَهُوَ ضَرْبَانِ، مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ المُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِىِّ، كما تقدَّمَ، وَخِلَافُهُ، كقولِهِ:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِى مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتَ فِى مَنْعِى
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حاجَاتى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعِ

وَلاَ بَأْسَ بِتَغْيِيرٍ يَسِيرٍ لِلْوَزْنِ أَوْ غَيْرِهِ، كقوله:

(قلنا شاهت الوجوه) أى قبحت وهو لفظ الحديث فانه روى أنه لما اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به المشركين وقال شاهت الوجوه (اللكع) أى اللئيم ويقال هو العبد الذليل النفس (فداره) من المداراة وهى المجاملة والملاطفة (وجهك الجنة) فقد اقتبس من لفظ الحديث حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات: يعنى أن وجهك جنة فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب كما لابد لطالب الجنة من مشاق التكاليف (كقوله) أى قول ابن الرومى فان بواد غير ذى زرع مقتبس من القرآن الكريم لكن معناه فى القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات وفى البيت جناب لا خير فيه ولا نفع (كقوله) أى قول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه ومثله قول عمر الخيام

قَدْ كانَ مَاخِفْتُ أَنْ يكُونا إِنَّا إِلَى اللهِ رَاجِعُونَا

* وَأَمَّا التَّضْمِينُ فهُوَ أَنْ يُضَمَّنَ الشِّعْرُ شَيْئاً مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التنبيهِ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ، كقولهِ :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْمَعَالِي بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّهْ

وَلَاحَ بِحِكْمَتِي نُورُ الْهُدَى فِي لَيَالٍ لِلضَّلَالَةِ مُدْلَهِمَّهْ

يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِؤُهُ وَيَأْبَى اللهِ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهْ

وكذلك قول القاضى منصور الهروى الازدى

فَلَوْ كانَتِ الْأَخلاقُ تُحْوَى وِرَاثَةً وَلَوْ كانَتِ الْآرَاءُ لَاتَتَشَعَّبُ

لَأَصْبَحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّهُمْ هَوًى كَمَا أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّهُمْ أَبُ

وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ وَمُقَرَّبُ

(عليه) أى على أنه من شعر الغير (كقوله) أى قول الحريرى يحكى ماقاله الغلام الذى عرضه أبو زيد للبيع : والمصراع الأخير للعرجى وتمامه

* لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرٍ *

ومن هذا النوع قول ابن العميد

وَصاحِبٍ كُنتُ مَغبُوطاً بِصُحْبَتِهِ دَهْراً فَغَادَرَنِي فَرْداً بِلَا سَكَنِ

هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالٍ فَطَارَ بِهَا نَحْوَ السُّرُورِ وَأَلْجَانِي إِلَى الْحَزَنِ

كأنهُ كانَ مَطوِيًّا على إِحَنٍ وَلَم يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشِّعْرِ أَنْشَدَنِي

عَلَى أَنى سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِى أَضَاعُونى وَأَىَّ فَتًى أَضَاعُوا

وَأَحْسَنُهُ مَا زَادَ على الأَصْلِ بِنُكْتَةٍ كالتَّوْرِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فى قوْلِهِ

إِذا الْوَهْمُ أَبْدَى لِى لَمَاهَا وَثَغْرَهَا تذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ

وَيُذْكِرُنى مِنْ قَدِّهَا وَمَدَامِعِى مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

وَلاَ يَضُرُّ التَّغْيِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَمَا سُمِّىَ تَضْمِينُ الْبَيْتِ فَمَا زَادَ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كانَ يَأْلَفُهُمْ فِى الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ

والبيت لأبى تمام (كالتورية والتشبيه فى قوله) أى قول ابن أبى الاصبع فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب والعذيب وبارق موضعان والعوالى الرماح والسوابق الخيل يقول انهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين وكانوا يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل فالشاعر الثانى أراد بتضمينه بالعذيب وبارق معنييهما البعيدين لأنه جعل العذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة وببارق ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها وهذا تورية وشبه تبختر قدها بتمايل الرمح وجريان دمعه على التتابع بجريان الخيل السوابق فزاد على أبى الطيب بهذه التورية والتشبيه (ولا يضر التغيير اليسير) ليدخل فى معنى الكلام قول بعض المتأخرين فى يهودى (١) به داء الثعلب (٢)

أَقولُ لِمَعْشَرٍ غَلَطُوا وَغَضُّوا عَنِ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ

---

(١) ذما له بكونه أقرع

(٢) هو مرض يسقط الشعر من الرأس

اسْتِعانةً ، وَتضْمينُ المِصْرَاعِ فمَا دُونَهُ إِيداعاً وَرَفْواً * وَأَمَّا العَقْدُ فهُوَ أنْ يُنظَمَ نَثْرٌ لاَ على طَرِيقِ الاقْتِبَاسِ ، كقولهِ :

مَا بالُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

عَقَدَ قوْلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَمَا لابْنِ آدَمَ وَالفَخْرَ وَإِنَّمَا أوَّلُهُ نُطْفةٌ وَآخِرُهُ جِيفَةٌ * وَأَمَّا الحَلُّ فهُوَ أنْ يُنْثَرَ نَظْمٌ كقوْلِ بَعْضِ المَغَارِبَةِ : فإِنَّهُ لَمَّا قَبُحَتْ فعلاَتُهُ ، وَحَنْظَلَتْ نخلاَتُهُ ، لَمْ يَزَلْ سُوءُ الظَّنِّ

هُوَ ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا مَتَى يَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وثيل وأصله

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

على طريقة التكلم كما ترى فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل فى المقصود (إيداعا) لأن الشاعر الثانى قد أودع شعره شيأ من شعر الأول (ورفوا) لأنه رفا خرق شعره بشعر غيره (كقوله) أى قول أبى العتاهية ومثله قوله أيضاً

وَكانَتْ فِي حَياتِكَ لِي عِظاتٌ وَأَنْتَ الْيومَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

عقد قول بعض الحكماء فى الاسكندر لما مات كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس (وأما الحل) وشرط كونه مقبولا شيئان أحدهما أن يكون سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك أصله والثانى أن يكون حسن الموقع مستقرا فى محله غير قلق (كقول بعض المغاربة) يصف شخصا بأنه سيء الظن لقياسه غيره على نفسه . والفعلات الأفعال وحنظلت نخلاته

يَقْتَادُهُ ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ الَّذِى يَعْتَادُهُ . حَلّ قولَ أبى الطيب :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَايَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

* وأما التَّلميحُ فهو أنْ يُشارَ الى قصَّةٍ أو شِعرٍ من غير ذِكرِهِ كقوله :

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلَامُ نائِمٍ أَلَمَّتْ بِنا أَمْ كانَ فِى الرَّكبِ يُوشَعُ

صارت ثمار نخلاته كالحنظل فى المرارة . ومثل هذا قول صاحب الوشى المرقوم فى حل المنظوم يصف قلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول، وغنيت به عن الخيل والخول ، وقالت أعلى الممالك ما يبنى على الأقلام لا على الأسل حل قول أبى الطيب

* أَعْلَى المَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ *

وكقول بعض الكتاب فى وصف السيف : أورثه عشق الرقاب نحولا فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود محولا حل قول أبى الطيب أيضا

فِى الخَدِّ أَنْ عَزَمَ الخَلِيطُ رَحِيلاَ مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الخُدُودُ مُحولاَ

وكقولى فى أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده : صار له دوى فى كل قطر كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر ، حللت قول أبى الطيب يخاطب على ابن أحمد الأنطاكى

وَتَرْكُكَ فِى الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ المَرْءِ أُنْمُلُهُ العَشْرُ

(كقوله فوالله) هو لأبى تمام وقبله

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الهَوَى قُلُوباً عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْىَ وُقَّعُ

أشار الى قصةِ يُوشَعَ عليه السلام واستيقافِهِ الشَّمسَ ، وكقولهِ :

لعَمْرُو مَعَ الرَّمْضاءِ والنَّارُ تَلتَظِى أَرَقُّ وَأحفى منكَ فى ساعةِ الكرْبِ

أشار إلى البيت المشهور

المُسْتَجيرُ بعمْرٍو عِند كُربَتِهِ كالمُستَجيرِ مِنَ الرَّمضاءِ بالنَّار

فَرُدَّتْ عَلينا الشَّمْسُ وَاللَّيلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ حَانِبِ الخِدْرِ تَطْلُعُ

نَضَا ضَوءَهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّماءِ المُجَزَّعُ

الضمير فى أخراهم ولهم للأحبة المرتحلين وإن لم يجرلهم ذكر فى اللفظ وحام الطير على الماء دار وحومه غيره ونضا ذهب به وأزاله والضمير فى ضوءها وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر والدجنة الظلمة وانطوى انضم والمجزع ذو لونين وقوله أأحلام نائم استعظام لما رأى واستغراب (أشار الى قصة يوشع) على ما روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم (لعمرو) هو لأبى تمام والرمضاء الأرض الشديدة الحر وأحفى من حفى بفلان اذا بالغ فى إكرامه وأظهر السرور والفرح (المستجير بعمرو) لهذا البيت قصة هى أن البسوس زارت أختها الهيلة وهى أم جساس بجار لها من جرم بن زبان له ناقة وكليب قد حمى أرضا من العالية فلم يكن يرعاها إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما فخرجت فى ابل جساس ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب فانكرها كليب فرماها فاختل ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دما ولبنا وصاحت البسوس واذلاه واغربتاه فقال لها جساس أيتها الحرة اهدئى فوالله لأعقرن

﴿ فصل ﴾

ينبغى للمتكلم أَنْ يتأَنَّقَ فى ثلاثةٍ مَواضعَ مِنْ كلامهِ ، حتى تكون أَعذبَ لفظا ، وَأَحسنَ سَبْكا ، وَأَصحّ مَعنى ؛ أحدها الابتداء ، كقوله

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

فخلا هو أعز على أهله منها فلم يزل جساس يتوقع غرة كليب حتى خرج وتباعد عن الحمى فبلغ جساسا خروجه فخرج على فرسه فاتبعه فرمى صلبه ثم وقف عليه فقال ياعمرو أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه فقضى فقيل المستجير بعمرو البيت ونشب الشر بين تغلب وبكر أربعين سنة كلها لتغلب على بكر ولهذا قيل أشأم من البسوس : هذا ومن التلميح ضرب يشبه اللغز كما روى أن تميما قال لشريك النميرى ما فى الجوارح أحب إلى من البازى فقال إذا كان يصيد القطا أشار التميمى إلى قول جرير

أَنَا البَازِى المُطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِيحَ مِنَ السَماءِ لَهَا انْصِبَابَا

وأشار شريك الى قول الطرماح

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُؤْمِ أَهْدَى مِنَ القَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ المَكَارِمِ ضَلَّتِ

(أحدها الابتداء) لأنه أول مايقرع السمع فان كان عذبا حسن السبك صحيح المعنى أقبل السامع على الكلام ولهذا المعنى يقول الله عزوجل الم وحم وطس وطسم وكهيعص فيقرع أسماعهم بشىء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى الاستماع لما بعده ومن هنا جعل أكثر الابتدآت بالحمد لله لأن النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية الى الاستماع (كقوله قفا نبك) قيل لما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله الملك

وكقوله :

قَصْرٌ عليهِ تحيةٌ وسلامُ خَلعَتْ عَليه جمالَها الايامُ

وَأَنْ يتَجَنَّبَ فى المَدِيح ما يُتطيَّرُ به ، كقوله :

* مَوْعِدُ أَحْبابِكَ بالفُرقَةِ غَد *

الضليل وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب ومنزله فى مصراع واحد والبيت مطلع معلقة أمرئ القيس وتمامه

* بِسَقْطِ اللِوَى بَيْنَ الدَخُولِ فَحَوْمَلِ *

ومن الابتدآت الحميدة قول النابغة الجعدى

كِلينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

وقول المتنبى

أتُرَاهَا لِكثرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَمْعَ خِلْقةً فِى المَآقِى

(وكقوله) أى قول أشجع السلمى (موعد) مطلع قصيدة لابن مقاتل الضرير أنشدها للداعى العلوى فقال له الداعى موعد أحبابك يا أعمى ولك المثل السوء ويروى أيضا أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد

لاتَقُلْ بُشْرَى وَلكِنْ بُشْرَيَان غُرَّةُ الدَاعِى وَيَوْمُ المِهْرَجَانِ

فتطير به وقال ياأعمى تبتدئ بهذا يوم المهرجان وقيل بطحه وضربه خمسين عصا وقال اصلاح أدبه أبلغ من ثوابه . ويروى أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا فى زينتهم فمارأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق الموصلى فأنشد

وَأحْسنه ما يناسبُ المقصودَ ، ويُسمى بَرَاعَةَ الاستهلالِ ، كقوله فى التهنئةِ :

* بُشْرَى فقدْ أنْجَزَ الإقْبَالُ مَا وَعَدَا *

وقوله فى المرثية

هِىَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِى وَفَتْكِى

شعرا أجاد فيه الا أنه ابتدأه بذكر الديار وعفائها فقال :

يا دَارُ غَيَّرَكِ الْبِلَا وَمَحَاكِ يَالَيْتَ شِعْرِى مَا الَّذِى أبْلَاكِ

فتطير المعتصم وتغامز الناس وعجبوا كيف ذهب على أبى اسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر (بشرى) هو لأبى محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لبنته وأحسن منه قول أبى تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت

السَيْفُ أصْدَقُ إنْباءً مِنَ الْكُتُبِ فى حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

بيضُ الصَفَائِحِ لَا سُودُ الصَحَائِفِ فِى مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشَّكِّ وَالرِّيبِ

وقول بى الطيب فى التهنئة بزوال مرض

المَجْدُ عُوفِىَ إذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ وَزَالَ مِنْكَ إلى أعْدَائِكَ السَقَمُ

(هى الدنيا) لأبى الفرج الساوى يرثى بعض ملوك بنى بويه وأحسن منه قول أوس بن حجر:

* وَثانيها التَّخَلُّصُ مِمَّا شُبِّبَ الكلامُ بهِ ، مِنْ نَسِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ ، إِلَى المَقْصُودِ ، مَعَ رِعايَةِ المُلاءَمَةِ بَيْنَهُما ، كقولهِ :

يقُولُ فى قُومَسٍ قَوْمِى وَقَدْ أَخَذَتْ ... مِنَّا السُّرَى وَخُطَا المَهْرِيَّةِ الْقُودِ

أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أَنْ تَؤُمَّ بِنَا ... فقُلْتُ كلاَّ وَلَكِنْ مَطْلَعَ الْجُودِ

أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعاً ... إِنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعا

وقول أبى تمام

كذا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ ... وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

(وثانيها التخلص) لأن السامع يكون مترقبا للانتقال من التشبيب الى المقصود كيف يكون فاذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على اصغاء ما بعده وان كان بخلاف ذلك كان الامر بالعكس هذا وكان الأحسن والأوضح للمصنف أن يقول وثانيها التخلص وهو الانتقال مما ابتدئ الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود الخ كما لا يخفى على الفطن فقوله مما شبب الكلام به أراد مطلق الابتداء والافتتاح لا خصوص التشبيب الذى هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل والنسيب أن يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها فى العشق (أو غيره) كالافتخار والهجو والشكاية (بينهما) أى بين ما شبب أى ابتدى به الكلام وبين المقصود (كقوله يقول) قومس صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل وأخذت منا السرى أى أثر فينا السير ليلا ونقصت من قوانا والمهرية الابل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان والقود الطوال الظهور والاعناق والبيتان لأبى تمام فى عبد الله بن طاهر. هذا ومن بدائع التخلص قول زهير

وَقَدْ يُنْتَقَلُ مِنْهُ إِلَى مَالَا يُلَائِمُهُ، وَيُسَمَّى الِاقْتِضَابَ، وَهُوَ مَذْهَبُ العَرَبِ الأُولَى وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ المُخَضْرَمِينَ ، كقوله :

لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا ... جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فِي الخُلْدِ شِيبَا

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيَالِي ... خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبَا

إِنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الجَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمُ

وقول مسلم بن الوليد

أَجِدَّكِ مَا تَدْرِينَ أَنْ رُبَّ لَيْلَةٍ ... كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكِ يُنْشَرُ

سَهِرْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ ... كَغُرَّةِ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

وقول المتنبي

خَلِيلَيَّ مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ ... فَكَمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي القَصَائِدُ

فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ ... وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ وَاحِدُ

(الأولى) يعنى الجاهلية (من المخضرمين) وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام مثل لبيد قال الزمخشرى ناقة مخضرمة أى جدع نصف أذنها ومنه المخضرم الذى أدرك الجاهليه والاسلام كأنما قطع نصفه حيث كان فى الجاهلية (كقوله) أى قول أبى تمام وهو من الاسلاميين لأنه كان فى زمن الدولة العباسية . هذا والاقتضاب فى الشعر كثير والتخلص بالنسبة اليه قطرة من بحر فمن الاقتضاب قول أبى نواس فى قصيدته النونية التى أولها

* يَا كَثِيرَ النَّوحِ فِي الدِّمَنِ *

فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلِي ... كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخَلُّصِ ، كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ : أَمَّا بَعْدُ؛ قِيلَ وَهُوَ فَصْلُ الْخِطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، أَيِ الْأَمْرُ هَذَا أَوْ هَذَا كَمَا ذُكِرَ ، وَقَوْلِهِ : هَـذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ : هَذَا بَابٌ * وَثَالِثُهَا الِانْتِهَاءُ ، كَقَوْلِهِ :

وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى ... وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ

فَإِنْ تُوَلِنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ ... وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

مِنْ كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ ... خَيْرِ مَا سَلْسَلْتَ فِي بَدَنِي

مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًى ... فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ ... قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ

سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا ... فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ

(قيل وهو فصل الخطاب) قال ابن الأثير والذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان أن فصل الخطاب هو أما بعد لأن المتكلم يفتتح كلامه فى كل أمر ذى شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج منه إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (وثالثها الانتهاء) لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم فى النفس فان كان مختارا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير وان كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما أنسى محاسن ما قبله (كقوله وإنى) أى قول أبى نواس فى الخصيب بن عبد الحميد

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الكَلَامِ ، كقوله :

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ وَخَوَاتِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، يَظْهَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّذَكُّرِ لِمَا تَقَدَّمَ.

(بقيت) قيل انه للمعرى (واردة على أحسن الوجوه وأكملها) فانك إذا نظرت إلى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب الاشارة ما قد أصاب المحز وطبق المفصل . واذا نظرت الى خواتمها وجدت من الأدعية والوصايا والمواعظ والتحميد والوعد والوعيد وغير ذلك من الخواتيم مالا يبقى للنفوس بعده مطمع . وما تسجد لحسنه مصاقع البلغاء .

هذا آخر ما يسره الله سبحانه مما أردنا وضعه على هذا الكتاب فى أوقات كنا نختلسها اختلاسا من بين تشعب الأعمال وتزاحم الأشغال . فان كنت وفيت بما وعدت فالشكر لله سبحانه على معونته وحسن توفيقه . وإلا فأحق الناس بقبول عذره وإقلال عتبه من وقف نفسه لصناعة التأليف فى زمن فترت فيه همم طلاب العلوم وخارت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنشيطهم على الدأب فى عملهم والعناية بصناعتهم . فان فاتنى إيفاء العمل حقه من الأجر فلن يفوتنى إن شاء الله إعطاؤه قسطه من العذر ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ؛ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا : ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

عبد الرحمن البرقوقى

٨ مايو سنة ١٩٣٢

فهرست التلخيص

صفحة	
٢	مقدمة الشارح للطبعة الأولى
٢١	« « للطبعة الثانية
٢٤	مقدمة فى الفصاحة والبلاغة
٣٧	(الفن الأول علم المعانى)
٣٨	تنبيه (فى صدق الخبر وكذبه)
٤٠	أحوال الاسناد الخبرى
٥٣	أحوال المسند إليه
١٠١	أحوال المسند
١٢٦	أحوال متعلقات الفعل
١٣٧	القصر
١٥١	الانشاء
١٧٥	الفصل والوصل
١٩٦	تذنيب أصل الحال
٢٠٩	الايجاز والاطناب والمساواة
٢٣٥	(الفن الثانى علم البيان)
٢٣٨	التشبيه
٢٩٢	الحقيقة والمجاز
٣٢٤	فصل (فى الاستعارة بالكناية)
٣٢٨	فصل (فى مذهب السكاكى فى الحقيقة والمجاز)
٣٣٤	فصل (فيما به تحسن الاستعارة)
٣٣٦	فصل (فى المجاز بالحذف والزيادة)
٣٣٧	الكناية

صفحة	
٣٤٦	فصل « أطبق البلغاء الخ »
٣٤٧	(الفن الثالث علم البديع)
٣٤٨	المطابقة
٣٥٤	مراعاة النظير
٣٥٦	الأرصاد
٣٥٦	المشاكلة
٣٥٨	المزاوجة
٣٥٨	العكس
٣٥٩	الرجوع
٣٥٩	التورية
٣٦٠	الاستخدام
٣٦١	اللف والنشر
٣٦٣	الجمع
٣٦٣	التفريق
٣٦٤	التقسيم
٣٦٤	الجمع مع التفريق
٣٦٥	الجمع مع التقسيم
٣٦٦	الجمع مع التفريق والتقسيم
٣٦٨	التجريد
٣٧٠	المبالغة
٣٧٤	المذهب الكلامي

صفحة	
٣٧٥	حسن التعليل
٣٧٩	التفريع
٣٨٠	تأكيد المدح بما يشبه الذم
٣٨٢	تأكيد الذم بما يشبه المدح
٣٨٣	الاستتباع
٣٨٣	الادماج
٣٨٤	التوجيه
٣٨٥	الهزل الذى يراد به الجد
٣٨٥	تجاهل العارف
٣٨٦	القول بالموجب
٣٨٧	الاطراد
٣٨٨	الجناس
٣٩٣	رد العجز على الصدر
٤٠٤	السجع
٤٠٤	الموازنة
٤٠٤	القلب
٤٠٥	التشريع
٤٠٦	لزوم مالا يلزم
٤٠٨	خاتمة فى السرقات وما يتصل بها
٤٢٩	فصل ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع

تنبيه واستدراك

بعد أن تَمَّ طبع هذا الكتاب تصفحنا بعض صفحاته على عجل فأخذت أعيننا بعض أخطاء مطبعية لا بد أن يَفْرُط مثلها فى كل كتاب عربى . وكم يمضّنا ذلك . وقد رأينا أن ننبه إلى ما أمكن العثور عليه لأنا لم نُمَكَّنْ من تصفح سائر الكتاب . وفى ظننا أن سائر الأخطاء مما لا يخفى مثله على الناظر فى مثل هذا الكتاب . وهذا هو ما وقعت عليه العين اتفاقا :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	١٤	ليكون حجة على النبوة	ليكون حجة للنبوة
٣٥	٢٠	عمرك	عمرك الله
٥٦	١١	رحمتِ	رحمتَ
١٨٥	٧	أُرها	أُراها
٢٠٨	١٩	وقولك عسى	كقولك عسى
٢٤١	٦	للاحساس	للتشبيه
٢٤١	١٢	بعد النقصان	عن النقصان
٣١٩	٤	ويرفعه	ويدفعه
٣١٩	١٨	تَبْرَحُ	تَبْرَحُ
٣٤١	١٢	مما ذكر	بما ذكر
٣٤٩	١٣	انطباق	الطباق
٣٥١	١١	بأَنَّها	بأَنَّا

حقوق الطبع محفوظة

UNIVERSITY OF MISSOURI
VETERINARY LIBRARY

B12188888
J134 88442

AUC - LIBRARY

DATE DUE

A.U.C.

18 MAY 2000

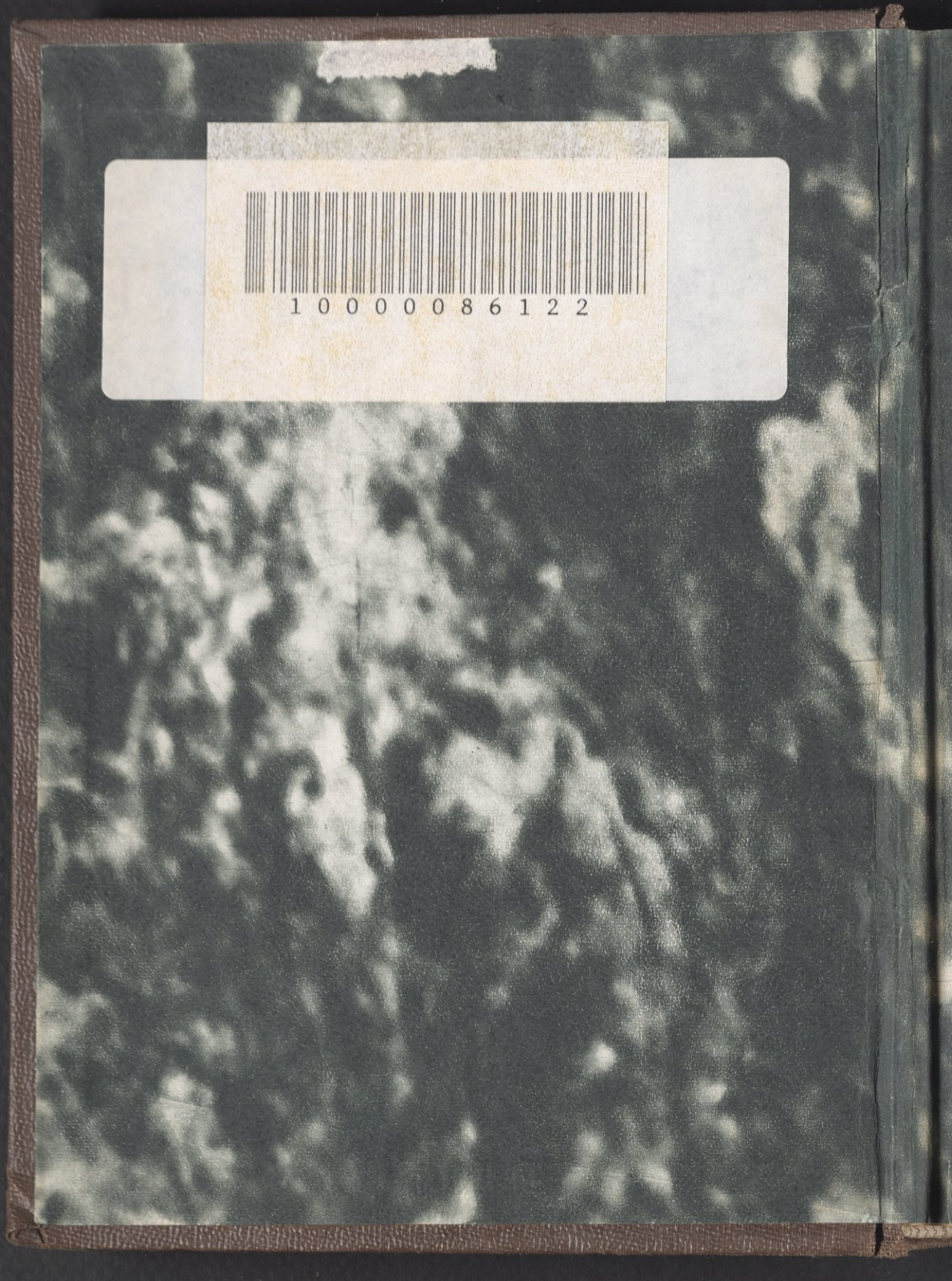
10000086122